دروس في
فن الخطابة والتبليغ الإسلامي

تأليف
الدكتور الشيخ عبد الهادي الطعماز

دُرُوسٌ فِي فَنِّ الخِطَابَةِ وَالتَّبْلِيغِ الإِسْلَامِيِّ

دروس في
فن الخطابة
والتبليغ الإسلامي

تأليف

الدكتور الشيخ عبد الهادي الطعماز

سرشناسه: الطهمازی،عبدالهادی. ۱۳۴۳
عنوان و نام پدیدآور: دروس فی فن الخطابه والتبلیغ الاسلامی /مؤلف: الدکتور عبدالهادی الطهمازی
مشخصات نشر: قم ، آوای منجی، ۱۴۰۰
مشخصات ظاهری : ۲۴۸ ص
شابک: ۱- ۱۳۹- ۴۲۰ -۶۰۰- ۹۷۸
وضعیت فهرست نویسی: فیپا
یادداشت: عربی
یادداشت: کتابنامه:ص.[۲۲۵]-۲۳۵؛همچنین به صورت زیر نویس.
موضوع: اسلام -- تبلیغ
موضوع: Islam Missions
موضوع: سخنوری -- جنبه های مذهبی -- اسلام
موضوع: Oratory -- *Religious aspects -- Islam
رده بندی کنگره: BP ۱۱/۶۲
رده بندی دیویی: ۲۹۷/ ۰۴۵
شماره کتابشناسی ملی: ۷۵۹۰۵۰۹

☐**الکتاب: دروس فی فن الخطابة و التبلیغ الاسلامی**
☐**المؤلف: الدکتور عبدالهادی الطهمازی**
☐**النشر: آوای منجی**
☐**الطبعة الأولی: عام ۲۰۲۱ م ـ ۱۴۴۲ ه**
☐**السعر: ۷۰۰۰۰ تومان**
☐**التصویر الفنی(الزینگغراف): نویس**
☐**المطبعة: زمزم**
☐**الکمیة: ۵۰۰ نسخه**
☐**الرقم الدولی: ISBN ۹۷۸ـ ۶۰۰ـ ۴۲۰ ـ ۱۳۹ـ۱**

جمیع الحقوق محفوظة للمؤلف

دفترقم: خیابان شهید فاطمی ـ کوچه۱۸-پلاک ۳۵
همراه: ۰۹۱۲۶۵۱۸۰۳۶ ـ ۰۹۱۲۳۹۰۸۴۷۵

للتواصل مع الکاتب علی واتساب
07703424487

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه البيان، ووهبه العقل واللسان، ليفكر بالأول وينطق بالثاني، وجعل ذلك ميزة له على سائر من خلق.

ثم الصلاة والسلام على خير الأنام، محمد وعلى آله السادة الكرام، معلمي البشر كل علم نافع، وكل برهان ساطع.

أما بعد:

فمنذ أن دخلت الحوزة العلمية الشريفة أواسط العقد الأخير من القرن الماضي وجدت نفسي كسائر إخواني الخطباء نرتقي المنبر لممارسة الخطابة من دون درس أو تعلم لفنونها وأساليبها، وإن كان هناك تتلمذ لبعضهم فهو يقتصر على تعلم فنون وأطوار النعي، فعقدت العزم على ملء هذا الفراغ بتأليف كتاب في فن الخطابة، وقد تنقلت لأشهر بين المكتبات العامة في مدينة النجف الأشرف كمكتبة الإمام الحكيم، ومكتبة الإمام الحسن عليه السلام بحثا عن مصادر تسعفني في هذا المجال، وقد وجدت في هذه المكتبات عددا وافرا من المصادر ككتاب فن الخطابة لأحمد الحوفي، وكتاب فن الخطابة وتطوره عند العرب لإيليا الحاوي، وفن الخطابة لنقولا فياض وغيرهم الكثير، وكنت أدون ما أراه مهما من المعلومات في دفاتر.

ثم أتيحت لي بعض الفرص لتدريس فن الخطابة بعد سقوط النظام البائد في الدورة التي فتحتها رابطة الخطباء في أحد مساجد مدينة النجف،

ثم في مدرسة الإمام الحسين عليه السلام التي افتتحها المرحوم الشيخ محمد مهدي الآصفي رحمه الله، ثم في جامعة الصدر الدينية.

وعند انتقالي إلى مدينة قم المقدسة أتيحت لي فرصة تدريس فن الخطابة بشكل دوري في مدرسة الإمام الخميني قدس سره، ثم في جامعة باقر العلوم.

ورب ضارة نافعة فوباء كورونا جعل الناس يمكثون في البيوت، لكنه علمنا طريقة التدريس عن بعد بواسطة مواقع التواصل الاجتماعي، فكلفتني إدارة مجمع المبلغات الرساليات بتدريس هذه المادة، وقد وجدت هذه الفرصة مناسبة جدا لتحويل ما على الأوراق إلى مادة مطبوعة، يمكن أن يستفيد منها جميع من يطلبون الكمال في ممارستهم للخطابة.

وقد رتبت الكتاب على صورة دروس وليس على صورة فصول ليسهل تدريسه في المدارس الدينية مستقبلا، وزودته بعدد كبير من الأمثلة في كل موضوع منه.

آمل أن أكون قد وفقت في إيصال مواد هذا الفن الجميل بسهولة ويسر لجميع القراء الكرام، وأن يكون عونا لخطباء المنبر الحسيني على أداء رسالتهم الشريفة، والله ولي التوفيق.

كتبه الراجي رحمة ربه

وشفاعة السبط الشهيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام

عبد الهادي الطهمازي

٥/ صفر الخير/ ١٤٤١هـ

الدرس الأول

تعريف الخطابة، وأسسها

الخطبة والمخاطبة والتخاطب في اللغة: المراجعة في الكلام، ومنه الخُطبة والخِطبة، لكن الخُطبة (بالضم) تختص بالموعظة، والخِطبة (بالكسر) بطلب المرأة[1].

وقال الجوهري في الصحاح: الخطب: سبب الأمر، تقول: ما خطبك، وخطبت على المنبر خُطبة بالضم، وخطبت المرأة خِطبة بالكسر[2]. وقد استعملت هذه المفردة ومشتقاتها في الكتاب العزيز بمعانٍ عديدة:

منها: حسم الخلافات وفصل الخصومات، قال تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾[3].

ومنها: الغلبة في المحاجَّة والمجادلة، قال تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[4].

---

(١) المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (مادة خطب)

(٢) الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري (مادة خطب)

(٣) سورة ص: ٢٠

(٤) نفس السورة: ٢٣

ومنها: الشأن والحال أو القصد أو سبب الأمر، قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴾[١].

ومنها: المراجعة في الكلام وهي الأكثر في لغة العرب، قال تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[٢]، أي لا تراجعني في شأنهم.

وللخطابة في الاصطلاح تعريفات كثيرة، ينطلق بعضها من أساس علمي كتعريف علماء المنطق للخطابة، وبعضها ينبثق من أساس فني كتعريفات الأدباء لها، فقد عرفها الشيخ نصير الدين الطوسي في تجريد المنطق: بأنها صناعة علمية يمكن معها إقناع الجمهور فيما يراد أن يصدقوا به قدر الإمكان[٣]، واختار نفس هذا التعريف الشيخ المظفر في المنطق[٤]، وقريب مما ذكر تعريف العلامة ابن ميثم البحراني في مقدمته على شرح نهج البلاغة[٥].

أما تعريفات الأدباء المتقدمين للخطابة، كالجاحظ وابن هلال العسكري وغيرهم، فهي لا تختلف بشيء عن تعريفهم للبلاغة؛ لأن مفهوم فن الخطابة كان مختلطا عندهم بمفهوم البلاغة ووسائلها المختلفة[٦].

---

(١) سورة طة:٩٥

(٢) سورة هود:٣٧

(٣) تجريد المنطق: الشيخ الخواجة نصير الدين الطوسي: ٦٩

(٤) المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر: ٣/ ٣٣٩

(٥) قال: إنها «صناعة يتكلف فيها الإقناع الممكن للجمهور فيما يراد أن يصدقوا به». ينظر: شرح نهج البلاغة: كمال الدين بن ميثم البحراني: ١/ ٦٠

(٦) ينظر: الأدب وفنونه: د/ محمد مندور: ١٥٣

وأغلب الكتاب المعاصرين عرفوها، بأنها: فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية، تشتمل على الإقناع والاستمالة[١].

وعرفها الدكتور أحمد الحوفي بأنها: فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته[٢]. وقريب من هذين التعريفين تعريف الأب لويس شيخو للخطابة في كتابه علم الخطابة[٣].

ومن هذه التعاريف المارّ ذكرها جميعا يمكن أن نضع عدة أسس للخطابة:

الأول: المشافهة أو المخاطبة، بمعنى أن الخطابة ما كان فيها الإلقاء شفاهيا، وعليه لا تعد المحاضرة المكتوبة خطبة بل تسمى مقالا.

الثاني: الجمهور، فلابد من وجود مجموعة من الناس يستمعون للمتكلم، فقد «كانوا يستحسنون أن يكون الخطب يوم الحفل»[٤].

وللجمهور دور كبير في نجاح الخطيب وتألقه؛ لأن وجودهم يشكل حافزا له على الإبداع، ولابد أيضا أن يكون ذلك بطريقة خاصة كأن يكون الخطيب قائما، أو مرتقيا لمرتفع إذ «كان من عادة العرب الوقوف على نشر من الأرض أو القيام على ظهر دابة»[٥]، ثم تغيَّر الحال بعد هجرة النبي ﷺ وبناء مسجد له في المدينة حيث وضع له منبر من طين، ثم تبدل الحال إلى استخدام المنابر الخشبية، أما إن تكلم المتكلم من جلوس فلا يسمى خطبة بل حديثا أو ما شاكل ذلك.

---

(١) الخطابة واعداد الخطيب: د/ عبد الجليل شلبي:١٣

(٢) فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي: ٥

(٣) علم الخطابة: لويس شيخو:٨

(٤) البيان والتبيين: عمرو بن عثمان الجاحظ: ١/ ٨٢

(٥) الخطابة: د/ نقولا فياض: ٤٩

الثالث: الإقناع، وهو في اللغة من القناعة، وهي: الرضا بالقسم، وأقنعه الشيء: أي أرضاه[١]. وهو اصطلاحا: «اتصال بين الملقي والمتلقي يهدف بشكل محدد إلى التأثير على الاتجاهات والاعتقادات أو السلوك. كما أنه القوة التي تستخدم لتجعل شخصاً يقوم بعمل ما عن طريق النصح والحجة والمنطق»[٢].

والاقناع فن مهم من فنون القول وله مهارات كثيرة، سيأتي بعضها ضمن الدروس القادمة إن شاء الله تعالى.

وقد يقال: لا حاجة لعنصر الإقناع في خطابتنا الدينية والحسينية لحصول القناعة بمضامينها سلفا، ولكن ذلك لا يمنع من عدها أساسا من أسس الخطابة، على أن بعض القضايا الدينية لا زالت بحاجة لإقناع الجمهور بها[٣].

الرابع: الاستمالة أو إثارة العاطفة، والمراد بالاستمالة: العدول بالشيء إلى أحد الجانبين[٤]، والقصد منها في الخطابة «تهييج الخطيب نفوس السامعين أو تهدئتها، والقبض على زمام عواطفهم يتصرف بها كيف يشاء مضحكا لهم مرة،

---

(١) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي: (مادة قنع).

(٢) الاقناع والتأثير: إبراهيم صالح الحميدان. مجلة جامعة محمد بن سعود. العدد/ ٤٩، لسنة ١٤٢٦هـ. الصفحة: ٢٤٧

(٣) هناك الكثير من القضايا الإسلامية ليس للناس اقتناع بها من قبيل: كراهة البناء على القبور أكثر من أربعة أصابع، وكراهة تجديد بنائها، وككفاية لبس السواد للزوجة المتوفى عنها زوجها، بل وإقناع البعض بوجوب بعض التكاليف المالية كالخمس والزكاة، أو إقناع البعض بحرمة بعض المحرمات كالغناء مثلا، فبعض الناس الى الآن لا يصدق بأن سماع الغناء حرام في الشريعة.

(٤) المفردات في غريب القرآن: (مادة ميل)

ومبكيا أخرى، وداع إلى الثورة مرة، والى السكينة أخرى»[١]، لأن الأساس الذي يبنى عليه الإنشاء الخطابي هو العاطفة والشعور؛ لأن الغاية الأولى من الخطابة هي أن تنقل ما في قلبك من الاحساسات إلى قلوب سامعيك[٢]، فمجرد إقناع السامع بالفكرة غير كاف لنقله من موقف إلى آخر، أو من رأي لرأي «فالأفكار تقطن الذهن، وهي مهما سمت وشرفت تبقى بدون تأثير على سلوك الإنسان إذا كان وعيه لها بغير مبالاة، وما يحول الفكرة الجامدة إلى شعور حيٍّ متحرك والى عمل حاسم هو العاطفة، فأيُّ الناس لا يدرك إن الخير أفضل من الشر، والعزُّ أفضل من الذل، واتباع الحق خير من اتباع الباطل، إلا أن هذه المعرفة تظل جامدة ما لم تشتعل بروح الحماسة والعاطفة، وهذه أحد وظائف الخطيب، أي تحويل الأفكار إلى عواطف»[٣].

وبتعبير آخر: إن وظيفة الخطيب هي خلق الحافز أو إيجاد الدافع في نفوس سامعيه، ليحركهم إلى سلوك معين، أو تجنب سلوك آخر، فالقائد العسكري لا يكفيه بأن يخبر جنوده بوجود العدو أمامهم، بل لابد أن يرفع فيهم روح الاستعداد للقتال والتضحية، فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة الجهاد مثلا، يذكر مقدمة يبين للسامع فيها فضل الجهاد:

«أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة... ».

---

(١) فن الخطابة: الشيخ ابراهيم بدوي: ٥٠

(٢) الخطابة: د/ نقولا فياض: ٤٠

(٣) فن الخطابة وتطوره عند العرب: إيليا الحاوي: ٩

ولم يكتف عليه السلام بهذا الخطاب التوضيحي لبيان حقيقة الجهاد وفضله، بل التجأ إلى تحريك عواطفهم ومكامن نفوسهم بقوله عليه السلام:

«فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء، وديِّث بالصغار، وضرب على قلبه بالإسهاب، وأديل الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف، ومنع النَّصف، ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرًّا وإعلانا، وقلت لكم: أغزوهم قبل أن يغزوكم، فو الله ما غُزي قوم قطُّ في عقر دارهم إلا ذلوا».

فتراه عليه السلام يحرك بهذه العبارة الحمية وحفائظ النفوس فيهم، ويفجر الغيرة في أعماقهم، ثم يصل إلى قمة تحريك المشاعر وتأجيج النفوس بالحماسة عندما يعمد لأسلوب التوبيخ ليراجعوا أنفسهم: «يا أشباه الرجال ولا رجال! وحلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال».

ثم يرجع عليه السلام ليبث شكواه بأسلوب صادق وتعبير جذاب؛ لتزداد الحسرة والشعور بالندم في قرارة النفوس: «فو الله جرَّت ندما، وأعقبت سدما، قاتلكم الله لقد ملئتم قلبي قيحا، وشحنتم صدري غيضا، وجرَّعتموني نغب التهمام أنفاسا...»[1]، وإذا كنا نحن الآن والفاصلة الزمنية بيننا وبينه مئات السنين، تأخذنا الغيرة وتغلي الدماء في عروقنا بسبب تأثير هذه الكلمات فينا، فما بالك بمن سمعها من فمه الشريف!.

الخامس: الإلقاء، يكاد يختلط مفهوم الإلقاء بمفهوم الخطابة لدى

(١) نهج البلاغة: (الخطبة ٢٧)

الكتاب المعاصرين، وبالتالي ففن الإلقاء هو نفس فن الخطابة عندهم[١].

لكن الحقيقة أن فن الإلقاء أعم من الخطابة فهو يشمل الخطابة والتمثيل وغيرها من فنون القول، لذلك عرف بأنه: «فن نطق الكلام على صورة تكون معاني الكلام وألفاظه واضحة»[٢].

وعليه: ففن الإلقاء يدرس كيفية حدوث الصوت، وجهاز النطق لدى الإنسان، ومخارج الحروف، وابجديات فن التجويد كالمد والقصر، والإظهار والإدغام...، وكيفية تجاوز عيوب النطق، وإبراز المعاني بحركات اليدين والعينين والرأس وغير ذلك[٣].

الحاجة إلى الخطابة ودورها في حياة المجتمع

لا يكاد ينجح صاحب فكرة أو رأي أو عقيدة، أو ينتصر قائد سياسي أو عسكري، أو يفوز داعية إصلاح بعقول الناس ومشاعرهم، إلاَّ بالكلمة البليغة، والحجة المقنعة، والخطبة المصقعة؛ لذا كانت الخطابة ولا تزال من أكثر وسائل الاتصال بالجماهير أهمية وتأثيرا، ويعود سبب ذلك إلى أن الكلمة المسموعة كبيرة الخطر، عظيمة الأثر؛ لأنها تنبض بالحيوية والحياة والحركة، وتنفجر بالأحاسيس التي يمتلئ بها قلب الخطيب، وقد اعتمدتها

---

(١) ذكر الدكتور خالد توكال مرسي في تعريف الإلقاء نفس تعريفي الدكتور عبد الجليل شلبي، والدكتور أحمد الحوفي للخطابة والذي نقلناهما قبل قليل. (ينظر: فن الإلقاء والتحرير الكتابي: ١٤).

(٢) ينظر: فن الإلقاء: د/ طه عبد الفتاح مقلد:١٩

(٣) المصدر السابق:٢٣ وما بعدها.

الأمم المتمدنة منها وغيرها طريقا للتأثير على قناعات الجماهير، ونشر المبادئ والأفكار المختلفة بينها ـ سياسية، اجتماعية، اقتصادية، دينية ـ وجعل الجماهير تتبناها وتعشقها، وتنساق خلف الخطباء إلى حيث يريدون.

إن للخطابة دورا كبيرا في حركة الكلمة وتأثيرها في عقل السامع وقلبه والواقع، بعقله حيث «يتزوَّد من موضوعات الخطابة المعلومات، والأفكار، والعقائد، وأُسس التربية الأخلاقية والاجتماعية والثقافية، فالخطابة من هذا الجانب مصدر مهم من مصادر التعلُّم والتعليم»[1].

ثم يتوغل الخطيب بمعلوماته وأفكاره من عقل السامع إلى قلبه ليثير بها عواطفه وأحاسيسه، ثم لتجد بعد ذاك طريقها إلى الواقع.

فالخطابة إذن تؤدي وظيفتين: وظيفة التعليم والتثقيف والتربية في الحقول المختلفة وبحسب مضامين الخطب، ووظيفة التأثير المباشر وتحريك السامع لتطبيق تلك المضامين التي تدعوا إليها تلك الخطب.

فلإثبات وجود الله تعالى (مثلا) استثمر الأنبياء قوة العقل في الناس، وأقاموا الحجج والبراهين والأدلة لإقناع الناس بوحدانية الله تعالى ونفي الشرك عنه، وبيَّنوا لهم أحكامه من حلاله وحرامه وأوامره ونواهيه، واستثاروا العواطف والأحاسيس ليحملوهم على أداء التكاليف الشرعية، والقيام بالواجبات الإلهية.

واستعان بها القادة السياسيون فاقنعوا الجماهير بأحقيَّة مبادئهم وصدق

---

(١) فن الخطابة وتطوره عند العرب: إيليا الحاوي: ٩

دعوتهم، فحملوهم على بذل الغالي والنفيس في سبيل نصرتها وتأييدها، فكانت الخطابة هي العصا السحرية التي يقود بها هؤلاء أممهم: إما إلى حيث العز والخير والفضيلة كما في دعوات الأنبياء والمصلحين والهداة، أو آلوهم خبالا وأوردوهم حياض الذل والهوان مستغلين عواطفهم وسذاجة عقولهم كما هو الشأن في الحكام المفسدين.

فلقد كانت الخطابة ولا زالت سلاحا ذا حدين يستخدمه دعاة الخير والعلم والفضيلة، كما يستخدمها دعاة الشرِّ والتخريب والتجهيل والرذيلة.

الحاجة إلى دراسة فن الخطابة

إذا كان للخطابة هذا الأثر العظيم في حياة المجتمعات سلبا أو إيجابا، فمن الجدير أن تدرَّس وتؤسس لها القواعد، ليعرف الخطباء وغيرهم على السواء خباياها ووسائلها الاقناعية والتأثيرية، وليستفيد أصحاب دعوات الحق منها في ترسيخ القيم والمبادئ الحقة، وليكن الجمهور على حذر فلا يغترَّ بالدعوات التي تستثمر هذه الأساليب للتأثير على قناعاته، أو تكوين اتجاهات اجتماعية تخدم أهدافا معينة.

إن الخطابة علم وفن، فهي علم: لأنها تتضمن مجموعة من القواعد والأصول والنظريات، وفن: لأن في ممارستها تطبيقا عمليا لتلك القواعد والنظريات العلمية، وفي هذا الضوء ففن الخطابة هو: ممارسة العمل الخطابي وتطبيق الأصول النظرية في الخارج وأداؤها بصورة صحيحة[1].

---

(١) دور المنبر الحسيني في التوعية: الشيخ باقر المقدسي: ١٥٧

يبقى مهما أن نعرف من أين نستنبط القواعد والأصول والنظريات العلمية للخطابة؟.

إن ذلك يتم عن طريق تحليل خطب مشاهير الخطباء، ودراستها بشكل دقيق لاستنباط الأصول العامة منها للخطابة الناجحة، وبهذه الطريقة تتقوى الخطابة ويتزوَّد الخطباء من تجارب سابقيهم، وتنضج مواهبهم ويقفون على خصائص خطب كبار الخطباء وما فيها من دقائق وأسرار.

فالخطابة إذن: «فن يكتسب ويؤخذ بالتعلُّم يحث إليه الخطى أصحاب الذوق والاستعداد لبلوغ مرحلة عليا من الأدب والبلاغة وارتقاء منبر الخطابة»[١].

ومع شهادات أصحاب الخبرة ومن لهم باع في هذا المجال، يبقى من خطل القول، القول بعدم الحاجة لدراسة هذا الفن والاكتفاء بالموهبة دون الاهتمام بقواعد وأصول هذا الفن الصحيحة.

(١) فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي: ٧

الدرس الثاني

نموذج من عملية استنباط قواعد الخطابة

تتميما للفائدة نورد هنا نموذجا لخطبة ناجحة ومؤثرة، ألا وهي خطبة سيدتنا زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة، ثم لننظر إلى بعض خصائصها الأدبية والفنية، لنقف بعد ذاك على أسرار نجاحها، ولتكون تلك الخصائص نموذجا مصغرا لقواعد الخطابة.

الخطبة

قال الراوي: نظرت إلى زينب بنت عليٍّ عليه السلام يومئذ ولم أرَ خِفرة أنطق منها....، وقد أومأت للناس أن اسكتوا، فارتدَّت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت: «الحمد لله والصلاة على أبي محمد وآله الطيبين الأخيار، أما بعد: يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا هدأت الرنَّة. إنما مثلكم كمثل التي نقضت غزلها من بعد قوَّة أنكاثا، تتخذون إيمانكم دخلا بينكم، ألا وهل فيكم إلاَّ الصلف والنطف، والصدر والشنف، وملق الإماء، وغمز الأعداء، أو كمرعى على دمنة أو قصَّة على

ملحودة، ألا ساء ما قدَّمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، أتبكون وتنحبون؟ إي والله فابكوا كثيرا، واضحكوا قليلا، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها، ولن ترحضوها بغسل أبدا، وأنَّى ترحضون قتل سليل خاتم النبُّوة، ومعدن الرسالة، وسيِّد شباب أهل الجنَّة، وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار محجتكم، ومدرة ألسنتكم، ألا ساء ما تزرون، فبعدا لكم، وسحقا، فلقد خاب السعي، وتبَّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضُربت عليكم الذلَّة والمسكنة، ويلكم يا أهل الكوفة، أتدرون أيَّ كبد لرسول الله فريتم، وأيَّ كريمة له أبرزتم، وأيَّ حرمة له انتهكتم؟ لقد جئتم شيئا إدًّا تكاد السماوات يتفطَّرن منه وتنشقُّ الأرض وتخرُّ الجبال هدًّا، لقد جئتم بها صلعاء، عنقاء، خرقاء، شوهاء، كطلاع الأرض أو ملاء السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دما! ولعذاب الآخرة أخزى وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنَّكم المهل، فإنه لا يفزه البدار، ولا يخاف فوت الثأر، وإن ربكم لبالمرصاد»[1].

أهم عناصرها الفنية

تضمنت هذه الخطبة العصماء العديد من العناصر الفنية الجديرة بحق أن تكون قواعد وأصولا للخطابة، يصدر منها الخطيب ليكون ناجحا ومؤثرا في خطابته إذا ما راعى هذه القواعد والأصول، ومن أبرزها:

---

(١) مقتل الحسين: السيد عبد الرزاق المقرم: ٣٨٧

١ـ قصر الجمل.

من الضرورة أن تكون الجمل التي يستعملها الخطيب في خطابته قصيرة، فلا يطيل الفصل بين المبتدأ والخبر، أو بين الفعل والفاعل، أو بين الصفة والموصوف أو غيرهما من المتقارنات؛ لأن جمهور الحفل الخطابي ليس له الصبر ولا القدرة الكافية على التأمل والمتابعة، فهو يلاحق المفردات والتراكيب من فم الخطيب، ولا وقت له للربط بين مفردات الجملة إن طالت، كما ليس له الصبر على انتظار نهايات الجمل «إن النثر الخطابي ينبغي أن يكون إيقاعا غير مطّرد، ولا ثابت الوزن؛ لأن ذلك يبعث على الملل. وأن تكون العبارة هي الأخرى متقسِّمة متقابلة قصيرة، وتفضَّل على العبارة المرسلة الطويلة؛ لأن العبارة التي يدرك السامع نهايتها تسرُّ السامع، وقد جبل الإنسان على السرور والفرح برؤية النهايات»[١]، لذا «فبقدر ما يقتصد الخطيب على السامع في ألفاظه وجمله، فإنه يوفِّر من انتباهه لإدراك معانيه والتأثُّر بها»[٢].

فالواجب أن يقدِّم الخطيب لجمهوره طبقًا سهلا يَسرُع فهمه واستيعابه، وتزداد أهمية قصر الجمل فيما «إذا كان الخطيب يعمد إلى التأثير السريع، فإن الجمل القصار أنسب؛ لأنها سريعة الأداء، سريعة الفهم، متلاحقة الأثر، مثلها مثل الطرقات المتوالية على الحديد المحمَّى تؤثر فيه وتشكله»[٣]. وبأدنى التفات تلاحظ ـ عزيزي القارئ ـ هذه الميزة في خطبتها عليها السلام فراجع وتأمَّل.

---

(١) في بلاغة الخطاب الإقناعي: د/ محمد العمري: ١٠٤

(٢) الخطابة: د/ نقولا فياض: ٤٢

(٣) فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي: ١٨٨

٢ ـ الإثارة.

إثارة المشاعر من أهم خصائص الاسلوب الخطابي وأكثرها تأثيرا في الجمهور، فالخطيب ـ كما سبق ـ يجب أن يقدِّم حججه وأدلته في ثوب من الإثارة، وطبعا نريد من الإثارة هنا ليس الإثارة العاطفية، بل إثارة الخيال، وعملية إثارة الخيال مهمة في الأدب يعني في الشعر والخطابة، وبتعبير أوضح: استخدام كلمات وعبارات هذه العبارات تثير خيال السامع إلى عبارات أخرى ملازمة لها، مثل التقابل بين الضدين الذي يدرس في المنطق.

وبتعبير ثالث ألّا يستخدم الخطيب لغة سردية، أو تعبير مباشر، بل يستخدم الكنايات والاستعارات التي تتحدث عنها فنون علم البلاغة.

وهذا هو الفرق الجوهري بين المحاضرة العلمية وبين الخطبة، فالخطبة يستعمل فيها الخطيب لغة فنية أدبية متعمدا على الصور الفنية كالاستعارة والتشبيه والكنايات، بينما لغة المحاضرة العلمية تكون لغة تقريرية مباشرة.

وقد استخدمت عليها السلام ثلاثة أساليب لتحقيق عنصر الإثارة وهي:

أ) التقابل.

ويقصد به: أن يكون التنوع في العبارة خاضعا لنمط معين من العلاقة المتقابلة بين ظاهرتين أو مجموعة ظواهر[1]، مثل: الضحك والبكاء، والمهل والبدار، وكثير وقليل، إذا كانت الظاهرتان متضادتين، وقد تكون الألفاظ

(١) القواعد البلاغية: د/ محمود البستاني: ١٤٦

المتقابلة منقسمة إلى أجزاء يقف كل جزء منها قبالة الأجزاء الأخرى»[١]، كقولها عليها السلام: لقد جئتم بها صلعاء، خرقاء، شوهاء.....، وكالتقابل بين: خاب السعي، وتبَّت الأيدي، وخسرت الصفقة، وكالتقابل بين الدمنة والملحودة.

والخلاصة: استعمال الألفاظ والعبارات المتقابلة في الخطبة يثير خيال الجمهور ومن ثم عاطفتهم، وهو ما يرمي إليه كل خطيب.

ب) السجع.

وهو مصطلح أدبي يراد به: «اتفاق فقرتين في الحرف الأخير»[٢]، أو «تواطؤ أو توافق الفواصل في النثر على حرف واحد»[٣]، وهو على أنواع لا حاجة للدخول في تفاصيلها، إلاَّ أن أفضل أنواعه القصير، «وهو: ما كان مؤتلفا من ألفاظ قليلة؛ لأنه يدلُّ على قوَّة المنشأ وتمكنه من الصناعة، لصعوبة إدراكه، وعزَّة اتفاقه، ووعورة مذهبه، وبعد تناوله، ثم هو أجمل صورة وأحلى وقعا»[٤] وهذا من الناحية الأدبية، أما من الناحية الفنية ـ وهو ما يهمنا أكثر ـ فإن الكلام المسجوع يتميَّز بالقدرة الفائقة على التأثير والإيحاء؛ لأنه يؤدي إلى إذكاء الانفعال، وتحقيق عملية الإقناع بواسطة الحماسة.

وقد تميَّزت خطبتها عليها السلام بهذه الميزة، وإن لم تكن تهتم بالسجع في كل المقاطع، لكنه كان واضحا في الخطبة وقد لفت ذلك نظر عبيد الله بن زياد، فقال: هل هذه سجَّاعة؟ ولعمري لقد كان أبوك شاعرا سجَّاعا! فردَّت: ما

---

(١) المصدر السابق:١٤٧

(٢) تكوين البلاغة: الشيخ علي الفرج: ٣٤٣

(٣) البديع في ضوء الأساليب القرآنية: د/ عبدالفتاح لاشين: ١٢٨

(٤) المصدر السابق:١٣١

للمرأة والسجاعة؟ فإن لي عن السجاعة لشغلا[١].

صحيح أن النبي صلى الله عليه وآله أضعف من شأن السجع ولم يعره في خطابته اهتماما، لكن ذلك لا يعني: أن استخدام اسلوب السجع في الخطابة غير مهم، وما تراه من حملة شعواء على ظاهرة السجع في الخطابة من بعض الكتاب، فما هي إلاَّ محاولة للتقليل من القيمة الفنية لخطب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام[٢].

ت) التعبير الصوري.

المراد بمصطلح الصورة أن يتضمن الخطاب بعض التشبيهات والاستعارات والكنايات، ولا تكون التعبيرات كلها مباشرة، ووجود الصور الفنية في الخطاب يدلُّ على خصوبة خيال المتكلم من جهة، كما تسموا بالسامع لتجعله يتصوَّر بخياله تلك المشاهد المعنوية التي سبكت بقالب حسي، وقد تضمنت خطبتها على العديد من التشبيهات، والتشبيه وهو: «بيان إن شيئا شارك غيره في صفة أو أكثر بواسطة أداة لغوية كالكاف ومثل»[٣]، كقولها عليها السلام: كمرعى على دمنة أو قصَّة على ملحودة، وكقولها: كطلاع الأرض وملاء السماء، وقولها: إنما مثلكم كمثل التي نقضت.

كما تضمنت الخطبة الشريفة العديد من الاستعارات، كقولها عليها السلام: ولن ترحضوها بغسل أبدا، وقولها: ملق الإماء وغمز الأعداء، الذي هو من لوازم الخانع المتطامن للقوي.

---

(١) مقتل الحسين: الشيخ عبدالزهراء الكعبي: ١١٨

(٢) ينظر: شرح نهج البلاغة: عبدالحميد بن أبي الحديد: ١/ ١٢٦

(٣) تكوين البلاغة: علي الفرج: ٢٤١

والحاصل: إن الصور الفنية في الخطاب تثير خيال السامع وضرورة الخيال تتعاظم في الخطابة؛ لأنها تعنى بالتأثير، والمرء بتأثر بما يشخص أمامه ويراه، أكثر مما قد يدأب لتمثيله في ذهنه؛ لهذا درجت الخطابة على تمثيل العواطف تمثيلا حسيا ماديا[١].

ث) الإيقاع في صيغ العبارة.

الإيقاع هو: «الأصوات التي تنتظم في شكل خاص من التعبير بحيث يبتعث على الإثارة والإمتاع والإحساس بالجمال عند السامع»[٢]، ويعبر عن الإيقاع أيضا بالموسيقى «فمن صفات الاسلوب الخطابي أن يكون موسيقيا رنانا؛ ليكون خفيفا على اللسان، حسن الوقع في الآذان»[٣].

والإيقاع «واحد من أبرز العناصر التي تمنح العبارة صفتها الفنية، بل يمكن القول إنه العنصر الوحيد الذي يكسب النص تلك الصفة؛ لبداهة أن ما يميِّز الأدب عن غيره هو التعبير الجميل عن الحقائق»[٤].

وإذا كان الأدب والفن عموما ـ والخطابة لون منهما ـ قائمين على أساس عاطفي انفعالي «فإن الإيقاع يظلُّ واحدا من أشدِّ الأشكال تعبيرا عنه، بصفة أن العاطفة تستثار حينما تواجه منبها يلحُّ على وجدان الشخص أو تركيبته النفسية»[٥]. ويتمثل الإيقاع بأشكال فنية مختلفة:

---

(١) فن الخطابة وتطوره: إيليا الحاوي: ١٠

(٢) الإسلام والفن: د/ محمود البستاني: ٢٦

(٣) فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي: ١٩٢

(٤) القواعد البلاغية: د/ محمود البستاني: ٢٦٩

(٥) الإسلام والفن: د/ محمود البستاني: ٢٦

منها: جرس العبارة.

الجرس لغة: هو الصوت، فجرس الحليِّ والطير وما شاكل صوتها[١]، وهو قيمة جوهرية في الألفاظ وبنائها اللغوي، وهو أداة التأثير الحسيِّ بما يوحيه للسامع باتساق اللفظة وتوافقها مع غيرها من الألفاظ في التعبير الأدبي[٢].

إن اقتران الألفاظ بالصوت وسيلة الإنسان التعبيرية في الكلام، والتصويت سمة تشترك في الإنسان والحيوان، إلا أن الإنسان قد استطاع بتقطيعه لهذا الصوت أن يحوِّله إلى اصطلاحات تعبيرية أصبحت قادرة على إيصال تجاربه الشعورية وعواطفه الذاتية إلى الآخرين، ثم ارتفع بها من التفاهم إلى التأثير والسيطرة الشعورية على التحكُّم بالعواطف[٣]، إن حركة الكلمات وصوتها يدغدغان الاهتمامات بعمق وأُلفة حتى قبل أن نفهم معناها عقليا، وقبل أن نشكل الأفكار التي تسببت عن هذه الكلمات[٤].

وقد أجرى بعض المتخصصين تجربة على مجموعة من الطلاب، فأسمعهم قصيدة بلغة لا يفهمونها، ولكن وبالرغم من عدم فهمهم لمعاني المفردات إلا أنها تركت فيهم تأثيرا نفسيا عميقا، فأرجعوا سبب هذا التأثر إلى جرس الألفاظ[٥].

---

(١) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي (مادة جرس)

(٢) جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د/ ماهر مهدي هلال: ٢٠

(٣) المصدر السابق:١٢٥

(٤) المصدر السابق:١٣٢

(٥) المصدر السابق.

إن بعض الحروف لها مميزات خاصة، كحروف الذلاقة الشفوية مثل: الراء واللام والنون والميم والباء والفاء، فهذه الحروف «لما ذلق بهنَّ اللسان وسهلت عليه في المنطق كثرت في أبنية الكلام»[١]، فما استعملت هذه الحروف في كلام إلا وزادته حلاوة وطلاوة وسهولة وعذوبة.

«ويشكل الجرس خصيصة ذاتية محسوسة في بناء اللفظة من خلال تباين أجراسها وحروفها التي بنيت عليها، وتشكل هذه الحروف في ائتلافها وتنافرها نغم الألفاظ وقيمتها الحسية»[٢]؛ ولهذا تؤثر كلمة على كلمة ولفظة على أخرى، ولا تكون المفاضلة بين الكلمتين إلا لاختلاف جرسيهما.

إن أصوات الألفاظ تجري بالنسبة للسمع مجرى الألوان للعين والروائح للأنف، فكما أن العيون تسرُّها الألوان الزاهية، والأنف يتلذذ بالروائح الطيبة وينفر من الروائح الكريهة، كذلك الآذان تشنف بالأصوات ذات الجرس الموسيقي العذب، فانسجام الحروف، وحلاوة جرسها، وتناغم فقراتها، والتلاؤم بين المعنى والمبنى، كل ذلك يجعل للجمل والمفردات جرسا خاصا يثير البهجة والدهشة المزدوجة باللذة والشغف عند سماعها، فلاحظ الخطبة المتقدمة وتأمل مرة بعد أخرى في تلك النغمية الخاصة التي تبتعثها العبارات، ولاحظ سلاسة النطق بها وسهولته بالرغم من أن بعض مفرداتها نادرة التداول في النصوص الأدبية.

---

(١) المصدر السابق: ١٤٤

(٢) المصدر السابق: ١٧٠

ومنها: السجع.

فهو أيضا أحد الأشكال الفنية في الإيقاع وقد تحدثنا عنه فلا نعيد.

ومنها: التوازن أو الموازنة.

التوازن هو: تساوي الفاصلتين في الوزن[1]، من غير اعتبار للقافية، كقولها عليها السلام: قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة، فكلمتا (خاتم) و(معدن) متفقتان في الوزن وكذلك (نبوَّة) و(رسالة) وكذلك قولها: وملاذ خيرتكم، ومفزع نازلتكم، ومنار محجتكم، ومدرة ألسنتكم، فكلمتا (خيرة وحجة) متفقتان وزنا، وكذلك (نازلة وألسنة).

ومنها: التجانس أو التجنيس.

وهو من الحليِّ اللفظية والألوان البديعية التي لها تأثير بليغ يجذب السامع، وتُحدث في نفسه ميلا للاستماع، والتجانس هو: «تشابه لفظين في النطق والرسم مع اختلاف المعنى»[2]، كبعض المفردات التي جاءت في الخطبة الشريفة من قبيل: رقأت، هدأت، الصلف، النطف، الشنف، الأعداء، والإماء وما شاكلها.

ولا يهمنا الخوض في تفاصيل أشكال الجناس وأنواعه، فإن ذلك موكول لكتب البلاغة، لكن ما يهمنا فيها هو إيقاعها وتأثيرها، فلا شك «إن التجاوب الموسيقي الصادر من تماثل الكلمات تماثلا كاملا أو ناقصا تطرب له الآذان، وتهتزُّ له أوتار القلوب، والمجنِّس يقصد اختلاب الأذهان وخداع

(١) جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي: ٢٥١

(٢) تكوين البلاغة: ٢٤٠

الأفكار حيث يوهم أنه يعرض على السامع معنى مكررا أو لفظا مرددا لا يجني منه السامع غير التطويل والسآمة، فإذا هو يروع ويعجب، ويأتي بمعنى مستحدث يغاير ما سبقه كلَّ المغايرة، فتأخذ السامع الدهشة لتلك المفاجئة غير المتوقعة»[1]، ولا يخرج هذا في واقع الأمر عن قانون تداعي المعاني وذلك حينما يحدث المتكلم علاقة بين مدركين مقترنين في الذهن فيستدعي حضور أحدهما حضور الآخر والثالث عند حضور الثاني وهكذا.

٣ ـ الاقتباس.

وهو لغة: طلب المتناول شعلة من النار، ثم استعير لطلب العلم والهداية[2]، واصطلاحا: «تضمين النثر شيئا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف من غير دلالة على أنه منهما»[3]، وهذا هو الفرق بينه وبين الاستشهاد، ففي الاستشهاد يصرح المتكلم بأن ما يقوله آية أو رواية، أما في الاقتباس فيضمنها كلامه دون الإشارة لكون هذا المقطع آية قرآنية أو حديثا شريفا.

ولا تخفى أهمية الاقتباس من القرآن والأحاديث الشريفة وتضمينها في فقرات الخطبة؛ لأن ذلك يسهم في إقناع الجمهور وأسر عواطفهم، فينصاع السامع للمتكلم ويسلم له زمام عقله، وقد تضمنت الخطبة الشريفة خمس اقتباسات قرآنية رغم قصرها، كما غيَّرت عليها السلام بعض الآثار المقتبسة وهو أمر جائز.

---

(١) البديع في ضوء الأساليب القرآنية: د/ عبد الفتاح لاشين: ١٧٠

(٢) المفردات في غريب القرآن (مادة قبس)

(٣) البلاغة الواضحة: علي الجارم ومصطفى أمين: ٢٧٠

٤ ـ الإكثار من أحرف الاستفتاح والتأكيد.

من الخصائص البارزة في خطبتها الشريفة إكثارها من حروف الاستفتاح والتنبيه مثل: (أما وألا) وهذا ما يدعونا للتوقف قليلا عند هذه الأدوات وفائدتها.

لـ(ألا وأما) الاستفتاحيتين وظيفتان في النص الأدبي:

الوظيفة الأولى: إثارة انتباه المخاطب[١].

لقد بات من الحقائق المعروفة إن الأساس الذي تتوقف عليه سائر العمليات العقلية هو الانتباه؛ لأن «الانتباه معناه تركيز الشعور في شيء، والإدراك هو معرفة الشيء، وبالتالي فالانتباه يسبق الإدراك ويمهد له»[٢]، وعليه فلا يمكن أن نفهم شيئا أو نفكر في شيء أو نتخيل شيئا، ما لم تسبق ذلك كله عملية الانتباه، لكن المشكلة أن الانتباه لا يثبت على شيء واحد إلّا لحظة وجيزة من الزمن[٣]، إلا في حالات خاصة لا يعنينا الحديث عنها، لكن ما يرتبط بموضوعنا هو أن يتوفر الخطيب على قدرة جذب انتباه الجمهور لخطابه باستمرار؛ لأن «جلب انتباه السامعين هدف وغاية بالنسبة للخطيب، فمحتوى الخطبة يجب أن يصل للجمهور ويبلغ بذلك مبلغه وغايته»[٤].

---

(١) وهو ما يعبر عنه ارسطو بالإهابة بالسامع. الخطابة: أرسطو: ترجمة د/ عبد الرحمن بدوي: ٢٣٨

(٢) أصول علم النفس: د/ أحمد عزت راجح: ١٧٨

(٣) المصدر السابق:١٨٣

(٤) الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي: ياسين النصير: ٤٩

وللاستهلال في بعض صوره القدرة على «تحقيق الإثارة النفسية لدى السامع، والإثارة المعنية هنا: هي أن يثير الخطيب في استهلاله تلك الأحوال أو ذلك الوضع النفسي الخاص ليحقق مبدأ جلب الانتباه وانقياد السامع إلى جوهر الموضوع، وبالتالي وصول الرسالة بشكل أفضل»[١].

ولا يكفي ذلك أن يكون في أول الخطبة فقط، فإن «جذب انتباه السامعين أمر مشترك بين كل أجزاء الكلام كلما اقتضى الأمر ذلك؛ لأن الانتباه يتراخى في سائر المواضع أكثر منه في الاستهلال؛ ولهذا فمن المضحك أن نقتضي ذلك في البداية حيث الجميع يصغون بانتباه شديد؛ ولهذا فإنه حين تأتي اللحظة المناسبة ينبغي على الخطيب أن يقول: (أعيروني انتباهكم) أو (التفتوا إليَّ) أو ما شاكل ذلك من الصيغ والعبارات»[٢]، إلا إن أمثال هذه التعبيرات كانت سائغة في الخطابة اليونانية، أما في الخطابة العربية فهناك بعض الأدوات والأساليب التي تؤدي وظيفة جلب انتباه الجمهور كالنداء مثل: يا أيها الناس، أو يا أهل الكوفة، أو أيها الأخوة وما شاكل، بالإضافة إلى ألا وأما، وقد لاحظنا أنها عليها السلام افتتحت خطابها بعد الحمد والثناء على الله والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله: أما بعد يا أهل الكوفة...

وقد كررت التنبيه بألا في ثلاثة مواضع أخرى: «ألا وهل فيكم إلا الصلف»، «ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم»، «ألا ساء ما تزرون».

---

(١) المصدر السابق: ٥١

(٢) ينظر: الخطابة: ارسطو: ٢٣٩

الوظيفة الثانية: التحقيق والتأكيد.

أي تأكيد مضمون الجملة، وبهذه الوظيفة تشترك مع (إي الجوابية، وقد التي للتحقيق)[١] والتي ترددت هي الأخرى في الخطبة (إي والله فابكوا كثيرا)، (فلقد خاب السعي)، (لقد جئتم بها صلعاء)، (لقد جئتم شيئا إدًّا).

وحقق الأمر: أثبته وصدَّقه، يقال: حقق الظن، وحقق القول والقضية والشيء والأمر أحكمه[٢].

وتبرز أهمية تحقيق الخبر وتأكيده في الخطابة من ناحية الإقناع والتأثير، وذلك بتصديق المخبر لنفسه، فيرتفع كل شكٍّ أو ظن من نفس السامع ويذعن لمضمون الخبر، قال جوستاف لو بون: «إن التكرار والتوكيد عاملان قويان في تكوين الآراء وانتشارها، وإليهما تستند التربية في كثير من المسائل»[٣].

خلاصة القول: لم تكن هذه كل العناصر الفنية التي يمكن أن تؤسس كأصول وقواعد للخطابة الناجحة، لكنما أردنا فيما مرَّ التعريف بكيفية تأصيل القواعد في الخطابة.

لمحة موجزة في تاريخ الخطابة

الخطابة فن من أقدم الفنون الأدبية في العالم، إذ وجدت مع وجود

---

(١) قال ابن هشام في معني اللبيب: بأن إي الجوابية تفيد تصديق المخبر ولإعلام المستخبر: ١/ ٦٨، أما قد التي للتحقيق فقد نصَّ كل علماء اللغة على إفادتها لهذا المعنى: ينظر: معني اللبيب: ابن هشام الأنصاري: ١/ ١٥٣.

(٢) المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية (مادة حقق).

(٣) الآراء والمعتقدات: جوستاف لو بون:١٤٧.

الإنسان واتخذها المرشدون والمصلحون والقادة أداة لإقناع الجماهير والتأثير فيهم واستمالتهم لمبدأ أو رأي أو عقيدة، أو حثهم لحرب أو سلم.

وقد عرفت جميع الأمم هذه الممارسة الإعلامية، لكنها اختلفت من ناحية نضج الممارسة وتطورها، تبعا للأجواء العلمية والثقافية.

ولمناخات الحرية التي سادت بعض المجتمعات أكبر الأثر في تطور الخطابة ونضوجها، فقد نقل التاريخ أن الخطابة وصلت عند اليونانيين في القرن الخامس قبل الميلاد إلى مستوى النضج والمثالية، وهكذا عرفها الهنود حيث استخدمها بوذا سلاحا لنشر تعاليمه الدينية آنذاك.

أما عند العرب فكانت خبزهم اليومي وأسواقها رائجة، وقد استعملوها في الخير والشرِّ على السواء، ثم ازدادت أهميتها عند مجيءِ الإسلام، وزاد عطاؤها بسبب الصراع الجديد بين الداعي إلى الإيمان بالله سبحانه، وبين الداعين إلى الثبات على القديم المتمثل بسيرة الآباء والأجداد، وهو أمر طبيعي فكل ثورة اجتماعية أو ثقافية لا يتحقق لها النجاح ما لم تسبقها ثورة على مستوى الفكر، ومن غير المعقول أن يشتدَّ التخاصم والنزاع بين قوى الإيمان وقوى الكفر حتى يبلغ حدَّ الاقتتال من دون أن يسبق ذلك حرب فكرية وخطابية، ولقد قامت خطابات النبي صلى الله عليه وآله بدور كبير في توجيه الجماهير لقيم الإسلام وتعاليمه، وشحذ همة المقاتل المسلم في ساحات الجهاد.

لكن الخطابة العربية انحدرت بعد عهد أمير المؤمنين عليه السلام واستيلاء بني أمية على الحكم خصوصا من جهة المضمون إذ أضحت ما يشبه الإعلام

الموجَّه، وتمحورت حول تمجيد الخلفاء، وسرد الأحاديث المكذوبة على النبي صلى الله عليه وآله، بل وتدنت لأكثر من ذلك عندما غدت وسيلة للسب والشتم، عندما استنَّ بنو أمية سبَّ أمير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين.

ولم يكن حالها في زمن الدولة العباسية بأفضل مما كانت عليه زمن الأمويين إلا في أحيان نادرة. ولعل سبب رواج الخطابة في تلك العصور هو طبيعتها الشفاهية، إذ لم تكن هناك كتابة ليودع المفكرون والقادة آراءهم وأفكارهم على السطور؛ ومن ثم تنتشر وتروج الخطابة في المجتمعات التي لا تهتم بالقراءة والكتاب.

الدرس الثالث

الإسلام والخطابة

نظرا لأهمية الخطابة عني بها الشارع الإسلامي كثيرا، وقد تمثلت هذه العناية بأمرين:

الأول: تشريع الخطابة في صلاة الجمعة والعيدين حيث صيرها الإسلام في الجمعة فريضة على المسلمين ـ خصوصا في عصر الحضور ـ ويمكن أن نستشف من ذلك وبسهولة مدى اهتمام المشرع الإسلامي وعنايته بهذه الوسيلة الإعلامية الهامة في توصيل الأفكار والمعلومات والقيم والفضائل إلى الآخرين.

الثاني: التشجيع على ارتقاء منبر الخطابة، فقد كان رسول الله ﷺ يعنى بتدريب صحابته عليها، ومن صور ذلك أن وفدا من بني تميم وفد عليه فقام خطيبهم عطارد بن حاجب بن زرارة فقال: «الحمد لله الذي له علينا الفضل، والذي جعلنا ملوكا وأعطانا أموالا كثيرة نفعل فيها المعروف، وجعلنا أعزَّ أهل المشرق وأكثرهم مالا وعددا، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنا برؤوس الناس وذوي فضلهم..... ومضى يعدد فضل قبيلته، فلما فرغ من

خطبتـه التفت النبي ﷺ إلى ثابت بـن قيس وكان جهير الصوت وقال له: قم فأجب خطيبهم.

فقـام ثابت ثم قال ارتجـالا: الحمد لله الذي السـماوات والأرض خلقه، قضى فيها أمره، ووسـع كل شيء علمه، فلم يك شيء إلا من فضله، ثم كان مـما قدَّر الله أن جعلنا ملوكا، واصطفى لنا من خلقه رسـولا، أكرمهم نسـبا، وأحسـنهم زيًّا، وأصدقهم حديثـا، أنزل الله عليه كتابـه، وائتمنه على خلقه، وكان خيرته من عبادة»[1].

كـما كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم ولده الخطابة ويدعوهم لممارسـتها، ومن ذلك أنه قال للحسـن عليه السلام يوما: «قم فاخطب لأسـمع كلامـك. فقام وقال: الحمـد لله الذي من تكلم سـمع كلامه، ومن سـكت علم ما في نفسـه، ومن عاش فعليه رزقه، ومن مات فإليه معاده، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسـلم، أما بعد: فإن القبور محلتنا، والقيامـة موعدنا، والله عارفنا، وإن عليا باب من دخله كان آمنا، ومن خرج منه كان كافرا»[2].

الخطابة الحسينية، تطور الممارسة والمضمون

الخطابة الحسـينية نوع مـن أنواع الخطب الدينية، لكـن الخطباء يلتزمون في هـذا اللـون مـن الخطابة بتأبـين الإمام الحسـين عليه السلام في آخر الخطبـة، بذكر مـا جرى عليه وعـلى أسرته وأصحابه في كربـلاء، ويوردون عـادة أبياتا من

(١) المغازي: محمد بن عمر الواقدي: ٢/ ٩٧٦

(٢) بحار الأنوار: العلامة محمد باقر المجلسي: ٧٥/ ٢١٣

الشعر القريض أو الشعبي تتضمن رثاء له أو لأحد الشهداء معه، أو رثاء للنبي صلى الله عليه وآله أو أحد سادات آل البيت عليهم السلام، كما ينشد بعضهم مقطعا شعريا في بداية الخطبة أيضا، لكن لا يشترط هنا أن يكون رثائيا، بل يمكن أن يكون مديحا لآل البيت أو شعرا تعليميا أو وعظيّا....

وما يهمنا هنا هو رصد مسيرة المنبر والخطابة الحسينية عبر التاريخ من ناحيتين:

الأولى: التطور التاريخي لهذه الممارسة، وما مرَّت به من مراحل انتشار وازدهار، أو تراجع وضمور وفق الظروف التي كانت تحيط بشيعة آل البيت.

الثانية: تطوُّرها من ناحية المضمون لتواكب الحاجات الفكرية والثقافية للعصر الذي تمارس فيه.

الناحية الأولى

من غير المستبعد أن تكون المآتم الحسينية قد بدأت بعد مقتل الحسين عليه السلام مباشرة وفي نطاق أسرته، ويذكر التاريخ إن أول مأتم أُقيم للحسين عليه السلام كان في بيت يزيد بن معاوية، ثم عند القبور في كربلاء، ثم في المدينة وبالأخص عند بيوتات الهاشميين، كمأتم الإمام زين العابدين عليه السلام الذي يكشف عنه حواره مع أبي حمزة الثمالي[1].

ثم تتابعت هذه المآتم عند الإمامين الباقر والصادق وباقي الأئمة من ولدهم عليهم السلام، ومن أوضح مصاديق المآتم تلك التي كان يساهم الشعراء في

(١) المنبر الحسيني دوره ومستقبله (مجموعة مقالات): مقال للشيخ احمد الوائلي: ١٦١

إحيائها، وقد اشتهر منذ تلك العصور عدد من الشعراء والمنشدين الذين كانوا يقولون المراثي في الحسين عليه السلام، ومن هؤلاء:

١ـ موسى بن عمير الكوفي، المعروف بأبي هارون المكفوف «كان شاعرا بارعا مختصا بأبي عبد الله الصادق عليه السلام يدخل عليه فيقرأ عليه شعره»[١]، وهو الذي قال له الإمام عليه السلام في الحديث المشهور: «أنشدني كما تنشدون»[٢]، أي بالرقة، وهذا يعني أن أطوار النعي وترقيق الصوت كانت قد انتشرت في ذلك الوقت.

٢ـ سليمان بن سفيان بن السمط: المعروف بأبي داود المسترق، ويبدو أن هذا اللقب جاءه بسبب أسلوبه في إنشاد الشعر حيث كان يسترقُّ القلوب أي يأسرها، وكان ينشد أشعار السيد إسماعيل الحميري وسفيان بن مصعب العبدي أحد أبرز شعراء آل البيت عليهم السلام، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين[٣].

٣ـ أبو عمارة المنشد، كان ينشد الإمام الصادق أشعارا في مصيبة الحسين عليه السلام[٤].

٤ـ أحمد المزوق النائح، وكان ينوح بقصائد الناشئ الصغير البغدادي[٥]، ويبدو أن هذه التسمية (النائح) قد ظهرت في القرن الثالث الهجري.

كما كان هناك عدد من النساء النائحات اللاتي يقمن العزاء في البيوت

---

(١) دور المنبر الحسيني في التوعية: الشيخ باقر المقدسي: ٩٢

(٢) كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه: ٢٠٨

(٣) فهرست مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): الشيخ أبو العباس النجاشي: ١٨٣

(٤) مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النمازي

(٥) علي بن عبد الله بن الوصيف البغدادي: شاعر، ومتكلم، وفقيه، أخذ عنه الشيخ المفيد وغيره (ت/ ٣٦٥). (مستدركات علم رجال الحديث: علي النمازي: ٥/ ٤٠٨

للنساء، وأشهرهنَّ خلَّب النائحة التي كانت تنوح بقصائد الناشئ البغدادي، ويبدو أن هذه السيدة استشهدت على يد بعض أعداء آل البيت في ذلك العصر؛ لأنها كانت تنوح على الحسين عليه السلام[١].

ولم تكن هذه المآتم مقتصرة على بيوتات الهاشميين وأكابر رجالات الشيعة، بل كانت تقام في الأماكن العامة خصوصا عند قبر الحسين عليه السلام، وذلك ليلة الخامس عشر من شعبان من كل عام، كما يظهر من الرواية التالية:

عن عبدالله بن حماد البصري في رواية طويلة عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: «بلغني إن قوما يأتونه ـ الحسين عليه السلام ـ من نواحي الكوفة، وناسا من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي، فقلت له: نعم جعلت فداك قد شهدت بعض ما تصف، فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدونا من يطعن عليهم في قرابتنا، وغيرهم يهدرونهم[٢]، ويقبِّحون ما يصنعون»[٣].

ثم أخذت هذه المآتم تتنامى وتتوسع بشكل أكبر زمن الدولة البويهية[٤]

---

(١) ينظر: قاموس الرجال: محمد تقي التستري: ١٢/ ٧٧

(٢) أي يهدرون دمهم.

(٣) كامل الزيارات: ابن قولويه: ٥٣٩

(٤) استولى البويهيون، وهم طائفة من الديلم (غرب مدينة رشت الإيرانية حاليا) على ايران والعراق زمن الخليفة المستكفي بالله العباسي سنة ٣٤٣ هـ، فأقرهم على ذلك، وبقي حكمهم حتى سنة ٤٤٤هـ حينما استولى السلاجقة على بغداد، وكان البويهيون من الشيعة الزيدية، قوي الشيع بهم وتحرروا في شعائرهم الدينية.

بل وربما قبلهم فقد نقل عن أبي الفرج ابن الجوزي: «أنه جرت في العاشر من المحرم سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين للهجرة ولأول مرة في التاريخ احتفالات رسمية بيوم عاشوراء حيث أُغلقت الأسواق وسارت النادبات في شوارع بغداد»[١].

لكن وبمجرد صعود السلاجقة[٢] على الحكم في بغداد، أعلنوا الحرب على المآتم الحسينية؛ لأنهم كانوا يرونها بدعة بزعمهم، وأصدر بعض ولاتهم أمرا بتحريم هذه المجالس مما اضطر الموالين لآل البيت لإقامتها في البيوت بدلا من الأماكن العامة مرة أخرى.

وهكذا كان حال إقامة هذه المآتم ما بين مدٍّ وجزر، تقوى حينا وتضعف أخرى للظروف السياسية، وأمزجة وأهواء الحكام المتسلطين على بلاد المسلمين.

ثم حكم الوالي داود باشا العثماني[٣] بغداد وكان حاقدا على شيعة آل البيت، فمنع من إقامة المجالس الحسينية وضيَّق الخناق عليها كثيرا حتى أضطر البعض منهم إلى إقامتها في السراديب بعيدا عن العيون، وكانوا

---

(١) المنبر الحسيني دوره ومستقبله (مجموعة مقالات): مقال الدكتور: ابراهيم الحيدري: ٦٨

(٢) من قبائل الغز التركمانية قامت دولتهم في بادئ الأمر في خراسان وأذربيجان وهمدان وما جاورها، ثم راسلوا الخليفة العباسي القائم بأمر الله لإضفاء الشرعية على دولتهم، وذلك سنة ٤٢٣هـ، ثم زحفوا الى بغداد واسقطوا الدولية البويهية سنة ٤٤٧هـ، وأحدثوا في العراق فتنا طائفية كثيرة بسبب تعصبهم المذهبي.

(٣) أحد الولاة العثمانيين في مرحلة ما يعرف تاريخيا بحكومة المماليك، تولى وازرة بغداد والبصرة وشهرزور سنة ١٨١٦-١٨٣١، أرخ لحياته ومن بعده من الولاة عثمان بن سند البصري في كتابه مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود.

يتركون امرأة تدير رحى في صحن الدار؛ لئلا يسمع المارة صوت التعزية.

وانتهز البعض فرصة الصلح بين داود باشا والي بغداد المذكور والحكومة الإيرانية سنة ١٨٢١م ليقيم المجالس علنا مرَّة أخرى، وأول من أقام مجلسا بصورة علنية الشيخ موسى كاشف الغطاء في داره في النجف، ثم تبعه الشاعر المعروف الشيخ محمد نصار (صاحب النصاريات).

ثم أخذت مجالس العزاء والمآتم بالتطوُّر والانتشار على عهد علي رضا باشا الذي تولى الحكم في العراق سنة ١٨٣١م، وكان الرجل محبا لآل البيت كثيرا رغم أنه لم يكن شيعيا، وشجع على إقامتها وحضر أحد المجالس بنفسه في بغداد، وهكذا أخذت الشعائر الحسينية عامة بالتوسع والانتشار، حتى جاء مدحت باشا عام ١٨٦٨م، فمنع مسيرة المواكب لكنه اضطر إلى رفع الحظر عنها بعد مدة[1].

وبقيت المجالس الحسينية على رواجها وقوتها في العهد الملكي في العراق، إلا بعض المضايقات، ثم جاء عهد البعث فحاول منع هذه الشعائر وأغلق الحسينيات، وقتل العديد من أصحابها ومن خطباء المنبر، وقد جمع الشيخ حمزة الخويلدي أسماء من عثر عليهم من شهداء المنبر في هذه الحقبة في كتاب أسماه (شهداء المنبر الحسيني).

لكن إقامة المجالس مع ذلك بقيت بين مدٍّ وجزر حسب طبيعة صراعات النظام الخارجية، ففي حين كان النظام يقوم بخنق المجالس وقتل الخطباء أيام

(١) ينظر: المنبر الحسيني دوره ومستقبله: مقال الدكتور ابراهيم الحيدري ص ٦٩ وما بعدها

حربه الجائرة على الجمهورية الإسلامية الإيرانية، نراه يفسح المجال لإقامتها أيام ما سمي بالصراع العربي الإسرائيلي نهاية الستينات وأوائل السبعينيات من القرن الماضي، حتى سمح بإذاعة مقتل الحسين عليه السلام من الإذاعة الرسمية عام ١٩٧٢م بصوت المرحوم الشيخ عبد الزهراء الكعبي، واتخذ نفس الخطوة أيام صراعاته الأخيرة مع أمريكا، أي في الأوقات التي كان يريد أن يكون أبناء هذه الطائفة حطبا لمغامراته النزقة.

الناحية الثانية

من الواضح أن الإمام الحسين عليه السلام ما جاء بأسرته الشريفة، وحمّلها وعثاء السفر، وآلام ما جرى عليهم في الأسر بعد استشهاده، إلّا ليقوموا بدور إعلامي كي لا تضيع ملامح ثورته العظيمة وتغطى بركام الدعايات المضادة، إذ لم يكن ليسنّى له عليه السلام شرح أبعاد ثورته ومضامينها وبيان أهدافها للرأي العام بسعة وشمولية؛ لضيق وقته وتنقلاته من مكان لآخر؛ ولذا اقتصر عليه السلام على طرح بعض الشعارات المعبرة عن تلك الأهداف، وترك أمر تفعيل تلك الشعارات وبيان مضامينها على عاتق أُسرته الكريمة.

فأسرة الحسين عليهم السلام هم أول وضع أساس الخطابة الحسينية، وأقام دعائم المنبر الحسيني من خلال الخطب التي ألقاها الإمام زين العابدين عليه السلام وعماته وأخواته، وقد حفظ لنا التاريخ بعضا منها وهي:

١ ـ ثلاث خطب للإمام زين العابدين عليه السلام، واحدة في الكوفة وأخرى في الشام وثالثة على مشارف المدينة، ولعلّها أول خطبة يصح أن نعبر عنها بأنها

أول مجلس حسيني لتوفرها على كل عناصر المجلس الحسيني.

٢ ـ خطبتان للسيدة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام واحدة في الكوفة وقد أوردناها فيما سبق، وأخرى في الشام بمحضر يزيد بن معاوية.

٣ ـ خطبة للسيدة أم كلثوم بنت أمير المؤمنين عليها السلام في الكوفة.

٤ ـ خطبة للسيدة فاطمة بنت الحسين عليها السلام في الكوفة أيضا.

وقد ركزت هذه الخطب على جملة من المحاور نستعرضها بشكل سريع:

١ ـ توبيخ وتقريع أهل الكوفة، وشجب واستنكار ما قاموا به من غدر بالحسين، وهذا المعنى تكرر في جلِّ الخطب.

٢ ـ توبيخ وتقريع يزيد بن معاوية والتعريض بخلاته ومثالبه في أكثر من موضع من خطبة السيدة زينب عليها السلام.

٣ ـ التعريف بالإمام الحسين وبالإمام أمير المؤمنين عليهما السلام، وبيان فضلهما وكرامتهما عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله، وبيان مظلومية أمير المؤمنين بإقصائه عن حقه خصوصا في خطبة السيدة فاطمة بنت الحسين.

٤ ـ تعريف الإمام زين العابدين بنفسه الشريفة، وعدِّه لفضائل أُسرته تصريحا وتلويحا.

٥ ـ التركيز على مظلومية الحسين وما جرى عليه وعلى عيالاته من القتل والأسر والسلب، وبأسلوب عاطفي كان يجعل السامعين يجهشون بالبكاء.

هذه أهم المحاور التي تناولتها خطب سبايا آل البيت عليهم السلام، وهناك محاور أخرى يمكن الوقوف عليها عند التأمل في الخطب المذكورة.

والحاصل: إن قضية الحسين نشرت للرأي العام، وأُحيط بها الجمهور علما بهذه الكيفية.

وعندما أقام الأئمة من أولاد الحسين عليهم السلام مجالسهم، تكفَّلوا هم بأنفسهم بذكر ما جرى لآل البيت من فظائع ولكن دخلت مادة أخرى إلى المجالس وهي الشعر الرثائي، فكان الإمام يعرض المصيبة نثرا، ثم يأتي الشاعر لينظم ذلك شعرا.

ثم انضم عنصر ثالث في هذه المحاضر والاجتماعات ألا وهو عنصر القصة، وكانت القصص التي تروى عن حادثة عاشوراء عبارة عن أقوال الأئمة المعصومين، خصوصا إفادات الإمام زين العابدين وولده الباقر عليهما السلام وآخرين ممن حضروا معهم في كربلاء.

وكان ثمة مصدر آخر للقصص وهو ما تناقلته الناس عن تلك الحادثة، فمن غير المعقول أن تمرَّ مأساة بهذه البشاعة والدموية دون أن يذكرها أحد، بل من الطبيعي أن يتناقل الناس تفاصيل ما جرى يوم العاشر من المحرَّم، حتى من قبل مقاتلي أهل الكوفة أنفسهم، إن شعرا كقول أحدهم لامرأته وقد عذلته لإعانته عبيد الله على الحسين عليه السلام:

سلي تخبري عني وأنت ذميمة ... غداة حسين والرماح شوارع
ألم آت أقصى ما كرهت ولم أحل ... غداة الوغى والروع ما أنا صانع
معي مزنيّ لم تخنه كعوبه ... وأبيض مشحوذ الغرارين قاطع
فجردته في عصبة ليس دينهم ... كديني وإني بعد ذاك لقانع

وقد صبروا للطعن والضرب حسَّرا وقد نازلوا لو أن ذلك نافع
قتلت بريرا ثم جلت لهمة غداة الوغى لما دعا من يقارع[١]

فهو كما ترى يرسم صورة لبعض أحداث كربلاء حيث صرَّح بقتله لبرير رضي الله عنه، وأن الحسين وأصحابه قد صبروا للطعن وجاهدوا ما استطاعوا، وكقول الآخر مفتخرا:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الأسر[٢]

فهو يعترف بارتكابه لهذه الجريمة عن طريق الشعر.

كذلك نقلت عنهم حوادث كربلاء نثرا كمرويات حميد بن مسلم الأزدي التي أثبت أكثرها المؤرخون في كتبهم، وإفادات جملة من قتلة الحسين واعترافاتهم للمختار الثقفي.

إذن مصدر القصص كان مرويات الأئمة عليهم السلام، وما أخبر به من حضر المعركة من مقاتلي جيش عمر بن سعد شعرا أو نثرا.

وربما كان يضيف القاص عنصر التخييل أو التصوير على القصة؛ لإكمال رسم صورة ما جرى في مخيلة السامع، فتجمع من ذلك قصص متفرِّقة يجمع كل قاص منها ما يتناسب وسعة ذهنه وحجم اطلاعه، ثم يلقيه على مسامع الناس، ثم انتقلت هذه القصص من الصدور إلى السطور وعلى شكل قصة طويلة متسلسلة مترابطة الأحداث في أغلب الأحيان، عرفت فيما بعد بالمقاتل،

(١) بحار الأنوار: العلامة المجلسي: ٤٥/ ١٥
(٢) المصدر السابق: ٤٥/ ٥٩.

ولقد أُلِّفت العديد من الكتب في ذلك ولعل أقدمها مقتل الحسين عليه السلام لجابر بن يزيد الجعفي المتوفى سنة مئة وثمان وعشرين للهجرة[١]، ومقتل الحسين برواية عمار الدهني المتوفى سنة مئة وثلاث وثلاثين للهجرة عن الإمام الباقر عليه السلام[٢]، ومقتل الحسين لأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفى عام مئة وسبع وخمسين للهجرة[٣]، ثم توالت عشرات الكتب في هذا المجال.

ثم بدأت ـ ونظر للملل المتولد من التكرار ـ تضاف موضوعات أخرى إلى المجلس الحسيني غير الشعر والقصة، من قبيل: ذكر فضائل الحسين عليه السلام ومناقبه وكراماته والأحاديث النبوية التي جاءت فيه، ومسير السبايا من الكوفة إلى الشام وما شاكل ذلك، ثم ما لبث الأمر أن عمِّمت التجربة لتشمل النبي صلى الله عليه وآله وباقي أفراد العترة الطاهرة، واتسعت دائرة الشعر أيضا فلم يعد الأمر مقتصرا على شعر الرثاء، بل دخل فيه المديح والاحتجاج وذكر مثالب الأعداء وغيرها، ويطلق الشيخ محمد مهدي شمس الدين في كتابه ثورة الحسين في الوجدان الشعبي على خطباء هذه المرحلة صفة الخطباء الأوائل[٤]، وهو محق في ذلك إذ يبدو أن المجلس الحسيني بدأ يأخذ تنظيمه الحالي حيث اجتمع الراثي والقاص في شخص واحد.

ويبدو أيضا أنه في الحقب الزمنية التالية بدأ بعض الأجلة بتأليف مجالس

---

(١) معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي: ٤/ ٣٣٦

(٢) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر: ٢/ ٦٩

(٣) فهرست مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): ٣٢٠

(٤) ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: محمد مهدي شمس الدين: ٢٧٤

أو محاضرات كما نسميها اليوم؛ ليستفيد منها الخطباء في خطابتهم، ومن تلك الكتب: المنتخب في جمع المراثي والخطب للشيخ فخر الدين الطريحي، والفوادح الحسينية للشيخ حسين العصفور. وقد يكون الدافع وراء هذا اللون من الكتابات هو شعور هؤلاء العلماء بهبوط مستوى مضامين الخطب، بالإضافة إلى تنقيتها من الدسِّ والتشويه والقصص الملفقة، فكان هؤلاء العلماء وأمثالهم يرون أن من واجبهم التصدي لتصحيح هذه المسيرة، ولعل وضوح هذا التفسير يظهر من محاولة السيد محسن الأمين في كتابه المجالس السنية.

ثم حدث تطوُّر وتغيير آخر حيث صار الخطيب يتناول في خطبته تاريخ الإسلام وغزوات النبي صلى الله عليه وآله، ومواقف أمير المؤمنين عليه السلام، ثم ينتقل الخطيب ليربط ذلك بما جرى في كربلاء، وممن انتهج هذا التحول السيد الأمين في مجالسه السنية.

ويبدو أن السيد الأمين كان حريصا على تطوير قدرات الخطباء، وباتجاهات عدَّة:

منها: أنه رحمه الله كان يكتب المجالس ثم يعطيها أحد الخطباء ليلقيها على الجمهور.

ومنها: تدريبه البعض منهم على ممارسة الخطابة، وقد نقل عن الأستاذ جعفر الخليلي أنه زاره في بيته بدمشق قال: فدعاني إلى حضور مجلس، وقال لي: إنك ستسمع في هذا المجلس ما لم تكن سمعت، وسترى خطباء جددا أعددتهم لمثل هذا، وأنا أسعى لإعداد المزيد منهم[1].

---

(١) ينظر: المنبر الحسيني نشوؤه، حاضره، وآفاق المستقبل: الشيخ فيصل الكاظمي: ٣٤١

ثـم أخذ بعض الخطباء بتطوير مواد محاضراتهم بإضافة نصوص من نهج البلاغة، ثم يشرع الخطيب بشرح ذلك النص للجمهور، ويتعرَّض لبعض ما فيه من نكات أخلاقية أو تاريخية أو أدبية....[١]

ومـع التطوُّر الكبير وانتشـار العلـم والتقدم التكنلوجـي وتوفر مكائن الطباعـة وانتشـار الكتب والصحف، ونظـرا للتحديات التـي تواجه الأمة، تصـدَّى بعـض الخطبـاء النابهـين لإدخـال علوم أخـرى في تركيبـة المجلس الحسيني كالتفسير، وعلم النفس، والاجتماع، والتربية وغير ذلك وعلى رأس هؤلاء الشيخ أحمد الوائلي رحمه الله.

لقد خطى الشـيخ الوائلي بمضمون المحاضرة الحسـينية خطوات واسعة، وأحـدث تطورات كانت محطَّ إعجاب الجماهير عامة، ولكن لا ينبغي التوقف عند ما أنجزه الشيخ رحمه الله بل «لابد من تفكير جدِّي الآن لأن ينتقل المنبر إلى مرحلة جديدة، لأن الخطيب كان فيما مضى مصدر المعلومة لرواد منبره، أما الآن فما عاد كذلك، فالمعلومة الآن تقدَّم بثمن بسيط وبأجمل أسلوب، ومن دون أن تكلِّف المتلقي أيَّ عناء، وأقصد بذلك القنوات الفضائية وغيرها من وسـائل الإعلام المرئـي والمسـموع، ومن هنـا يتحمَّـل الخطيب مسـؤولية أكبر في تطويـر أدائه الشخصي ومضمون محاضرته، وإلا فسينصرف الناس عن الاستماع إليه»[٢].

ويقرر الشيخ الوائلي هذه الحقيقة في كتابه تجاربي مع المنبر بالقول: «أعتبر منهج تأليفي للموضوع مجرَّد حلقة في طريق، ودرجة واحدة في سلَّم طويل،

(١) المصدر السابق

(٢) مجلة الكلمة: العدد: ٥، ٢٠٠٥

وليست هي من نوع ليس في الإمكان أحسن مما كان، فقد لا يروق منهجي للآخرين وتكون نتيجة تجاربهم إن غيره أفضل وأكثر جدوى، وأرجو أن يرتقوا إلى نهاية السلم، وليست هناك غلطة أكبر من تصوُّر الوصول إلى الكمال بحيث لا مكان لمن يأتي بعدك، ويجب الالتفات هنا إلى إني عشت زمنا لم يعش فيه من سيأتي، لأن كلَّ سنة جديدة تطل على أوضاع متجددة متطوِّرة، وبناء على ذلك فقد يكون منهجي متخلفا بالقياس إلى ما يحتاجه العصر، فيأتي من يبتكر منهجا أفضل وطريقة أجدى»[1].

وكنت أعتقد إذا انكشفت الغمة عن العراق بسقوط النظام إن المجالس الحسينية ستتطور أكثر عند ذاك شكلا ومضمونا وأداء لانتشار الكتب وإنشاء معاهد الخطابة، لكن ما حصل ويحصل هو العكس تماما، فقد هبطت مضامين الخطب عند أغلب الخطباء ووصلت ومع الأسف إلى مستوى الإسفاف والتلاعب بعواطف الجمهور الحسيني باسم الحسين، وكأنهم لم يسمعوا قول الإمام زين العابدين عليه السلام للقاسم بن عوف: «يا هذا إياك أن تأتي أهل العراق فتخبرهم إنا استودعناك علما فأنا والله ما فعلنا ذلك. وإياك أن تترأس بنا فيضعك الله وإياك أن تستأكل بنا فيزيدك الله فقرا»[2].

هذا فضلا عن التكرار وفقدان الموضوعية في تناول الموضوعات وافتقاد أبسط قواعد اللغة العربية والأسلوب الخطابي.

---

(١) تجاربي مع المنبر: الشيخ أحمد الوائلي: ١٨٠

(٢) بحار الأنوار: ٢/ ١٦٢

الدرس الرابع

أنواع الخطب

قسَّم ارسطو الخطب على أساس عنصر الزمان على ثلاثة أقسام:

١ ـ الخطابة الاستشارية أو الحملية

٢ ـ الخطابة القضائية

٣ ـ الخطابة الاستدلالية.

ففي الخطابة الاستشارية يتوجه الخطيب إلى السامعين بالنصيحة، وبيان ما فيه النفع والضرر لهم، وهي متعلقة بالزمن المستقبل، فهو يريد حمل السامعين على الاعتقاد بفكرة ما وتأييدها، أو إثارتهم ضدها، كما لو دعاهم إلى حضور انتخابات أو عدم حضورها، وهي شيء لم يقع بعد ومرهون بالزمن المستقبل.

وفي الخطابة القضائية يتوجه الخطيب للدفاع أمام القضاء عن المتهم، ومن الواضح أنها تدور حول الجريمة التي يفترض أنها قد حصلت في الزمان الماضي.

أما في الخطابة الاستدلالية أو خطب المدح والذم، فإن هدف الخطيب فيها مدح شخص أو أمر معين، أو ذمُّه، وغرضه يتعلَّق بقضية خارجية ماثلة أمام الجمهور، فزمانها هو الزمان الحاضر[1].

لكن تقسيمه هذا تعرض للنقد والمناقشة من قبل من جاء بعده، لأن الزمن قد يتداخل، فقد يحتاج الخطيب في الخطب الاستدلالية إلى أن يتحدث عن مكرمات شخص حصلت منه في زمان ماض، ثم يدعو جمهوره ليحذو حذو الشخص الممدوح، فقد تداخلت حسب تقسيم أرسطو الأزمنة الثلاثة، بل الأقسام تداخلت أيضا حسب الفرض، إذ كانت استدلالية ثم تحولت إلى استشارية. لكن الإنصاف إن إشكال التداخل يأتي حتى على التقسيم الحديث للخطب القائم على تنوُّع الموضوعات، فإن الموضوعات هي الأخرى تتداخل، فقد يتناول الخطيب في الخطبة الاجتماعية مثلا أمورا دينية أو سياسية...

التقسيم الحديث للخطب

والتقسيم الحديث للخطب يقوم على أساس الموضوع الذي يتناوله الخطيب في الخطبة، فإن كان موضوعه سياسيا كانت الخطبة سياسية، وإن كان موضوعه دينيا كانت الخطبة دينية، وإن تناول موضوعا اجتماعيا كانت الخطبة اجتماعية وهكذا.

والمهم في هذا الفصل أن نعرف أنواع الخطب، وخصائص ومميزات كل

---

(١) الخطابة: أرسطو: ١٧

نوع منها، فإن هذا هو المفيد لطالب الخطابة، ولكن سنعرض فقط الأقسام التي تنفعنا منها في خطابتنا الدينية عموما والحسينية خصوصا.

١ـ الخطب السياسية

وهي الخطب التي تدور موضوعاتها حول الشؤون العامة للدولة وسياساتها والحكم فيها، فتشمل الخطب التي يلقيها الساسة الحاكمون، والنواب البرلمانيون، والمرشحون للانتخابات، والأفراد المعارضون للسلطة.

وأهم الموضوعات التي يتناولها الخطيب في هذا النوع من الخطب، القضايا الاقتصادية التي تخص البلاد، وتشريع القوانين، وعقد الاتفاقيات، وأمور الحرب والسلم، وحماية البلاد وصيانة أمنها إلى غير ذلك من موضوعات.

ويزدهر هذا النوع من الخطابة في أجواء الحرية، أي في البلدان التي تتمتع بنظام ديمقراطي، بل وحتى في الدول ذات الطابع الاستبدادي فإن الأمم لا تعدم من وجود أشخاص يمتلكون من الشجاعة ما يجعلهم يصدعون بآرائهم، ويجاهرون بمخالفتهم لتوجهات الحكومات وسياساتها، وإن كان هذا يدخل تحت ما يعبر عنه بخطب المنافرات.

وقد برز هذا النوع من الخطب عند العرب في ظل الظروف التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وتحت ظلال سقيفة بني ساعدة، يوم وقف كل من الفرقاء ـ المهاجرين والأنصار ـ يحتج بأحقيته بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بكل ما يبرر ذلك من قيم دينية واجتماعية[1].

---

(١) ينظر: بلاغة الخطاب الإقناعي: ٤٦

واستؤنفت بعد مقتل عثمان ودعاوى الزور بطلب ثأره، حيث اشعلت الفتن والحروب بين المسلمين، وكان من الطبيعي أن ينبري كل طرف من أطراف النزاع بالدفاع عن مواقفه واتجاهاته ومحاولة إقناع الناس بها، ثم توسعت بظهور الأحزاب المعارضة للسياسات الأموية، بدءا من خطابات الإمام الحسين عليه السلام ومرورا بالخطب التي كان يلقيها أتباع عبد الله بن الزبير، وقادة الخوارج، ثم على ألسنة قادة الثورات العلويين، كزيد بن علي، والمختار الثقفي، وزيد وصعصعة ابني صوحان، ومالك الأشتر، وابنه إبراهيم وغيرهم.

مجالات الخطابة السياسية

للخطابة السياسية مجالات ثلاثة:

المجال الرسمي الحكومي، بما يمثله من حكومة وبرلمان، أو أحزاب سياسية، أو أفراد مشاركين في الحكم.

المجال غير الرسمي، المتمثل بالأحزاب والهيئات والأفراد المعارضين للسلطة.

المجال شبه الرسمي أو ما يسمى بالخطب الانتخابية، وهي التي يقوم بإلقائها المرشحون للمناصب الرسمية والإدارية والنيابية[1].

ففي المجال الأول يحاول الخطيب إيجاد المبررات لأعمال الحكومة وسياساتها، وإقناع الجمهور بذلك، بينما ينبري الخطباء في المجال غير

(١) ينظر: محاضرات في النثر العربي: د/ حاتم الساعدي: ٩٤

الرسمي إلى شن الحملات الإعلامية على الحكومات لتعرية مواقفها، أو فضح سياساتها التي قد لا تخدم مصالح المجتمع، وتدور موضوعات الخطب الانتخابية غالبا، حول البرامج الإصلاحية للمرشح، ونقدا لخطط وسياسات المسؤولين السابقين، وتكثر فيها الوعود البراقة لتلبية آمال الجماهير...

الخطابة السياسية في مدرسة آل البيت وأتباعهم

مارس أغلب أئمة آل البيت عليهم السلام وغيرهم من قادة المذهب هذا النوع من الخطابة، وعلى رأس أولئك الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. وسبب الالتجاء لها واضح، إذ بنيت على المطالبة بالحقوق المادية والمعنوية التي سلبت من آل البيت عليهم السلام ابتداء من تقمص الخلافة، وانتهاء بسلب فدك.

وأحيانا استعملها الأئمة عليهم السلام لتعريف الأمة بمنزلتهم ومقامهم الشريف عند الله تعالى ورسوله، أو لكشف حقيقة جهادهم ومواقفهم في الدفاع عن الإسلام، أو لإعلام الأمة بأولوية اتِّباعهم، أو لفضح ممارسات الحكومات وساسة تلك العصور.

ولم يختلف الحال عند الموالين لهم الذين ما برحوا يسامون الخسف، ويقتَّلون أفرادا وجماعات عند كل حجر وشجر، سوى آلاف التهم والافتراءات التي تلصق بعقيدتهم ومذهبهم، مما دفع كل ذلك الحيف بقادة المذهب وأبنائه لارتقاء المنابر، والذود عن كيانهم الشخصي والعقائدي.

ومن الواضح انطباق عنوان الخطابة السياسية في المجال غير الرسمي

على جُلِّ الخطب التي وردت عن المعصومين عليهم السلام وعن أتباعهم، فخطبة مولاتنا الزهراء عليها السلام، وخطب الحسن والحسين والإمام زين العابدين والسيدة زينب عليهم السلام، وشطر كبير من خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام باستثناء القليل منها، كلها مصاديق للخطب السياسية غير الرسمية.

ومارس الخطباء الحسينيون أيضا هذا اللون من النشاط الأدبي، فبالرغم من أن الخطبة الحسينية هي بالأساس من قسم الخطب التأبينيّة، ثم تطورت لتتناول موضوعات دينية واجتماعية...، إلا أنها كانت تمزج في أغلب الأحيان بالموضوعات السياسية، نظرا للاضطهاد الذي مارسه الحكام ضدَّ أبناء هذه الطائفة، لذا كان يتصدى الخطباء لإعلان مظلومية أبناء مذهبهم، أو ذكر بعض حقوقهم المهدورة، أو فضح السياسات التي تمارس ضدَّهم أو غير ذلك.

ولم تخلُ الخطابة الحسينية حتى يومنا هذا من هذا اللون من الخطب التي تتناول القضايا السياسية، وربما غلَّف الخطباء انتقاداتهم للسلطات الحاكمة ببعض التمويهات، أو التعميمات أو غير ذلك من أساليب التخلص من بطش الأنظمة المتسلطة، وقد دفع الكثير من الخطباء حياتهم ثمنا لتناولهم موضوعات سياسية على المنبر.

ومن نماذج الخطب السياسية: الخطبة الشقشقية للإمام أمير المؤمنين عليه السلام وهي مشهورة لا حاجة لذكرها[1].

---

(١) نهج البلاغة: خطب الإمام علي: جمع الشريف الرضي (الخطبة:٢٧)

ومنها: خطبة الإمام الحسين عليه السلام في منزل البيضة، وقد خطبها في الحر بن يزيد الرياحي وأصحابه أثناء الطريق في موضع يقال له منزل البيضة، فقال عليه السلام بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله إن يدخله مدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلُّوا حرام الله، وحرَّموا حلاله، وأنا أحق من غيَّر.

وقد أتتني كتبكم، وقدمت على رسلكم ببيعتكم، إنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن تممتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم فيَّ أسوة، وإن لم تفعلوا، ونقضتم عهدكم، وخلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي لكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم. والمغرور من اغتَّر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيَّعتم، ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، وسيغنى الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

ولما آلت البيعة لأبي بكر خطب اثنا عشر صحابي في مسجد النبي يطالبون بإعادة الخلافة للإمام عليّ عليه السلام منهم: أبو ذر وخالد بن سعيد بن العاص، وهي موجودة في كتاب الخصال للشيخ الصدوق[2].

---

(١) تاريخ الطبري: محمد بن جرير الطبري: ٤/ ٣٠٥

(٢) الخصال: محمد بن علي بن بابويه القمي (الصدوق): ٤٦٢

خصائص الخطبة السياسية

للخطبة السياسية عدد من الخصائص، من المهم أن يلتفت إليها الخطيب عند إلقائه لهذا النوع من الخطب التي تتناول الموضوعات السياسية، سواء أكان في المجال الرسمي أم غيره، وهذه الخصائص إجمالا هي:

١ ـ الإيجاز

في طليعة الدعائم التي يقوم عليها الاسلوب الخطابي الإيجاز، ولا تظهر روعة الأداء الخطابي إلا في مقدرة الخطيب على التعبير عن أفكاره تعبيرا موجزا مركزا، فإن من شأن هذا التركيز أن يضفي على الأسلوب الخطابي الرشاقة والحركة ويمده بالحياة والقوة، فيكون له أبلغ الوقع وأقوى الأثر في النفوس[١].

وتشتدُّ أهمية الإيجاز في الخطابة السياسية أكثر من غيرها، فعلى الخطيب الذي يمارس هذا النوع من الخطابة كثيرا، كالمسؤولين الحكوميين وغيرهم من السياسيين تجنب الإطالة والتكرار للمعاني؛ لأن تكرار الوجه الواحد مع طول خطاباته، يبعث على الملل والنفور في نفوس السامعين، وتصاب خطبه في هذه الحالات بما يسمونه بداء اللفظية حيث يفقد تأثيره في الجمهور[٢].

ومن مظاهر الإيجاز في التعبير طرح الفضول والاستغناء عن ذكر كل ما

---

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: د/ احسان النص: ١٩٢

(٢) داء اللفظية: يعني عدم تأثر الجمهور بالكلام، بسبب تكرار الحديث في موضوع معين حتى يملَّ الناس من سماعه، فيغدو الكلام أجوفَ خاليا من التأثير.

يمكن فهمه من السياق، وعدم الخوض في التفاصيل، والاجتزاء بالإشارة العابرة السريعة، وتجنب الحشو وإطالة الجمل[١].

نعم قد تستدعي الحاجة الإطالة؛ لأجل أن يستوعب الخطيب كل الخطوط الكثيرة التي يرمي إليها، كما فعلت ذلك مولاتنا الزهراء عليها السلام في خطبتها بمسجد النبي صلى الله عليه وآله أمام المهاجرين والأنصار، أو لكون الخطيب ممن لم يمارس الخطابة السياسية بكثرة، أو لا تتاح له مواجهة الجماهير دائما، مع الأمن من الوقوع في الزلل والتكرار والإطناب.

٢ ـ اللباقة في التعبير

ومن المهم أيضا تجنب الصراحة والوضوح في القضايا ذات الحساسية، والتي قد تثير مشاعر سلبية في نفوس الجمهور، وعليه في هذه الحالات اللجوء إلى إجمال الكلام، أو استخدام العبارات والتراكيب المجملة التي تحتمل أكثر من تفسير وتأويل، حتى يتسنى له التخلص من تبعات آثارها، وحملها على معان أخرى إذا لزم الأمر، وأقل ما يمكن أن يؤديه الإجمال في العبارات: تخفيف الأثر النفسي الحاد على المتلقي.

فلاحظ مثلا قول أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الشقشقية: «فصغا رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره» ولم يحدد اسم الرجل، كما أتى بكلمة رجل نكرة، وأوضح من ذلك قوله: «مع هنٍّ وهنٍّ» فهو يتجنب هنا التصريح بأمور قد تؤخذ عليه فيما بعد.

---

(١) الخطابة العربية في عصرها الذهبي: ١٩٢

ولا يعني ذلك أن تكون الخطبة السياسية طلاسم وألغازا، لكن المهم «أن يكون الخطيب لبقا في التعبير بحيث تؤدي جمله ما يريد، فقد تكون صريحة لا التواء فيها، وقد تكون مبهمة كأكثر التصريحات السياسية»[1] متجنبا استفزاز الخصوم بشكل صريح ومباشر.

٣ ـ الاقتباس

ومن خصائص هذا الاسلوب أن يتكئ الخطيب على الاقتباس والاستشهاد بالنصوص التي تسهم في إقناع الجمهور، سواء أكانت من النصوص الدينية المقدسة كآيات الذكر الحكيم، والأحاديث المأثورة عن النبي أو عن المعصومين، أم من نصوص القوانين الوضعية والمعاهدات والاتفاقيات كلما لزم الأمر ذلك، أم من النصوص الأدبية كالأشعار والحكم والأمثال.

٤ ـ تنويع الأساليب الإقناعية والتأثيرية.

وذلك بأن يعمد الخطيب إلى الاستدلال المنطقي في إقناع الجمهور تارة، وبالنصوص المسلمة لدى الجمهور تارة أخرى، أو يلجأ إلى اسلوب المقابلة أو المقارنة ثالثة، وأهم ما يجب أن يتكئ عليه الخطيب في الخطابة السياسية التفنيد، أي تفنيد آراء الخصوم وإبطالها، فالازم له هنا أمران: الاستدلال على مدعاه بالأدلة المنطقية والخطابية من جهة، وتفنيد آراء واطروحات خصومه من جهة أخرى.

---

(١) فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي: ٧١

وينبغي ألّا يغفل عن أساليب التأثير العاطفي كالترهيب والترغيب، أو إثارة الحمية، أو اللوم والتقريع، أو التوسل بعاطفة الدين وحبِّ آل البيت أو حبّ الوطن، وقد اعتمد أغلب قادة الثورات العلوية على عاطفة حبّ آل البيت في خطبهم.

٥ ـ إثارة الخيال

الخيال: هو القدرة على إبداع الصور الذهنية عن أشياء غير ماثلة أمام الحواس، أو لم تشاهد من قبل في عالم الحقيقة والواقع[١]. والخيال جزء من الفطرة الإنسانية، فهو أحد الملكات المركوزة في النفس لتؤدي دورها في الحياة، فبه يوسِّع الإنسان حدود العالم الذي يعيش فيه[٢].

ويرتكز الأدب بشقيه الشعر والنثر عليه، بل هو من أنفع المواهب النفسية في الأدب، ولا يكاد يستغني عنه باب من أبوابه، لأنه خير وسيلة لتصوير العاطفة، وحتى الأدب العام كالتاريخ مثلا، لا غنى له عن قوة الخيال.

والخطابة بوصفها أحد الألوان الأدبية يهدف الخطيب فيها إلى الإقناع والتأثير لينقل السامع من موقف إلى آخر، ومن عقيدة إلى أخرى، باعثة فيه نزعة العمل الإيجابي، فغايته الكبرى هي أن تحول الأفكار الذهنية الجامدة إلى عواطف ينفعل بها السامع، ويتصرف بتأثيرها تصرفا لا قِبل له به[٣].

---

(١) المعجم الفلسفي: غسان صليبا: ١/ ٤٥٦

(٢) اسلوب الدعوة القرآنية، بلاغة ومنهجا: د/ عبد الغني محمد سعيد بركة: ٢٨

(٣) فن الخطابة وتطوره عند العرب: إيليا الحاوي: ٨

والحاصل: فإن المهم في الخطابة أكثر من أي شيء هو تحقيق عنصر الإثارة العاطفية، ولقد بات «من الحقائق المعروفة في حقل الاجتماع، إن الجمع يكتسب سمة جماعية يفقد من خلالها كل فرد سمته الشخصية ليندمج في المجموع، وعملية الاندماج أساسا تقوم على عاطفة شديدة»[١].

فإثارة العواطف هي الغاية الأهم في الخطابة، والعواطف لا تثار إلا من خلال «العبارات التي تثير في النفوس أخيلة وذكريات وصورا ملائمة للموضوع»[٢].

ومن الواضح فإن القضايا السياسية تقوم بالأساس على مجموعة من العواطف، كحب الوطن، والحرص على سيادته واستقلاله، والخوف على أمنه، والعناية بمقدراته البشرية والمادية...

والخطيب السياسي لا يكفيه أن يشرح للناس ضرورة حب الوطن، والحرص على أمنه مثلا، بل لابد أن يترجم هذه الألفاظ الجامدة إلى شعور، ويصوِّره السامع ليشخص أمامه وكأنه يراه، فانظر إلى قول أبي ذر وهو يصف ويصوِّر للسامع مكانة أهل البيت في الأمة «فأهل بيت محمد فينا كالسماء المبنية، والأرض المدحية، والجبال المنصوبة، والكعبة المستورة، والشمس الضاحية، والنجوم الهادية، والشجرة الزيتونة، أضاء زيتها وبورك ما حولها»[٣]، فإنك تجد هذه الألفاظ تتفجر بلونين من الطاقة، دلالتها اللغوية

---

(١) الإسلام والفن: د/ محمود البستاني: ١٤٥

(٢) فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي: ١٨٣

(٣) بحار الأنوار: ٢٨/ ٢٤٧

على المعنى، وطاقتها الشعورية بما يبثه النص من صور وظلال وإيحائية، تحققت بفضل هذا التجسيم الحسي لمكانة أهل البيت عليهم السلام في خطابه.

٦ ـ التغاير في الأسلوب

ومن خصائص الخطابة السياسية تغاير الاسلوب، ليحقق الخطيب التأثير في الجمهور، كما يشدُّ انتباههم إليه، فيجب ألّا يبقى على وتيرة واحدة، بل يتنقل في صياغة العبارة من الإنشاء إلى الإخبار مستفهما مرة، متعجبا أخرى وهكذا، فيجدد بذلك نشاط السامعين ويجلب انتباههم إليه.

عدة الخطيب السياسي

١ ـ يجب على الخطيب السياسي أن يدرس موضوعه جيدا دراسة استيعاب وتعمق، خصوصا إذا كان يخطب في مجلس يحضره سياسيون كقاعات البرلمانات؛ لأن السامعين كلهم أو بعضهم على علم ودراية بالمسائل التي يتحدث فيها، وقد يكون بعضهم أكثر إلماما منه فيها، فمن الخطأ أن يخوض في مسائل أو موضوعات يجهل أبجدياتها[1].

أما إن لم يكن من رجال السياسة كما لو كان خطيبا دينيا، وأراد أن يتعرض لموضوعات سياسية، فيجب عليه هو الأخر الإلمام بمفردات القاموس السياسي، ويدرس موضوعه جيدا، بعد أن يختاره بدقة وتأمل.

٢ ـ كما يجب أن يكون من أهل المنطق والاستدلال، كي يتمكن من إيراد

(١) ينظر: فن الخطابة: د/ أحمد الحوفي: ٦٨

الأدلة القاطعة على ما يقول[١].

٣ ـ المعرفة بروحية الجمهور الذي يخاطب، ليتمكن من النفوذ إلى مشاعرهم بأفضل وسائل الإقناع.

٤ ـ ومن أهم ما يجب أن يتمتع به الخطيب السياسي، حضور الذهن، وسرعة البديهة والقدرة على الارتجال، وإعطاء الجوابات المقنعة المسكتة، فربما يفاجأ بسؤال أو اعتراض غير متوقع، فلابد أن يكون قد أعدَّ العدة، لكل سؤال جواب، ولكل معترض رد، يمكن التوفر على ذلك من خلال التأمل في أجوبة الخطباء السابقين، وطبيعة الأسئلة التي أُمليت عليهم.

خَطَبَ صعصعة بن صوحان ذات يوم بمحضر معاوية، فعرق. فقال معاوية: بهرك القول؟ فأجاب على البديهة: إن الجياد نضَّاحة بالماء[٢].

٥ ـ أن يكون متحمسا في خطبته، حار العاطفة، متوهجها، لا يقول إلا ما كان يعتقد بصحته وصوابه، فإن الوظيفة الأساسية للخطيب هي: أن يشرك الجمهور بمشاعره وبما يحسُّ به، فإن لم يكن صادقا ومعتقدا فيما يقول فترت عزيمته، وضعف شعوره تجاه الموضوع، وسرى ذلك إلى الجمهور.

---

(١) حول الخطابة والبيان: محمد باقر شريعتي: ٣٢٣ (فارسي).

(٢) البيان والتبيين: الجاحظ: ١/ ٩٣

الدرس الخامس

٢.الخطب الحفليّة أو خطب المناسبات

وهي: الخطب التي تلقى في المناسبات الاجتماعية، كخطب التأبين، وخطب التكريم، ومن ذلك أيضا خطب الزواج[١].

خطب التأبين تلقى عند وفاة شخصية مهمة في المجتمع، والخطيب هنا يبدأ موضوعه أولا بالحديث عن أهمية وجود هكذا شخصيات في المجتمع من أمثال المتوفى. ثم يعرض بعض فضائله وصفاته الحسنة، ثم يبدي الأسف على رحيله.

وأما خطب التكريم، فتلقى عند تكريم شخص تثمينا لجهوده العلمية أو الفكرية أو الثقافية أو عمله الاجتماعي وهكذا، ويتم فيها التنويه بقيمة عمله وجهده، ثم يتوجه الخطيب بالشكر له.

ومنها خطب الزواج.

وهي الخطبة التي تلقى في طلب يد الفتاة للزواج، وفيها يبدأ الخطيب أو الخاطبة بعد المقدمة لينصت الحاضرون، ثم البسملة والصلاة على النبي وآله.

---

(١) فن الخطابة: د/ الحوفي:٨٩

ويذكر أولا فضل الزواج وأهميته في الإسلام بجملتين أو ثلاث لا أكثر. ثم يذكر آية كشاهد وحديث أو اثنين. يقول هكذا مثلا: بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله. اهتم الإسلام بالزواج، وبناء الأسرة كثيرا، فما بُني بناء في الإسلام أحب إلى الله من التزويج.

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[1].

ويقول النبي صلى الله عليه وآله: «النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني»[2].

ثم تقول: وأنتم وبحمد الله تعالى، عائلة شريفة، معروفة الحسب والنسب، ولديكم بين الناس سمعة طيبة. كذلك كريمتكم المصون فلانة، بنت مؤمنة، وذات تربية صالحة، معروفة بالعفاف والنجابة.

وولدنا فلان يرغب بالتقدم بطلب يد كريمتكم، والتشرف بمصاهرتكم، وهو شاب مؤمن، صالح، مؤدب، لديه دخل ماديّ جيد.... وكلنا أمل ألّا تردوا طلبنا، وأنتم أهل لكل مكرمة.

ويستحب من الناحية الشرعية للخاطب أن يخطب بخطبة الإمام الرضا عليه السلام تبركا، فقد ذهب الإمام عليه السلام في خطبة لبعض المقربين منه، فقال فيها: «الحمد لله الذي حمد في الكتاب نفسه، وافتتح بالحمد كتابه، وجعل الحمد أول محل نعمته، وآخر جزاء أهل طاعته، وصلى الله على محمد خير البرية، وعلى آله أئمة الرحمة، ومعادن الحكمة، والحمد لله الذي كان في

(١) سورة الأعراف:١٨٩

(٢) بحار الأنوار: ٢٢/ ١٨٠

نبئه الصادق، وكتابه الناطق، إن من أحق الأسباب بالصلة، وأولى الأمور بالتقدمة سببا أوجب نسبا وأمرا أعقب غنى، فقال جل ثناؤه: وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا»، وقال جل ثناؤه: وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم.

ولو لم تكن في المناكحة والمصاهرة آية منزلة، ولا سنة متبعة، لكان ما جعل الله فيه من برّ القريب وتألف البعيد ما رغب فيه العاقل اللبيب وسارع إليه الموفق المصيب، فأولى الناس بالله من اتبع أمره، وأنفذ حكمه، وأمضى قضاءه ورجا جزاءه، ونحن نسأل الله تعالى أن يعزم لنا ولكم على أوفق الأمور.

ثم إن فلان بن فلان من قد عرفتم مروءته وعقله وصلاحه ونيّته وفضله، وقد أحب شركتكم، وخطب كريمتكم فلانة، وبذل لها من الصداق كذا، فشفعوا شافعكم وأنكحوا خاطبكم في يسر غير عسر، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»[1].

٣ـ الخطب الاجتماعية

وهي: الخطب أو المحاضرات التي تتناول بعض مشكلات المجتمع أو الظواهر الاجتماعية[2].

---

(١) المصدر السابق:١٠٣/ ٢٦٥

(٢) فن الخطابة: د/ الحوفي:١٠٣

قبل أن نبدأ بحثنا حول الموضوع لابد أن نعطي فكرة عامة عن المشاكل الاجتماعية والظواهر الاجتماعية.

المشكلة الاجتماعية، هي: انحراف السلوك الاجتماعي عن القواعد التي حددها المجتمع للسلوك[١].

وهي على شقين: الشق الأول منها يعتبر انحراف من وجهة نظر التشريع الإسلامي، مثل مشكلة الغش التجاري، أو مشكلة تقاضي الرشوة، أو مشكلة الكذب، أو نشر الشائعات المغرضة ضد المؤمنين وهكذا. فمثل هذه الظواهر تعتبر من وجهة نظر الشرع انحراف عن جادة الحق.

وأمّا الشق الثاني فهي مشاكل اجتماعية ولكن لا تعتبر انحرافا أخلاقيا من الناحية الدينية: مثل مشكلة الطلاق، أو مشكلة البطالة، أو مشكلة عمل الأطفال، أو عمل النساء في الأسواق مع مراعاة الجوانب الشرعية[٢].

وهناك فرق بين المشكلة الاجتماعية والظاهرة الاجتماعية، هو: أن للمشكلة حُكما مُجتمعيّا سابقا لوقوعها، وهو أنها غير مرغوبة، ومدانة من قبل المجتمع، ولها عقوبة، وينظر الناس إلى فاعلها بعين الاحتقار، مثل: مُشكلة تعاطي المخدرات، والتحرش الجنسي، والاعتداء على الأطفال، والعنف ضد الزوجات....

بينما الظاهرة الاجتماعيّة فلا يوجد حُكم سابق من المجتمع بشأنها، أو لا توجد فيها عقوبة محدّدة مثل: ظاهرة الطلاق، وهجرة العقول، ومتى وُجد

(١) المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي: د/ محمد عاطف غيث: ١٠

(٢) ينظر: المصدر السابق.

لأيّ منهـا حُكم مجتمعي سـلبي، أو أصبحت تُهدّد كيـان مُجتمع محدّد تحوّلت من ظاهرة إلى مُشكلة.

بعـد أن عرفنا هذا، مـا هي أهمية تناول مثل هذه المواضيع على المنابر؟ في الواقع: تنبعُ هذه الأهميةُ مما يلي:

١ ـ في اسـتئثار هـذه المحـاضرات على مشـاعر الجمهور، وشـد انتباهه، لذلـك تكـون لهـا أصداء واسـعة بـين الجمهـور غالبـاً، ولعل مـردَّ ذلك إلى إحسـاس الجمهور بالحاجة إلى أن يعرض الخطيب هموم المجتمع ومشـاكله، وما يرتبط بحياته وعلاقاته مع الأخرين، خاصةً إذا بيَّن له الخطيب السـلوك السـوي الصائب من السلوك المنحرف، والعادة الحسنة من السيئة، والعلاقة المقبولة من المرفوضة، وهكذا.

كـما يشـعر الجمهـور بالحاجـة إلى معرفـة أسـباب بعـض الظواهـر أو السـلوكيات، وما هي العلاجات المناسـبة لها، فاذا كشـف الخطيب أسـباب تلـك الظواهر، وبـين علاج تلك الأمـراض الاجتماعية مسـتنداً في ذلك إلى آيـات الذكـر الحكيـم، والسُـنة المطهَّـرة، وسـيرة المعصومـين، والصالحين، بالإضافة إلى الدراسـات العلمية، فبكل تأكيد يشعر الجمهور بقرب الخطيب منه ومشاركته إيَّاه في همومه، وآماله، وطموحاته وبأنَّه يضع بمحاضراته هذه أجوبة لما يدور في خلد السامع من أسئلة واستفهامات.

٢ ـ والسـبب الآخـر في اهتمام الجمهور بهذا الطـراز من المحاضرات هو شـعوره بأنَّ الدين الذي اختاره، والمذهـب الذي هو عليه، قد وضع الحلول

لكل مشاكل المجتمع، وأشّر على كل ما هو سلبي، وما هو ايجابي، وبالتالي يشعر المستمع بالفخر، ويبعث ذلك في نفسه حالة من الاطمئنان لصواب اختياره لدينه ولمذهبه، ولأمله بالخلاص من تلك المشاكل، وزوال تلك المظاهر المرفوضة، مما يمنحه الأمل في حياة حرة كريمة، يسود أجواءَها العدل والمساواة والتعاون والشعور بالأمن والرضى والاستقرار.

٣ـ كما يشعر السامع عند طرح الخطيب وتناوله لمثل هذه الموضوعات التي تمسُّ تفاصيل حياته بشكل مباشر، بحرص ذلك الخطيب على سلامة المجتمع، وتنظيفهِ من العلل والأمراض الاجتماعية، مما يُنمّي انطباعاً لدى السامع بإخلاص ذلك الخطيب، وحرصه على دينه وعلى مجتمعه، وبالتالي تضاف بذلك نقطة إلى رصيد الخطيب وتعزِّز ثقة المجتمع به.

ومهمَّة الخطيب في مثل هذه المحاضرات بيان أسباب هذه المشاكل واقتراح الحلول المناسبة لها في ضوء القرآن والسنَّة، وتحديد بعض السلوكيات غير الصائبة، أو العادات والتقاليد غير الصحيحة، ووضع بعض الظواهر موضع التحليل والفحص للوصول إلى نتيجة معيَّنة إمَّا برفضها إن كانت مخالفة لتعاليم الإسلام، أو قبولها إن لم تكن كذلك.

ولا يخفى فإنَّ دور الخطيب هنا دور إصلاحي كبير، وهو بلا شك من أسمى الأهداف التي نادى بها الإسلام، بل ومن ابرز أهداف صاحب هذا المنبر الذي نرتقيه، فلم يخرج الحسين عليه السلام أشرا ولا بطراً، وإنَّما خرج لإصلاح الأُمة، كما وفي إدانة الخطيب لبعض الظواهر السلبية، وفي تشجيعه على

الظواهر والسلوكيات الإيجابية، ارتباطاً واضحاً بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو الآخر أحد أهداف سيد الشهداء عليه السلام في نهضته، وبذلك ينال الخطيب شرف مشاركة الحسين في أهدافه النبيلة التي قام من أجلها، وضحّى بنفسه الشريفة وبالأهل والأحبّة في سبيله.

بعض الأمثلة:

١ ـ مشكلة عدم الاستئذان عند دخول البيوت.

البعض من الشباب أو حتى الرجال ـ وقد يكون بحسن نية ـ يدخل بيوت أقاربه مثل بيت عمته أو خالته دون استئذان أو طرق الباب، وربما يكون لديهم بنت أو كنة من غير محارمه وتكون في وضع غير مناسب ـ بلا حجاب مثلا ـ، وفي هذه الحالة منعه قد يسبب احراجا أو زعل أهله وهكذا.

فيأتي الخطيب يناقش هذا الموضوع مفتتحا محاضرته بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ * فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[1].

فيبين الخطيب أهمية الموضوع، ويشرح الآية ويدعم كلامه بشواهد من سيرة النبي وآل البيت عليهم السلام.

٢ ـ مشكلة أخذ بعض الآباء جزء من مهر بنته.

بعض الناس إذا زوج بنته يأخذ جزءا من المهر بحجة أنه تعب عليها

(١) سورة النور: ٢٧-٢٨

وقام بتربيتها.

فيبدأ الخطيب أولا بتوضيح المشكلة، ثم يبين الحكم الشرعي المتعلق بالموضوع، كون المهر حق البنت ولكن إذا هي تبرعت بشيء منه لأبيها فلا مشكلة، أو كان تبرع من الخاطب أيضا لا مانع من ذلك، ولكن إن كان بالغصب طبعا لا يجوز. وتذكر الآيات والروايات وكلام العلماء كشواهد على ذلك.

٣ ـ ظاهرة اعتقاد البعض أن النساء ناقصات الإيمان ناقصات العقول.

فتبدأ أولا بعرض هذه المشكلة، ثم تبين أنه لا فرق في الخلقة بين الرجل والمرأة، وأنهما لا يختلفان لا من ناحية العقل ولا من ناحية قوة الإيمان بالله سبحانه. ويأتي بالأدلة على ذلك مثل رجاحة عقل بلقيس ملكة سبأ، وكيف استطاعت قيادة بلدها إلى بر الأمان.

فعندما وصلت إليها رسالة النبي سليمان (عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام)، جمعت قومها لتستشيرهم في الموقف الذي يجب أن تتخذه من تهديد سليمان لها ولقومها، ونوعيَّة الردِّ الذي تردُّ عليه، ولعلَّ هذا الالتجاء إلى الاستشارة يوحي بوجود عقل راجح تتميز به تلك المرأة، هو الذي جعلها لا تعطي رأيا، مع كونها تمتلك حق إعطاء الرأي بحكم كونها ملكة عليهم.

قال تعالى: ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾[1].

(١) سورة النمل: ٢٩-٣٢

فأرجعت الأمر إلى رجال قومها لتأخذ منهم المشورة والنصح في موقف خطير كهذا، ولكنَّهم ارجعوا الأمر إليها لثقتهم برجاحة عقلها وصواب رأيها فجعلوها صاحبة القرار الأول والأخير. وأمَّا دورهم فينحصر في تنفيذ أوامرها.

﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾[1].

وأما من ناحية الإيمان فيمكن إيراد أمثلة بامرأة فرعون ومريم، وكيف جعلهما الله قدوة للناس رجالا ونساء. ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[2].

فالمرأة الصالحة المؤمنة نموذج للمجتمع، ولا يمكن أن تكون قدوة حسنة للمجتمع لولا عمق إيمانها، ورسوخ الاعتقاد الذي تحمله في قلبها.

وهذه المرأة ليست مثالاً للنساء فقط، فالله تعالى لم يقل ضرب الله مثلا للآتي آمنَّ، بل قال ﴿لِّلَّذِينَ آمَنُوا ﴾، ثم يذكر القرآن الكريم فضائل هذه المرأة، ونرى هذه الفضائل من خلال دعائها الذي دعت به، ومنه تعرف مدى عمق إيمان هذه المرأة!

---

(١) نفس السورة: ٣٢-٣٥

(٢) سورة التحريم: ١١

خصائص الخطب الاجتماعية

١ ـ الوضوح يعني وضوح العبارات خصوصا عند عرض المشكلة.

٢ ـ الاكثار من الأدلة والشواهد.

٣ ـ لا بأس بالتطويل ما لم يؤدِّ إلى ملل السامع.

عدة الخطيب في الخطب الاجتماعية

١ ـ أن يكون دقيق الملاحظة للمشاكل والظواهر الاجتماعية.

٢ ـ مطالعة كتب علم النفس والاجتماع وغيرها من كتب المتخصصين في هذه المجالات.

٣ ـ مراجعة القرآن وكلام آل البيت عليهم السلام حتى تكون شواهده ذات قيمة في نظر السامعين.

الدرس السادس

٤.الخطب الدينية

وهي: الخطب التي تلقى لوعظ الناس وإرشادهم وتبصيرهم بأمور دينهم، وتوضيح عقائدهم، وحثهم على المعروف ونهيهم عن المنكر.

وغالبا ما تلقى في أماكن التجمعات الدينية كالمساجد والحسينيات، وبعض البيوت حيث يعقد الناس مجالس يعبر عنها بالمجالس الحسينية أو مجلس التعزية.

ولعلها تأخذ الحيز الأكبر من أنواع الخطب خصوصا عندنا نحن الشيعة بفضل ثورة الإمام الحسين عليه السلام، وتعلق الموالين بشخصه الكريم[1].

لكن الخطابة الدينية تعاني من عدة مشكلات، تسببت هذه المشكلات في فتور حماس الجمهور وعزوفهم عن حضور المجالس، إضافة لفقدان تأثيرها المطلوب في الناس، فرغم كثرة الخطباء وكثرة المجالس، وكثرة الوعظ والإرشاد إلا أننا لا نرى تطبيقا عمليا عند الناس لما يقال على المنابر، فكأنها تدخل في أذن وتخرج من أخرى، وهي بذلك ـ يعني فقدانها للتأثير ـ أصبحت مجرد فلكلور، أي عمل شكلي خالي من التأثير.

---

(١) فن الخطابة: إبراهيم بدوي:٧٣

كما وأن الكثير من الناس لم يتعلموا شيئا من هذه المنابر، فرغم كثرة المحاضرات والمجالس فلا زال الناس في جهل مطبق لا يعرفون شيئا عن عقيدتهم ولا عن معارف دينهم، ولا حتى معرفة بالأحكام الشرعية من أحكام صلاتهم وصيامهم.

أسباب ضعف الخطابة الدينية

يعود سبب ضعف الخطابة الدينية وفقدانها للتأثير في الجمهور إلى أمور كثيرة:

١ـ الاهتمام بقضية النعي وكثرته، وانتخاب الخطباء من ذوي الأصوات الجميلة والمشجية، وهذا تسبب في أمرين:

أ) أن هذه الفقرة أتاحت الفرصة لكل من هب ودب لارتقاء المنبر الحسيني، حتى وإن كان فاقدا للمؤهلات العلمية والثقافية والأخلاقية.

وعجبي كيف أن الناس لا يرضون أن يعلم أبناءهم في الصف الأول الابتدائي شخص لا يحمل شهادة تخرج من معهد المعلمين، ويقبلون أن يأخذوا معارف دينهم ومفاهيمه من شخص لا يتوفر حتى على شهادة الصف السادس الابتدائي؟

وبالتالي أثر ذلك تأثيرا كبيرا في خواء المجالس من الطبقات المثقفة والواعية، وولد انطباعا سلبيا لدى الكثير من الناس بأن كل رجال الدين جهلة.

ب) وحتى بعض الذين لهم قدرة على طرح مواضيع جيدة أهملوا ذلك،

لأنهم يعرفون أن تركيز الناس على القصيدة والنعي وليس على الموضوع، وبالتالي يوجهون طاقتهم وجهدهم لحفظ القصائد والنواعي الكثيرة.

والدليل على صحة ما أقول أنّ معاهد الخطابة نفسها غالبا لا تهتم بإعداد الخطيب إلا من هذه الناحية، أعني تعليم الخطيب أطوار النعي وأطوار القصائد دون أن تعلمه كيفية إعداد المحاضرة، ووسائل الإقناع والتأثير، وفن الإلقاء الخطابي وغير ذلك من الفنون التي تسهم في زيادة تأثير الخطيب وبالتالي تطور الخطابة عموما.

٢ـ السبب الثاني في ضعف الخطابة الدينية وضمورها، وفقدانها للتأثير، هو: أن المواضيع الدينية كثيرة جدا، من شرح وتفسير القرآن والحديث، إلى مفاهيم الإسلام، إلى العقائد، إلى مواضيع الأخلاق، إلى التاريخ الإسلامي، إلى سيرة النبي ﷺ والأئمة والصالحين، وموضوعات ما شاء الله كثرة، إلا أن الخطباء للأسف يتداولون موضوعات معينة دون غيرها، فأدى تكرارها إلى ملل السامعين، وسأمهم من هذه المواضيع.

زرت مرة أحد أقاربي وهو إمام مسجد في أحد الأقضية جنوب العراق، فقال لي: أرجو أن تخلصني الليلة من الإمامة! فظننت أنه يريد أن أئم الناس في الصلاة، لكنه أفهمني أنه كلما ارتقى خطيب منبرهم يتكلم بالإمامة، وقال: أتمنى أن تتحدث للناس عن شيء آخر غير الإمامة فقد تعبنا من هذا الكلام.

فبينما نجد هناك المئات من المشكلات الاجتماعية، والمئات من المفاهيم الإسلامية الغامضة، ومئات من المواضيع الأخلاقية مهملة ولا يتناولها

أحـد، نجد تركيزا غير معقـول على مجموعة صغيرة مـن الموضوعات تتكرر على ألسن أغلب الخطباء.

والتأسـف الآخـر أن بعضهـم يعتمد على مجالـس مكتوبـة، يحفظها من الكتب ويلقيها للناس، وهذا سلاح غير فعال، لسببين:

الأول: صعوبـة تقمص مشـاعر الكاتب وأحاسيسـه، وبالتالي يخلو عند الإلقـاء مـن العاطفـة الصادقـة، والعاطفـة الصادقة أهم عنـصر من عناصر التأثير في الخطابة.

الثـاني: أن أغلب هـذه الكتب إما قديمة جدا مثل كتاب الطريق إلى المنبر للشيخ عبد الوهاب الكاشي، وهي عبارة عن محاضرات ألقيت قبل أكثر من نصـف قرن من الزمـن، ومن الواضح أنها لا تصلح لهذا الزمان، فقد تغيرت عقليات الناس ومستويات التفكير لدى أغلب الجمهور.

وإما كتب مؤلفة حديثا ولكن مع ذلك تجدها سطحية في الطرح وتناول الموضوعات، فقد تجد في بعضها عناوين براقة، لكن المحتوى فارغ.

٣ـ السـبب الثالـث لضعـف الخطابـة الدينيـة وضمورها، وهـو فقدان أغلـب المجالـس لوحدة الموضوع، مما يـؤدي إلى عدم اسـتفادة الجمهور من المحاضرات، لأنها عبارة عن كشكول منوع لمواضيع عديدة مبتسرة.

وأنا أشـبه هذا الحالة بحالة شـخص يدعى إلى وليمـة، فيؤتى إليه بمائدة فيهـا قطعة صغـيرة من الخبز، وملعقة مـن الرز، وقطعة صغـيرة من اللحم، وأخـرى مـن الدجـاج، وثالثـة مـن السـمك، وحبة عنـب واحـدة، وقطعة

حلويات، وتمرة....

وبالنتيجة: عندما تسأل هذا الشخص عن نوع الطعام الذي تناوله، يقول لك: والله لا أدري؟

ومجالسنا هكذا حالها تبدأ بموضوع رقم واحد وتنتهي بموضوع رقم مائة.

فهذه المواضيع المتكثرة لم يدرس كل منها على حدة، وأغلب المواضيع لا يستوفي الخطيب الكلام عنها، وبالتالي المحاضرة عبارة عن رؤوس أقلام كما يقال، لا تغذي السامعين بأي معرفة دينية.

وسنتحدث عن أهمية وحدة الموضوع في درس قادم إن شاء الله تعالى.

٤ ـ ضحالة المستوى العلمي، والجمود الفكري لدى بعض الخطباء أثر تأثيرا كبيرا في فتور حماسة الجمهور وخصوصا الطبقة الواعية والمثقفة، فنرى بعضهم يرتقي المنبر وهو لا يجيد قراءة آية بشكل صحيح، أو كلامه كله إنشائي يأتي بما يجول على خاطره، وهذه الظاهرة كانت ذات تأثير سلبي كبير على المنبر الحسيني.

٥ ـ أحكام الناس أحكام مطلقة غالبا، فهم يحكمون على الجميع من ملاحظة حالة واحدة أو حالتين، وعدم الالتزام الديني والأخلاقي لدى بعض الخطباء انعكس على الآخرين، فأصبح الدعاة إلى الدين عموما موضع شك لدى الناس فيما يقولون، نظرا لبعض ما رأوا من تصرفات وسلوكيات سلبية.

٦ ـ عدم ممارسة الخطابة عن دراسة وتعلم، بل أغلبهم يرتقي المنبر بجهد

ذاتي من غير أن يعرف ابجديات فن الخطابة، ولا أوليات اعداد المحاضرة، ولا فن الإلقاء، لذلك يكون إلقاؤه رتيبا وباعثا على الملل، بل والنوم أحيانا.

سبل النهوض بالخطابة الدينية

علينا أن نلاحظ العيوب التي ذكرناها ونحاول اصلاحها، فنهتم مثلا بوحدة الموضوع، ونأتي بأفكار جديدة تساير الواقع وتلبي طموحات الشباب الواعد.

ثم يجب أن يفهم الخطباء أن وظيفتهم مقدسة، وهو أنه صوت وداعية للحسين فعليه أن يلتزم بأخلاقيات الإسلام.

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فإن انتهت فأنت حكيم

وألّا يقول شيئا هو غير مقتنع به، فإن صدق العاطفة له تأثير كبير وانعكاس عظيم على الجمهور.

كما ولابد من تعلم فنون الإلقاء والبلاغة والتمكن من ناصية الأدب، لأن الأدب مهم في الخطابة، وهذا هو سر تفوق الشيخ الوائلي على غيره من خطباء زمانه، فرغم أن موضوع بعضهم يتسم بالعمق العلمي، لكنه يخلو من الجانب الأدبي بخلاف الشيخ الوائلي الذي يطعم محاضرته بألوان من الشعر والقصص التاريخية وغير ذلك.

الدرس السابع

أجزاء الخطبة

قسم أرسطو الخطبة إلى خمسة أجزاء: مقدمة، وعرض، واستدلال، وتفنيد، وخاتمة[1].

ولكن العرض ـ وطبعا المقصود منه ما يعبر عنه بصلب الموضوع ـ وهو نفسه يتضمن الاستدلال والتفنيد، فذكر الاستدلال والتفنيد كأقسام يكون من باب تقسيم الشيء إلى نفسه وغيره. فتقسيم الخطبة إلى ثلاثة أقسام، مقدمة وعرض وخاتمة أفضل.

وسيختلف تقسيمنا للمجلس الحسيني عن هذا التقسيم، لأن الخطبة أو المجلس الحسيني يتكون من ثمانية أقسام.

أولا: المقدمة

والمقدمات في فن الخطابة أنواع كثيرة، ما يهمنا منها نوعان:

١ ـ تنبيه السامعين لما يريد أن يقول المتكلم، مثل رفع بعض المؤمنين صوته بالصلوات ثلاث مرات عند ارتقاء الخطيب المنبر.

---

(١) ينظر: فن الخطابة: د/ الحوفي: ١٢٠

أو عندما يكون هناك لغط في المجلس، وأنت تريد أن تتكلم، فتقول: أيها الناس، أعيروني مسامعكم. أو بالعامية: أخوان بلا زحمة استمعوا إلي.

كما صنع الإمام زين العابدين عليه السلام في مجلس يزيد حين قال: «أتأذن لي أن أصعد المنبر، فأتكلم بكلمات لله فيهن رضا، ولهؤلاء الجلساء أجر وثواب»[1].

وكذلك الحسين عليه السلام يوم عاشر محرم، نظرا لكثرة اللغط والأصوات من الجيش الأموي، رفع عليه السلام صوته، قائلا: «أيها الناس، اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم، بما هو حق لكم عليَّ»[2].

والمهم المقدمة التي يقصد بها جلب انتباه السامعين تتم إما عن طريق اسكاتهم بالصلوات وما شابهها، وإما بكلام يبين فائدة الخطاب لهم كما رأينا في الخطبتين السابقين. إذن يقصدون بالمقدمة أحيانا تنبيه السامعين إذا كانت محاضرة أو خطبة جمعة.

أما في المجلس الحسيني فيسمي هذا النوع من المقدمات (مقدمة)، هو ما تفتتح به الخطبة (المحاضرة) في الخطابة الحسينية، والمتضمنة للبسملة، والصلاة على النبي، والصلاة والتسليم على الحسين وأصحابه، وبعض ما يثير الحزن في نفس السامع، كقول بعض الخطباء الحسنيين: (روحي وجسمي وارواح العالمين لك الفدا، يا مسلوب العمامة والردا....)، أو ما يقوي عقيدة السامع وتمسكه بولائه لأهل البيت مثل قولهم: (ما خاب من تمسك بكم، وأمِن من لجأ إليكم...)، أو كليهما معا.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ١٣٨

(٢) المصدر السابق: ٤٥/ ٦

وربما يشير بعض الخطباء النابهين إلى محتوى موضوع محاضرته ولو بإشارة أو كلمة أو تسليم خاص على من يريد الحديث عنه في الخطبة.

والحاصل: هذا المقطع يعبر عنه بالمقدمة وهو صحيح، ولكن من الأفضل تسمية هذا الجزء من الخطبة بالاستهلال، كما صنع الشيخ محمد باقر المقدسي في كتابه (دور المنبر الحسيني في التوعية).

٢ ـ افتتاح الخطبة بنص قرآني أو حديث أو بيت شعر، هذا يعتبره المتخصصون نوع من أنواع المقدمات، أما نحن بحسب تقسيمنا الآتي لأننا نستخدم في خطابتنا كلا النوعين، لذا سوف نسميه (النص).

ويشترط فيه أن يكون عنوانا للموضوع، ودالاً عليه، ومعبرا عنه مساويا له، لا أعم منه ولا أخص، فضلا عن أن يكون مباينا للموضوع. نعم يمكن أن يكون الموضوع مصداقا من مصاديق النص، أو فردا من أفراده،

ومن أمثلة ذلك خطبة سيدتنا زينب عليها السلام في مجلس يزيد، فبدأت خطبتها بقوله تعالى، بعد التحميد والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: «﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴾ ثم استرسلت: أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض...»[1].

فيجب أن يلتفت الخطيب لهذا الجزء من المحاضرة (الخطبة) ويراعي انطباق الشروط عليه.

والأفضل أن يعبر عنه في الخطابة الحسينية بالنص، تفريقا بينه وبين ما سيأتي.

---

(١) المصدر السابق: ٤٥/ ١٣٣

٣ ـ الكلام الذي يربط بين النص الذي يفتتح به الخطيب المحاضرة وبين صلب الموضوع، ويعبرون عنها بمقدمة الموضوع.

وهي: تلك القطعة الإنشائية التي تكوِّن الجزء الابتدائي للخطبة (المحاضرة) ويأتي بها الخطيب بعد الفراغ من قراءة النص مباشرة، مستهدفا فيها تهيئة أذهان السامعين إلى الموضوع، توطئة لولوج البحث، فهي مقدمة للموضوع وتستحق هذا الاسم بجدارة.

نذكر بعض الأمثلة:

١ ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾[1].

نقول في المقدمة مثلا: «معروف أن المسلمين بعد إيمانهم بدعوة النبي محمد ﷺ آذاهم مشركو قريش وعذبوهم، وأرادوا قتل رسول الله ﷺ، فأمر الله نبيه بالهجرة من مكة إلى المدينة، فسمي هؤلاء في القرآن وفي الأدبيات الإسلامية بالمهاجرين.

أما أهل المدينة الذين استقبلوا المهاجرين وفتحوا لهم بيوتهم، وقاسموهم لقمة العيش وهم عشيرتا الأوس والخزرج، فسماهم القرآن بالأنصار.

وقد بيَّنت هذه الآية المباركة خمسة من المفاهيم التي هي عمدة بناء شخصية المسلم أو المؤمن الحقيقي، وهي: الإيمان، والهجرة، والجهاد، والإيواء، والنصرة».

---

(١) سورة الأنفال: ٧٤

٢ ـ قال أمير المؤمنين عليه السلام: «والجهاد على أربع شعب: على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن، وشنآن الفاسقين»[١].

نقول في المقدمة: «في هذا الحديث الشريف يبين الإمام عليه السلام أن الجهاد ليس شكلا واحدا، وهو الجهاد المسلح، بل أن الجهاد في الإسلام له أربع صور أو أنواع أو أشكال ـ ما شئت فعبر ـ.

النوع الأول من الجهاد: الأمر بالمعروف، **والنوع الثاني**: النهي عن المنكر، **والنوع الثالث**: الصدق في المواطن ـ أي الثبات في أرض المعركة ـ، **والنوع الرابع**: هو بغض أهل الفسوق والعصيان».

٣ ـ روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «من أحب عمل قوم أشرك في عملهم»[٢].

نقول في مقدمة الموضوع: «للشريعة الإسلامية قانونها الخاص في الثواب والعقاب، والولاء والبراءة، فالثواب وفق نظرية الإسلام لا يخص من يفعل الخير فقط، بل يعم من يرضى بفعله مهما كانت الفاصلة الزمنية بينهما بعيدة.

والعقاب لا يخص من يعمل السوء، أو يرتكب الجريمة أو الإثم، بل يعم كل من رضي بعمله، أو أقر المجرم على جرمه، متقدما كان في الزمان أم متأخرا».

١ ـ أهمية المقدمة

تعد المقدمة (بالمعنى الثالث أي مقدمة الموضوع) من الأجزاء الأساسية

---

(١) نهج البلاغة: محمد عبده: ٤/ ٩

(٢) بحار الأنوار: ٦٥/ ١٣١

والمهمة في الخطابة، وعلى الخطيب الاهتمام بها بشكل جيد، وصرف بعض الجهد والوقت لتخرج بأبهى صورة، وأجمل ثوب.

فهي المنفذ الذي يدخل منه الخطيب إلى الموضوع من جهة؛ لأنها الأساس الذي يبتني عليه الموضوع، وتتهيأ بها أذهان السامعين ويفهمون بواسطتها محتوى الموضوع، ويستوعبونه بشكل أفضل، ويدخل بها الخطيب من جهة أخرى إلى دائرة اهتمام السامع؛ إذ المفروض بالمقدمة أن يحقق الخطيب «الإثارة النفسية لدى السامع، والإثارة النفسية المعنية هنا هي أن يثير الخطيب فيها وضعا نفسيا خاصا يحقق به مبدأ جلب الانتباه، وانقياد السامع إلى جوهر الموضوع، وبالتالي وصول الرسالة بشكل أفضل»[1].

٢ ـ سمات المقدمة الجيدة

ولكي تكون المقدمة جيدة وناجحة لابد من توفرها على بعض السمات، منها:

أ) أن تكون موجزة ومركَّزة، فلا ينبغي أن يتوسع فيها الخطيب كي لا يملَّ الجمهور، أو يتصوَّروا أنه نسي أصل الموضوع، أو أن الموضوع ليس بذي أهمية.

وعليه ألّا يدخل من خلالها في استطرادات طويلة؛ لأن الاستطراد في الخطابة محله العرض (صلب الموضوع) لا المقدمة، نعم إذا كان الاستطراد بمنزلة القيد الذي يسهم في اجلاء فكرة البحث، وتوضيح خطوطه العامة

(١) الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي: ياسين النصير: ٥١

فلا بأس به.

ب) أن تكون ذات ارتباط وثيق مع العرض، ممهدة موضحة لما يأتي بعدها.

ت) أن تكون واضحة يفهم منها السامع غرض الخطيب، وفي أيِّ اتجاه يسير.

ث) ويفترض أن تكون جذابة، ذات ألفاظ لطيفة، أو مضامين أدبية عالية لتجتذب انتباه السامعين، وتستحوذ على مشاعرهم.

٣ ـ ضرورة المقدمة وعدم ضرورتها

بالرغم مما ذكرنا من أهمية المقدمة، إلا أنها تغدو غير ضرورية في بعض الحالات، ولا يحتاجها الخطيب وليباشر الموضوع مباشرة دون التمهيد له بمقدمة. لكن ضرورة الاتيان بمقدمة للموضوع تتحقق في الموارد التالية:

أ) إذا كان الخطيب مجهولا لدى الجمهور، فيجب أن يبدأ موضوعه بمقدمة جيدة تبرز مكانته العلمية، ولباقته الأدبية، وتكسبه ثقة الجمهور.

ب) إذا كان الموضوع غير مرغوب فيه يخالف اتجاهات السامعين، أو لم تجر العادة على تناول مثل هكذا مواضيع على المنبر، أو لأيِّ سبب آخر، فعليه أن يقدِّم بمقدمة يبين فيها أهمية الموضوع، أو ضرورة تناوله والبحث فيه، أو يحببه إليهم...

ت) إذا كان في المكان ضجيج، فيجب تهيئة الأجواء ولفت انتباه السامعين، والغالب أن تكون المقدمة هنا مرتجلة.

ث) إذا كان الموضوع غامضا يحتاج إلى توضيح، أو متشعبا يحتاج إلى تحديد، فتأتي المقدمة لتحديد جهة البحث.

٤ ـ مادة المقدمة

عندما يصبح من الضروري الاتيان بمقدمة للموضوع لبعض الأسباب التي بُيِّنت أعلاه، فعلى الخطيب أن يخطط لها، ويتأمل موضوعه ليرَى أيُّ الجهات فيه تحتاج إلى تقديم، وبأيِّ ثوب يقدمه، ولتوضيح الفكرة إليك بعض التفاصيل:

أ) قد يحتاج الموضوع إلى تحديد زمانه، أو مكانه، أو بعض الخصوصيات الأخرى من متعلقاته.

وحينئذ ينبغي أن تتضمن إنشاء توضيحيا، فإن كان الموضوع يحتاج إلى تقسيم مثلا عمد إلى تقسيمه، قسمين أو ثلاثة أو أكثر بحسب الأقسام المتصورة للموضوع.

فمثلا: قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

فيبدأ بتقسيم الوصية في الإسلام وأنها تنقسم على قسمين: الوصية بالمعنى الفقهي والتي يتناولها الفقهاء في الرسائل العملية في باب الوصية، والوصية بالمعنى الأخلاقي والتي يكون الهدف منها تربويا تعليميا، ويشير إلى أن الآية من القسم الثاني لا الأول، ثم يدخل في تفاصيل موضوع النوعين

(١) سورة البقرة:١٢٣

من الوصية أن كان في الوقت متسع، وإلا اقتصر على إيراد المعنى الثاني في العرض.

ب) ويمكن أن تكون المقدمة عبارة عن سؤال، أو مجموعة أسئلة يوردها الخطيب بعد تلاوة النص مباشرة. ويمكن أن تؤدي مثل هذه المقدمة وظيفتين:

الأولى: توضح نقاط الغموض، وتكشف محل البحث في الخطبة.

الثاني: تلفت انتباه السامع وتجعله مترقبا للجواب، متلهفا لمعرفته؛ لأنها تثير غريزة حب الاطلاع فيه، فمثلا قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[1].

فيشرع بمقدمته بإلقاء مجموعة من الأسئلة من قبيل: هل الإسلام دين سلم أم دين حرب؟ وإذا كان دينا يدعو إلى السلام ويحبذه، فما هو الدليل على ذلك؟ وإن كان دينا يحبذ منطق الحرب والعنف، فهل من دليل؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي يتحملها الموضوع.

ت) ويمكن أن تكون المقدمة بيانا لأهمية الموضوع، والغرض الذي سيق الحديث من أجله، فربما لا تلفت بعض المواضيع اهتمام السامع لجهله بأهمية الموضوع، أو لا يعرف الجمهور مدى ارتباط هذه القضية وحساسيتها في حياته، فما أكثر ما نغض الطرف عن أمور وأشياء نعتقد أنها لا تعنينا ثم تبيَّن أن تأثيرها في حياتنا كبير.

---

(١) سورة الأنفال: ٦١

ومـن أمثلة ذلـك: الكثير من القضايا والمشـكلات الاجتماعية التي يبدو للوهلة الأولى أنها لا تعنينا.

ث) وقد يعمد الخطيب إلى فهرسة البحث أثناء المقدمة، فيستعرض فيها مـا يريد التطـرُّق إليه من موضوعـات، ولكن مثل هذه المقدمـات قد يكون تأثيرها سلبيا في بعض الأحيان، كما لو كان الموضوع قد كثر تداوله والحديث عنه على المنابر، وحينئذ تغدو تلك المقدمة سببا لأعراض السامع عن مواصلة الاستماع.

٥ ـ حجم المقدمة

ويجـب أخـيرا ألّا تكـون المقدمة طويلـة، وأن لا تتجـاوز الخمس دقائق في أقـصى حد إذا كان طول المحاضرة خمسـا وأربعين دقيقة مثلا، لأن المقدمة ليسـت إلا تمهيدا للموضوع، وهذا ما يجعلها عنصرا من عناصر التشويق له، وتطويلها يتعارض مع مبدأ التشويق والجذب.

الدرس الثامن

ثانياً: نص افتتاح المحاضرة

عادة ما يشرع الخطباء في محاضراتهم بنص من القرآن أو الحديث أو بيت من الشعر، ويشترط في النص ما يلي:

١ ـ أن تكون قراءته بصورة صحيحة إذا كان نصا قرآنيا، وأن يتلى نصا وليس بالمعنى إذا كان حديثا شريفا، وإن يقرأ طبق القواعد النحوية إن كان بيتا من الشعر.

٢ ـ أن يكون النص قصيرا نسبيا، لأن النص إذا طال أوحى للسامع بطول المحاضرة، وبذلك يدخله الملل في أول الخطبة، مع أننا نريد أن نجذب انتباهه.

٣ ـ أن يكون دالا على الموضوع الذي يريد الخطيب الحديث عنه، وعلى أقل تقدير أن يكون كلام الخطيب أحد مصاديق النص.

لأن النص إما أن يعمد الخطيب لشرحه وتوضيحه بكل فقراته، فهنا يتساوى الموضوع مع النص. وإما أن يكون الموضوع على أقل تقدير جزءا من النص، ومصادقا له.

مثلا قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾[1].

فيقدم تمهيدا أسميناه في الدرس السابق (مقدمة الموضوع)، ثم يشرح كل فقرة من فقرات الآية الشريفة، فهنا النص تطابق مع الموضوع بشكل تام.

وإما أن نجعل الموضوع أحد مصاديق النص، ففي النص السابق مثلا نختار موضوع القتل ونتحدث عن القتل من دون شرح فقرات الآية.

وهذا النوع من المقدمات يعود للخطيب إن شاء افتتح موضوعه بنص، وإن شاء يدخل في الموضوع مباشرة، فيتحدث عن القتل مثلا دون أن يذكر الآية الشريفة.

ثالثاً: العرض (صلب الموضوع)

وهو مجموع الكلام الذي يلقيه الخطيب أثناء المحاضرة، من عرض فكرة الموضوع، والمدعى والدليل والتعريف والتمثيل والقصص والشواهد التي يذكرها الخطيب، ويمكن أن نعبر عنه بتعبير متعارف لدى الناس وهو صلب الموضوع.

ويبدأ العرض من الانتهاء من مقدمة الموضوع إلى الفقرة التاريخية في المجالس الحسينية والتي يعبرون عنها بالكوريز.

وقبل أن أدخل في هذه التفاصيل، نذكر أولا شروط العرض الجيد.

أولا: وحدة الموضوع، وأعني أن يكون للموضوع محور واحد يدور

---

(١) سورة المائدة: ٣٢

حوله الكلام، ولا تكون المحاضرة عبارة عن كشكول من موضوعات مشتتة لا ترتبط مع بعضها بأي رابط عضوي.

واعتقد إن عدم استفادة الناس كثيرا من مدرسة المنبر الحسيني تكمن في هذه النقطة، فلو كان لكل الخطباء موضوع محوري واحد يدور حوله الكلام، لما وجدنا زاوية لم يسلط عليها الضوء وفي شتى مجالات الفكر الإنساني.

لكن ما يؤسف له أن عددا غير قليل من الخطباء، يفتقد خطابهم إلى التركيز ووحدة الموضوع، فيبدأ حديثه بموضوع رقم واحد، وتنتهي محاضرته بموضوع رقم مائة.

مثل أن يكون كلامه: عن وسائل محو الذنوب. أو آداب المجالس. أو أضرار الغيبة. أو الكذب. أو سيرة حياة إمام من الأئمة. فيجب أن يكون موضوعه واحدا. ولا بأس أن تتعدد الأفكار الفرعية، بشرط أن تكون هناك فكرة رئيسة تجمع الموضوع كله.

أمثلة:

١ ـ إذا أراد التحدث عن سيرة أحد المعصومين عليهم السلام، الفكرة الرئيسة للموضوع هي بيان ما تميز به هذا الإمام من صفات، فيبدأ بمقدمة الموضوع يقول فيها مثلا: اليوم تمر علينا ذكرى وفاة الإمام الكاظم عليه السلام، وهو سابع الأئمة الهداة المعصومين، وسنتحدث في هذه المحاضرة عن جانب من خصائصه النفسية والروحية.

ثم يدخل في صلب الموضوع أو العرض فيقول: تميز الإمام عليه السلام بعدد

كبير من السجايا والصفات والخلال الحميدة، التي جعلته فردا من بين البشر، منها:

أ) **العبادة**: فتبدأ بالكلام عن فضل العبادة وأهميتها في حياة المسلم، حتى يعرف المستمع قيمة هذه الصفة ومنزلة من يتصف بها، ثم تذكر مصاديق من عبادة الإمام الكاظم عليه السلام اعتمادا على كتب السيرة التي تناولت حياته الشريفة.

ب) **الصبر**: أيضا يتكلم الخطيب عن أهمية التحلي بهذه الصفة، ويدعم كلامه بشواهد قرآنية أو حديثية، ثم يذكر مصاديق ونماذج من صبر الإمام عليه السلام.

ت) **العلم**: ويبدأ كما ذكرنا بالحديث عن أهمية العلم، ومنزلة العالم، ثم يذكر نماذج من علومه وأحاديثه القيمة.

فتلاحظون: أن الفكرة الرئيسة، هي: بيان صفات الإمام الكاظم، وكل من الكلام عن عبادته، وزهده مثلا، وعلمه، وصبره أفكار فرعية.

فالمواضيع صحيح اختلفت من عبادة إلى صبر إلى علم إلى زهد، ولكن الإطار الجامع لهما واحد، وهو صفات هذا الإمام عليه السلام.

٢ ـ أراد الخطيب أن يتحدث عن قيم التفضيل في الإسلام، فيبدأ بمقدمة تبين أصل فكرة الموضوع، فيقول مثلا: «ينقسم المجتمع (أيُّ مجتمع) إلى طبقات، فالمجتمع مهما كان صغيرا، ومهما قلَّ عدد أفراده، لا يكون مؤلفا من طبقة واحدة.

والواقع أنَّ ظاهرة الطبقية في المجتمع لا يمكن أن تشطب وتمحى بجرة

قلم، فلا يمكن أن نتصور مجتمعا يتساوى فيه أفراده من حيث المواهب والقابليات، وأن تكون لهم مهنة واحدة أو عمل واحد.

ومن الطبيعي أنَّ تغاير المهن يستوجب تغاير مستوى الدخل المادي للفرد، وبالتالي تكوَّن الطبقات بسبب اختلاف المهن والمهارات والقابليات، والمنصب الذي يشغله الفرد...

والقرآن يقر بهذه الحقيقة وهي أنَّ الناس يتفاضلون، إمَّا من جهة الرزق أو من جهة الاستعدادات، بل حتى أنبياؤه عليهم السلام لا تساوي بينهم ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾[1]. وفي آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾[2]. وفي ثالثة: ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾[3]. والحاصل: الطبقية ظاهرة لا مفر منها في المجتمع.

ولكن تفضيل إنسان على إنسان في الإسلام بأي اعتبار؟ هناك مجموعة من القيم يصبح بها الإنسان مميزا ومقدما على غيره في الإسلام، منها:

أ) التقوى: فتقول الإسلام يعتبر الشخص المتقي هو قمة من القمم في المجتمع، وتذكر الشواهد القرآنية والحديثية على ذلك، من قبيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[4]، وقوله صلى الله عليه وآله: «ليس لعربي على أعجمي

(١) سورة البقرة:٢٥٣

(٢) سورة النساء:١٦٣

(٣) سورة النحل:٧١

(٤) سورة الحجرات:١٣

فضل، ولا لأعجمي على عربي فضل، ولا لأسود على أبيض فضل، ولا لأبيض على أسود فضل إلاَّ بالتقوى»[١]، فإذن هذه أول قيمة من قيم التفضيل في الإسلام.

ب) الإيمان، فيتحدث عن أهمية الإيمان وأنه يعتبر في الإسلام أحد قيم تفضيل شخص على آخر، ويذكر الدليل على كلامه وهو قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾[٢].

ت) العلم، وهو أحد القيم التي يسمو مقام الفرد بها إسلاميا، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[٣].

ث) الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[٤].

فقد لاحظت ـ عزيزي القارئ ـ أن الفكرة الرئيسة للمحاضرة هي قيمة التفضيل في الإسلام، وكل من الإيمان، والتقوى، والعلم، والجهاد أفكار فرعية.

والخلاصة: الشرط الأول من شروط العرض الناجح والجيد وحدة الموضوع، فالسامع هنا يخرج بنتيجة واضحة، وهي أنه تعرف على موقف الإسلام من تفضيل شخص على آخر، وعلى أي أساس يكون التفضيل.

---

(١) في ظلال نهج البلاغة: محمد جواد مغنية:٣/ ١٤٣

(٢) سورة السجدة:١٨

(٣) سورة المجادلة:١١

(٤) سورة النساء:٩٥

ثانيا: الوضوح، وهو أساس المحاضرة أو المجلس الناجح، يعني أن تكون تعبيرات الخطيب وأمثلته والأدلة التي يسوقها واضحة ليس فيها لبس أو غموض أو لف ودوران بحيث لا يفهم الناس منه ما يريد أن يقول.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أفضل الكلام ما لا تمجّه الآذان، ولا يتعب فهمه الأفهام»[1].

والقدرة على الوضوح موهبة، ومع ذلك يمكن أن يحصل عليها الخطيب بالأمور التالية:

أ) كثرة التحضير للموضوع والتفكير فيه بشكل جيد، فكلما كان الموضوع واضحا في ذهن المتكلم، كلما كان أقدر على إيصاله للجمهور بشكل أفضل.

ب) دراسة فن البلاغة والتعرف على أساليب الخطباء في الكلام، وانتقاء العبارات المصطلحات المفهومة، والابتعاد عن المصطلحات الفلسفية والفنية.

ثالثا: التنظيم، يعني تنظيم القضايا بشكل متسلسل، مثل: تقديم دليل الخصم، وتأخير الرد عليه. أو عرض فكرة الموضوع، ثم ذكر الادلة والشواهد عليها.

فاذا أراد ان يتحدث عن الشفاعة يقدم اعتراضات الوهابية أولا ثم يرد عليها، ثم يذكر الادلة على ثبوت الشفاعة.

وإذا اراد أن يتحدث عن استحباب زيارة الائمة يذكر أولا المدعى، ثم

---

(١) ميزان الحكمة: محمد الريشهري: ١/ ٢٩٠

يأتي بالدليل.

والتنظيم: يسهل على الخطيب استذكار معلوماته. ويصبح الكلام واضحا للجمهور. ويستطيع أن يستغل أفضل الحالات العاطفية عند الجمهور بتأخير القضايا المثيرة للعاطفة إلى آخر المحاضرة.

مثلا: يتحدث عن حرمة الغناء في الشريعة، فيبدأ بالآيات، ثم الروايات، ثم أضرار الغناء، ثم غناء النساء في الأعراس ليخلص منه إلى عرس القاسم.

الدرس التاسع

مادة العرض

نريد بمادة العرض، ما يعبر عنه في كتب المنطق في باب فن الخطابة بالعمود والأعوان، والمقصود بمادة العرض هنا المعلومات والمعارف والنظريات والتجارب والادلة والشواهد الشعرية والقصصية والأمثلة وغير ذلك مما يسوقه الخطيب أثناء الشرح.

فعندما يفتتح الخطيب محاضرته بنص قرآني أو حديثي ـ كما مر ـ، فإنه يحتاج إلى شرح هذا النص وتبسيطه ليفهمه الناس ويستفيدوا منه، فيحتاج إلى تعريف بعض المفردات، أو إلى تقسيم بعض القضايا، أو إلى ضرب أمثلة ليتضح مقصوده من الكلام وهكذا، هذه القضايا والأشياء نسميها مادة العرض.

ومن الأمور التي يحتاجها الخطيب في العرض أو الشرح ما يأتي:

أولا: التعريف

قد يضطر الخطيب أن يوضح للجمهور معاني بعض الكلمات التي يتضمنها النص الذي يفتتح به المحاضرة، لأن فهم الجملة يتوقف أحيانا على فهم مفرداتها.

والتعريف قسمان:

تعريف لغوي: أي بيان معنى الكلمة في اللغة، أو بتعبير منطقي (شرح الاسم) فمثلا: إذا أراد أن يشرح قوله تعالى: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾[١].

فلا بأس أن يشرح الخطيب هنا معنى كلمة إبليس، ولِمَ سمي إبليس بهذا الاسم، فيقول: وهو من البلس يعني اليأس، فمعنى إبليس أي اليائس من رحمة الله.

وكذلك يأتي إلى معنى كلمة جن، فيقول: هي في اللغة تعني الستر، ولا بأس أن يذكر شواهد من القرآن على ذلك، مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ﴾[٢]، يعني فلما ستره الليل.

وإذا أحب أن يتوسع أكثر يقول: وسميت الجنة جنة، لأنها تجن المؤمن من النار أي تستره.

وبالنسبة للمخلوقات المعروفة بالجن نظرا لأنها مستورة عن حواسنا ولا يمكننا مشاهدتها، سميت بهذا الاسم.

ويبين أيضا معنى كلمة فسق في اللغة، وأنها تعني الخروج، ولذلك يطلق على من يرتكب المحرمات ويتجاوز حدود الله فاسق، لأنه خرج عن جادة الشريعة.

---

(١) سورة الكهف: ٥٠

(٢) سورة الأنعام: ٧٦

فلا بأس أن يشير إلى استعمالات المفردة في المجالات الأخرى، والفائدة من ذلك هي زيادة الخزين اللغوي لدى السامع أولا، وتوسعة في الموضوع ثانيا.

ومثلا: لو أراد شرح قوله تعالى: ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[1]، فيقول: الملتحد: يعني اللحد، واللحد هو الميل، لذلك يقال للحفرة المائلة في الأرض عن الوسط عند حفر القبر، ويقال: لمن يميل وينحرف عن الحق ملحد، يقول تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[2] يعني الذي يميلون إليه.

ومثل ذلك: لو أراد شرح خطبة سيدتنا زينب عليها السلام في الكوفة، «أما بعد، يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر. أتبكون فلا رقأت الدمعة ولا هدأت الرنة»، فعلى الخطيب هنا أن يبين معنى كلمة ختل وغدر ومعنى كلمة رقأت وكلمة رنة...

وبالنسبة لهذا القسم على الخطيب مراجعة قواميس اللغة: مثل كتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، أو مختار الصحاح للرازي، أو المعجم الوسيط الذي أعده مجمع اللغة العربية في القاهرة، وميزة هذه القواميس على القواميس الكبيرة كالعين للفراهيدي، ولسان العرب لابن منظور، أنها مرتبة على حسب الحروف الهجائية.

---

(١) سورة الكهف:٢٧

(٢) سورة النحل:١٠٣

وحتى أسماء الشخصيات الذين يتحدث عنهم الخطيب لا بأس ببيان معناها اللغوي إن كان فيها غموض، فيقول: الرباب، معناه السحاب الأبيض الرقيق، الخوصاء مثلا وهي ضرة السيد زينب عليها السلام تقول هو: من الخوص، وهو ضيق في العين مع صغرها.

أما القسم الثاني من التعريف: فهو التعريف الاصطلاحي، والمعبر عنه في المنطق بالحد والرسم، ويستعمل الخطيب هذا النوع من التعريف اذا كانت المفردة مما تتعلق بشؤون الفقه أو العبادات أو العقائد أو غير ذلك من العلوم، فهذه الكلمات لا تحتاج إلى بيان المعنى اللغوي، بل تحتاج إلى بيان معناها الاصطلاحي.

فمثلا: إذا أراد شرح قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[1]، فهنا لا حاجة لبيان المعنى اللغوي لكلمة (إجارة)، بل يراجع كتب الفقه، ويذكر تعريف الإجارة باصطلاح الفقهاء.

وإذا أراد مثلا الكلام عن النفاس، فلا حاجة لبيان معناه اللغوي، وإنما ذكر تعريف الفقهاء، وهو الدم الذي تراه المرأة...

ومثلا: إذا أراد أن يتحدث عن الإشاعات، فهنا لا حاجة لبيان المعنى اللغوي لكلمة (إشاعة)، بل يراجع الكتب المختصة في هذا الشأن ويستخرج التعريف الاصطلاحي، فيقول مثلا: «هي أكاذيب أو أنصاف حقائق تطلق من جهة فرد أو جماعة للتأثير على الرأي العام، وتغيير اتجاهاتهم»[2].

---

(١) سورة القصص: ٢٦

(٢) الشائعات وآثارها الاجتماعية المدمرة: للمؤلف: ٦

وهكـذا إذا أراد الحديث عن مصطلـح طبي وبيان حكمه الشرعي، مثل ما يعرف باللولب، فيعرفها بتعريف أهل الطب لها.

وفي التعريف الاصطلاحي على الخطيب أو المحاضر أن يرجع إلى الكتب الخاصـة بذلـك الموضوع ككتب العقائد إذا كان المصطلـح عقائديا، أو كتب الفقه إذا كان المصطلح فقهيا، وكتب الطب إن كان المصطلح طبيا وهكذا.

ثانيا: التقسيم

وهو معروف قسـمة الشيء إلى أجزائـه، وهو نوع من أنواع التعريف كما درسنا ذلك في كتاب المنطق.

وقـد يحتاج الخطيب أحيانا إلى تقسـيم الموضوع، وفائدة التقسـيم هو أنه يكشف المهارة التنظيمية للخطيب، ويزيد من وضوح الموضوع عند السامع، وتبوب المعلومات بشكل متسلسل، ولا يحصل تداخل بين أجزاء الموضوع، ولا تتقاطع أحكام الأجزاء، ففي كل جزء يذكر الخطيب الكلام الخاص به.

مثلا: «سـئل الإمـام أمير المؤمنين عـن الإيمان؟ فقال: الإيـمان على أربع دعائـم: على الصبر واليقين والعدل والجهاد. والصبر منها على أربع شـعب: على الشوق والشفق والزهد والترقب. وشرح هذه المعاني، ثم قال:

واليقـين منهـا عـلى أربع شـعب: على تبـصرة الفطنـة، وتـأول الحكمة، وموعظـة العبرة، وسـنة الأولين. وشرحها، ثم قال: والعـدل منها على أربع شـعب....»[1]، فتلاحظ أنه عليه السلام قسم الإيمان على عدة أقسام وتحدث عن كل

(١) نهج البلاغة: ٤/ ٧

قسم بشكل مفصل.

فمثلا: إذا أردنا أن نتحدث عن الأمراض التي تصيب الإنسان، نستطيع أن نقسم الموضوع، فنقول: الأمراض التي تصيب الإنسان على ثلاثة أقسام:

فهناك أمراض تصيب بدن الإنسان، وذلك بسبب خلل ما في بعض أجهزة الجسم، أو لحصول تلف في بعض أنسجته أو غير ذلك، وهي معروفة محسوسة أهونها الزكام وأشدها السرطان وغيره والعياذ بالله.

وهناك نوع من الأمراض تصيب نفس الإنسان، ويعبر عنها بالأمراض النفسية، وهي من اختصاص الأطباء النفسانيين، من قبيل: القلق، والكآبة، والوسواس القهري وغير ذلك.

وثمة نوع ثالث من الأمراض يعبر عنه القرآن بالأمراض القلبية ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[1]، ويعبر عنها علماء الأخلاق بالأمراض الأخلاقية: كالكذب، والنفاق، والرياء، والكبر، والعجب، والغرور، والحسد.

ونتحدث عن كل نوع من هذه الأمراض من وجهة نظر الشريعة الإسلامية، فالمريض بالبدن نقول: هذا النوع من الأمراض يحت الذنوب والناس تدعو للمريض بالشفاء، والله تكفل بشفائه ﴿ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[2]، وتذكر الأحاديث الواردة في فضل المرض، وما للمريض من أجر وثواب، وعناية من الله.

---

(١) سورة البقرة: ١٠

(٢) سورة الشعراء: ٨٠

وكذلك المريض النفسي، أما مرضى القلوب كالمنافقين، والكذابين، والخائنين فلا يدعو لهم أحد، بل القرآن يلعنهم ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾[١]، ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٢]، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ﴾[٣]، إلى غير ذلك من الموارد التي لعن القرآن فيها أصحاب الأمراض القلبية.

والسبب في لعنهم أنهم هم الذين أوقعوا أنفسهم في هذه الأمراض وبمحض اختيارهم، فالكاذب غير مجبر على الكذب، والحسود غير مجبر على الحسد، والمتكبر غير مجبر على التكبر، والخائن لم يجبره أحد على الخيانة...

فائدة التقسيم

فوائد التقسيم كثيرة، منها: تعريف الموضوع، ومنها: أنه يسهل عملية التنظيم، وبه تستطيع توسيع موضوع البحث.

---

(١) سورة هود:١٨

(٢) سورة آل عمران:٦١

(٣) سورة المائدة:١٣

الدرس العاشر

ثالثا: التمثيل

ونقصد بالتمثيل معنيين:

المعنى الأول: التمثيل بمعنى التشبيه.

والتشبيه فن من فنون البلاغة، وقد أتفق البيانيون على أهميته في الكلام، وعلو شأنه ورفعة منزلته بين الفنون القولية، لما له من وقع عظيم في النفس، وقدرة فائقة في التأثير والإقناع، والدقة والاختصار، فهو يكتنز الدقيق واللطيف من معاني الروعة والجمال، ويعمل على إخراج المعاني الخفية في الكلام، إلى معانٍ واضحة جلية، ويكسبها فضلاً وجمالاً وشرفاً[1].

وقد دأب القرآن الكريم في الكثير من آياته على هذا الفن، فلما تكلم تعالى عن المنافقين في سورة البقرة، ذكر هذا التشبيه: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾[2].

ومن أمثلة ذلك أيضا: تشبيه القرآن لمن يتخذون أولياء من دون الله ببيت العنكبوت. ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾.

---

(١) خصائص التشبيه: د/ محمد حسين الصغير. مقال منشور على موقع «بلاغ» في الأنترنت.

(٢) سورة البقرة:١٧

ومثل تشبيه الذين يحملون التوراة دون أن يفهموا منها شيئا بالحمار يحمل اسفارا. ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[١].

والهدف من التشبيه هو تقريب المعاني التي ليس لها وجود في الخارج بل موجودة في الذهن فقط، بتشبيهها بمعاني محسوسة موجودة في الخارج.

كان النبي صلى الله عليه وآله أحيانا لا يكتفي بتشبيه المعاني بالكلام فقط، بل يعمد إلى تشبيه عملي.

روى الإمام الصادق عليه السلام عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله نزل بأرض قرعاء ـ أي لانبت فيها ـ فقال لأصحابه: ائتوا بحطب. فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب. قال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال صلى الله عليه وآله: هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شيء طالبا، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين»[٢].

ويقول أبو الأسود الدؤلي:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصومُ

كضرائر الحسناء قلنا لوجهها ... حسدا وبغضا إنه لدميمُ[٣]

وتتعاظم أهمية التشبيه في الخطابة، لاعتبارات عديدة، منها:

---

(١) سورة الجمعة: ٥

(٢) بحار الأنوار: ٧٠/ ٣٤٦

(٣) شرح نهج البلاغة: ١/ ٣١٩

١ ـ أن جمهور الخطابة فئات متنوّعة، يختلف بعضهم عن بعض في مستوى التركيز والفهم والاستيعاب، لذا تلزم الحاجة أكثر لإكساء المعاني المعقولة ثوباً حسياً، يكشف غموض تلك المعاني، ويلبسها حُلَّة من الوضوح والشفافية.

ويعد الوضوح أحد أهم خصائص الأسلوب الخطابي، والتشبيه ـ بأي شكل كان ـ هو أحد وسائل تقريب الموضوع وتوضيحه إلى الأذهان.

٢ ـ للتشبيه وظيفة مهمة أخرى، ألا وهي إثارة الخيال. والإثارة من العناصر التي لا غنى للخطيب عنها في الخطابة، فيجب أن يعمل على إثارة عواطف جمهوره وأخيلتهم، ليتمكن من استمالتهم عن طريق الشد العاطفي.

٣ ـ وعلى فرض وضوح المعنى وعدم الحاجة للتشبيه، إلاّ إنّنا لن نحرم من فوائد أخرى له، قد يكون الخطيب بأمسِّ الحاجة إليها، كتكرار المعنى لتثبيته في النفوس. وقد لا يجد وسيلة أفضل من تشبيه أمر بأمر آخر، أو شيء بشيء يشبهه لتحقيق تلك الغاية.

ومن هنا يغدو إتقان هذا الفن ضرورياً للخطيب، فينبغي له أن يدرس هذا الفن في كتب البلاغة من ألفه إلى يائه.

وللتشبيه أدوات: مثل الكاف ومثل كأن وكلمة مثل نفسها.

المعنى الثاني للتمثيل: بمعنى ضرب الأمثلة للتوضيح، ويعبر عنه في المنطق التعريف بالمثال، فمثلا تقول: المثلة بالميت حرام في الاسلام، والمثلة هي: قطع رأس الميت أو قطع يده أو قلع عينه أو جدع أنفه.

أو تعرف الصلاة مثلا بالقول: هي القيام والقراءة والركوع والسجود والتشهد والتسليم.

مثلا: قال السيد الأمين في دعواه على أن زينب عليها السلام دفنت في المدينة يقول: الدليل على ذلك الاستصحاب. فلتوضيح كلمة الاستصحاب تقول: هو ابقاء ما كان كما كان، مثلا: إذا كنت متوضئا ثم شككت هل أحدثت أم لا تبني على الوضوء والطهارة، فهذا يسمى استصحاب.

فالسيد يقول: زينب عليها السلام دخلت المدينة ولدينا شك هل خرجت منها أم لا؟ فنستصحب بقاءها فيها.

مثال آخر: قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[1]، وابتدأ الخطيب بهذه الجملة: «لأغلب التكاليف الشرعية علاقة بحركة الشمس والقمر»، فهذه العبارة لكي تصبح واضحة عند المستمع تحتاج إلى أمثلة، فيقول: «فالصلاة مثلا لها علاقة بحركة الشمس، ومن الواضح أن فعلية الأمر بالصلاة متوقفة على زوال الشمس في صلاة الظهر، وغياب الشفق الأحمر في صلاة المغرب، وظهور الفجر بالنسبة لصلاة الصبح»[2]، ويدعم هذا الكلام بقوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[3]، وبعض التكاليف مرتبطة

(١) سورة البقرة:١٨٩

(٢) ينظر: الروافد المنبرية: للمؤلف:١/ ١٠

(٣) سورة الإسراء:٧٨

بحركة القمر كصيام شهر رمضان، ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾[١].

مثال ثالث: إذا أردنا أن نتحدث عن آداب المجالس، وأنه يجب على المؤمن العاقل والذي تربى تربية صالحة أن يخلي صدر المجلس لبعض الفئات، مثل:

١ ـ السادة: فإنَّ من حقِّ رسول الله ﷺ علينا، تكريم الصالحين من ذريته بأن نخلي لهم صدور المجالس خصوصا كبار السن منهم.

٢ ـ الكريم: ففي الحديث الشريف عن رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قومٍ فأكرموه»[٢]. ومن الواضح إنَّ التقديم في المجلس نوع من أنواع التكريم.

٣ ـ ذو الشيبة المسلم: «إنَّ من إجلال الله عز وجل، إجلالُ الشيخ الكبير»[٣]. بل إنَّ الجلوس في موضعٍ أرفع من موضع ذي الشيبة المسلم ينطوي على سوء أدب، قال رسول الله ﷺ: «منْ عرف فضل كبيرٍ لسنِّهِ فوقَّره، آمنهُ الله من فزع يوم القيامة»[٤].

٤ ـ صاحب العلم: حملة العلم، هم أيضا من جملة الذين يستحقون منَّا التقدير والاحترام، واحد أفراد هذا التقدير، وهو تقديمهم في الأماكن الرفيعة من المجالس، ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٥].

يشترط في المثال: أن يكون دالا على الفكرة، وأن يكون هو ذا نفع وفائدة.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٥

(٢) أصول الكافي: ٢/ ٦٥٩

(٣) المصدر السابق: ٢/ ٦٥٨

(٤) المصدر السابق

(٥) سورة المجادلة: ١١

رابعا: المقارنة

المقارنة في اللغة: اجتماع شيئين في مكان واحد[١]، وفي الاصطلاح: ربط موضوعين أحدهما بالآخر لاستخلاص أوجه الشبه أو الخلاف بينهما[٢].

وهو أسلوب قد يحتاجه الخطيب أثناء العرض لإثبات صحة كلامه، أو لتأكيد المعنى في نفس السامع، فيعقد مقارنة بين موضوعين أو شخصين أو زمانين.

مثلا: اذا أراد أن تتحدث عن حكومة أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر حسناتها، ثم يذكر سيئات حكومة معاوية.

ومثلا: اذا أراد أن يبين انسانية الحسين عليه السلام، يذكر كيف سقى خيول جيش الحر، ثم يقارن هذا الموقف بموقف ابن سعد الذي منع الحسين عليه السلام وأصحابه من شرب الماء.

أو المواقف الإنسانية الصادرة عموما من الحسين وأصحابه، والمواقف اللاإنسانية من عمر وأصحابه.

ومثلا: ماذا قدم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للمسلمين، وماذا قدم المسلمون للإمام علي؟ وهذا الاسلوب مفيد لأن الضد يظهر حسن الضد الآخر.

---

(١) المفردات: (مادة قرن)

(٢) المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية. رقم/ ٩٨٥.

الدرس الحادي عشر

خامسا: الاستدلال أو الاستشهاد

الاستدلال يعني إقامة دليل على المدعى، والاستشهاد مثله يعني الاتيان بشاهد على المدّعى.

والفرق بينهما أن الدليل يختص بإيراد دليل علمي، أما الشاهد فهو أعم يعني يشمل الأدلّة العلمية والأدلّة الخطابية.

ومن الأمور التي يمكن أن تكون شواهد للخطيب على كلامه، ما يأتي:

١ ـ **الآيات القرآنية**: ويجب أن تقرأ بشكل صحيح على المنبر، وأن يكون موقعها مناسبا في الكلام.

مثلا: ذكرنا مثالا في الدرس السابق عن آداب المجالس، وأحد آداب المجالس: ألّا يكون في المجلس منكر، فيقول: ألّا يؤتى في المجلس شيء من المنكر، والمقصود بالمنكر: كل شيء يحكم العقل السليم بقبحه، كالسباب والشتائم والأقوال الفاحشة، وغير ذلك من المنكرات. ثم يستشهد بآية فيقول: قال تعالى يذمّ قوم لوط: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[1].[2]

---

(١) سورة العنكبوت:٢٩

(٢) ينظر: الروافد المنبرية:١/ ٧٦

أو مثلا: يريد أن يتحدّث عن نظام العقوبات في الإسلام فيقول: يستخدم الإسلام أسلوبين لمنع الجريمة، الأسلوب الأول: تشريع العقوبات على من يرتكب الفحشاء، أو أيّة جريمةٍ أخرى، قال تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ﴾[١]، وهكذا السارق ثم يأتي بآية الحد في السرقة.

الأسلوب الثاني: ولعله أكثر نفعاً وأكثر جدوى في منع الجريمة، وهو إيجاد الرادع الأخلاقي عند الإنسان، ليكون الإنسان بنفسه رقيباً ومحاسباً لنفسه. ويتّبع القرآن الكريم لزراعة هذا الرادع الأخلاقي في نفس الإنسان عدّة طرق:

منها: تقبيح الفاحشة وإظهارها بصورةٍ كريهةٍ ومقوتة لتشمئزّ منها النفوس، إمّا بنسبة العمل القبيح إلى الشيطان كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[٢].[٣]

٢ ـ الاستشهاد بالحديث الشريف المروي عن النبي صلى الله عليه وآله وآل بيت العصمة عليهم السلام، فيستشهد بكلامهم عليهم السلام في إثبات كلامه، مثلا: اذا كان موضوعه عن إفشاء السلام في المجتمع يأتي بأقوال النبي والائمة ليدعم به قوله، مثل قوله صلى الله عليه وآله: «إنَّ السلام أسم من أسماء الله تعالى، فأفشوه بينكم»[٤]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «السلام تحيَّة لِملّتنا وأمان لذمّتنا»[٥].

---

(١) سورة النور: ٢

(٢) نفس السورة: ٢١

(٣) ينظر: الروافد المنبرية: ٣/ مخطوط

(٤) بحار الأنوار: ٧٣/ ١٠

(٥) المصدر السابق: ٧٣/ ١٢

ويجب أن يكون الحديث بالنص مهما أمكن لا بمعناه، وقراءته بشكل صحيح أيضا. والاعتماد في نقله على الكتب الموثوقة، كالمجاميع الحديثية، وعدم الاكتفاء بوجود الحديث في صفحات الانترنت.

٣ ـ الاستشهاد بأقوال العلماء والمتخصصين كل في مجال اختصاصه، فإذا أراد أن يقول إنّ الصيام مفيد للجسم لابد أن ينقل كلام الأطباء كشاهد على قوله، وإذا أراد ان يثبت أن البكاء يبعث على الراحة النفسية يستشهد بكلام علماء النفس، وإذا كانت فقهية يورد كلام الفقهاء...

٤ ـ الاستشهاد بالقصص، يعني أن يذكر قصة كشاهد على كلامه، ويجب في القصة أن تكون ذات مدلول إيجابي، يعني في نفس القصة فائدة للمجتمع، والتقييد بالواقعية والابتعاد عن قصص الخرافات والأساطير، والأفضل أن تكون مأخوذة من حياة الائمة والصالحين ومن التاريخ.

٥ ـ الاستشهاد بالشعر: يعني أن يذكر بيت أو أبيات شعرية كشاهد على كلامه، فمثلا إذا تحدث عن وأد البنات، يقول وليس كل العرب كانوا يقتلون بناتهم بل كان البعض منهم يحب البنت ويكرمها، وهنا يمكنك أن تأتي بشواهد على هذا الكلام، بقصص من احترام النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام، والإمام عليّ عليه السلام لزينب، كما يمكن أن تذكر قول الشاعر العربي:

أحبّ بنيّتي وودت أنّي ... دفنت بنيتي في قاع لحدي
وما بي أن تهون عليَّ ولكن ... مخافة أن تلاقي الذل بعدي[1].

(١) المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبهيشي: ٢/ ٤٢٣

وحتى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يستشهد في الخطبة الشقشقية ببيت من الشعر.

٦ ـ الاستشهاد بالأمثال السائرة، ويعبر عنه بضرب المثل.

الأدلة العلمية والأدلة الخطابية

لمعرفة الفرق بين الدليل العلمي والدليل الخطابي نحتاج إلى معرفة مواد القضايا أو مبادئ الأقيسة المذكورة في المنطق، ومواد القضايا عبارة عن: القضايا التي تقع مقدمات للاستدلال، وهي ثمانية أنواع نذكرها هنا بإيجاز:

١ ـ **اليقينيات**: وهي قضايا تطابق الواقع ولا تحتمل النقيض، وأقسامها ستة، وهي:

أ) **الأوليات**: وهي القضايا التي يصدِّق بها العقل لذاتها، أي بمجرد تصوُّر الموضوع والمحمول دون حاجة إلى تصوُّر النسبة، ولا تحتاج إلى أن يتعلمها الإنسان من أحد، مثل: أن الكل أعظم من الجزء، وأن الاثنين أكثر من الواحد، وأن الشيء لا يكون قديما وجديدا في آنٍ واحد، ولا يكون الشيء طويلا وقصيرا في نفس الوقت وبنفس الاعتبار.

ب) **المشاهدات**: وهي القضايا المحسوسة بالحواس الظاهرة والباطنة، فهي على قسمين: مشاهدات ووجدانيات، ويمكن للخطيب استخدام هذين النوعين في خطابته بكثرة؛ لفرض أنها مشاهدة ومحسوسة للسامع فتحصل لديه القناعة بنتائجها بسهولة، فإذا أراد مثلا أن يثبت أخذ الله تعالى للقرى وهي ظالمة، يكفيه فقط تذكير الجمهور بحوادث الزلازل والهزات

الأرضية وما تحصده من الأرواح في لحظات.

أما الوجدانيات: فهي القضايا التي يستشعرها الإنسان عند وجود ما يحفزها كالشعور بالألم من الجراح، والحزن بمصاب الأحبة ونحو ذلك، وهذه القضايا يمكن توظيفها في إثبات المواقف العاطفية والوجدانية التي حصلت في كربلاء، مثل حزن الأم على ولدها، والبكاء عند فراق الأحبة...

ت) **التجريبيات**: وهي القضايا التي يصدق بها العقل بسبب تكرار المشاهدة لها أو الإحساس بها، مثل أن كل نار حارة، وإن قراءة الآية الأخيرة من سورة الكهف المباركة توقظ الإنسان من نومه في الساعة التي يريد. ويمكن للخطيب الاستعانة بالمجربات بكثرة أيضا لتثبيت الفكرة في نفس السامع.

ث) **المتواترات**: وهي قضايا روتها جماعة كثيرة يمتنع تواطؤهم على الكذب عادة، والخطابة الدينية تعتمد على هذه القضايا بكثرة، وهي نافعة جدا في إقناع السامع، ومن أمثلتها بيعة الغدير، وقصص شجاعة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، واستشهاد طفل الحسين عبدالله الرضيع، وغير ذلك من القضايا والحوادث التاريخية التي نقلها جمع كبير من الرواة والمؤرخين، ومن غير المعقول أن يكونوا كلهم كاذبين.

ج) **الحدسيات**: وهي قضايا بدء الحكم بها حدس من النفس قوي جدا يزول معه الشك، ويمكن اكتساب هذا النوع من القضايا عن طريق الخبرة وكثرة المطالعة والممارسة للعلوم، روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه

قال: «كثرة النظر في العلم يفتح العقل»[1]، فعلى سبيل المثال: يمكن ردّ ما قيل إن الحسين عليه السلام أبى وامتنع على السيف أن يحزّ نحره الشريف، حتى جاء ملك فقال: أين الوعد يا حسين؟ فإذا كان الخطيب مطلعا على كتب العرفان مثلا فإنه يعرف زيف هذه الرواية؛ لأنها تتعارض مع التسليم لأمر الله تعالى.

ح) **الفطريات**: وهي قضايا يصدق بها العقل بمجرد تصوُّر الموضوع وتصوُّر المحمول وتصوُّر النسبة، وبهذا افترقت عن الأوليات، ومن أمثلة ذلك: الحكم بجواز لعن يزيد وعبيد الله وأمثالهم؛ فإن مجرد تصوُّر حرمة القتل، وتصوُّر نسبة القتل إليه يحكم العقل بجواز لعنه لبداهة مخالفته لأعظم الحرمات الإسلامية.

(١) بحار الأنوار: ١/ ١٥٩

الدرس الثاني عشر

تكلمنا في الدرس السابق عن الفرق بين الأدلة العلمية والأدلة الخطابية، وقلنا إن الفرق الجوهري يكمن في مواد القضايا لكلا النوعين من الأدلة، فالأدلة العلمية مقدماتها من القضايا اليقينية، وهي ستة أقسام: الأوليات، والمشاهدات، والمجربات، والمتواترات، والحدسيات، والفطريات.

والآن سنتحدث عن مبادئ الأقيسة، أو مواد القضايا في الأدلة الخطابية.

٢ ـ **المظنونات**: وهي قضايا يُصدَّق بها اتباعا لغالب الظن، مثل: كل منْ خرج على الحاكم فهو يطلب الملك، وكل من يقتل نفسا فهو ظالم، فهذه قضايا ظنية تصدق أحيانا وتكذب أخرى، إلا أن البعض يستعملها كدليل على مدعاه، وستأتي تتمة للكلام فيها.

٣ ـ **المشهورات**: وهي قضايا التي يقبل بمضامينها الناس، سواء أكانت مطابقة للواقع أم لا، وهي على قسمين:

أ) **المشهورات الحقيقية**: وهي القضايا التي لها واقع وراء شهرتها، فهي مشهورة ومعروفة عند كل العقلاء من جهة، ولها واقع من جهة أخرى مثل كل أنواع القضايا اليقينية التي ذكرناها قبل قليل، ويصطلح عليها هنا بواجبات القبول، وهناك قضايا أخرى تدخل في هذا القسم:

منها: التأديبات الصلاحية، وهي القضايا التي تطابقت أراء العقلاء على قبولها؛ لاقتضاء المصلحة العامة بذلك، كالقيم الأخلاقية والاجتماعية والعادات والتقاليد المتوارثة في المجتمع.

ومنها: الخلقيات، وهي القضايا التي يكون منشأها الغرائز الطبيعية، كالمروءة والشجاعة وغير ذلك، فإن الشجاعة مثلا تقتضي الدفاع عن العرض، وتقتضي عدم الخوف، وكحكم العقلاء بقبح البخل والجبن.....

ومنها: الانفعاليات أو العاطفيات، وهي قضايا تقتضيها العاطفة الإنسانية، كالغيرة والحمية والرقة والرحمة، فهذه العاطفيات هي الأخرى لها قوانين ثابتة ومتعارف عليها بين الناس، فالضرب المبرح مثلا عندهم خلاف الرقة، والتغاضي عن إهانة المقدسات خلاف الغيرة وهكذا.

ومنها: العاديات، وهي القضايا التي تقتضيها العادات والتقاليد، كاحترام الكبير وتوقيره، وأداء واجب الضيافة للضيف، فهذه القضايا يمدح المحافظ عليها ويذم المخالف لها.

ب) **المشهورات الظاهرية**: وهي القضايا التي باتت مشهورة ومعرفة عند الناس، ويستندون إليها في حججهم وأدلتهم، ولكن ليس لها واقع صحيح أو أنها لا تصدق دائما، مثل: وجوب نصرة ابن العشيرة وإن كان مخطئا أو ظالما، ومثل: إن الأكبر سنا بيوم هو أفهم بسنة، وهناك مشهورات حتى على مستوى الأحكام الشرعية ولكن ليس لها واقع سوى شهرتها، من قبيل: وجوب دفن عظام العقيقة، وترك المرأة النفساء للصلاة أربعين يوما...

٤ ـ **المقبولات**: وهي القضايا المأخوذة ممن يوثق بصدقه تقليدا، إما لأمر سماوي كالسنن والشرائع المأخوذة عن النبي والإمام المعصوم، وإما لمزيد عقله وخبرته كالمأخوذات من الحكماء والعلماء وأصحاب الاختصاص.

هل من الضروري أن يعرف الخطيب مواد القضايا وأنواعها؟

والجواب واضح، فمعرفة هذه القضايا والتمييز بين أنواعها مهم جدا للخطيب؛ لأنه سيعرف بواسطتها نوع الدليل الذي يأتي به على دعواه، فإن كانت مقدماته يقينية أنتجت برهانا أو فقل دليلا علميا، وإن كانت مقدماته من المشهورات الظاهرية أنتجت دليلا خطابيا، ويترتب على ذلك فوائد بعضها يتعلق:

١ ـ **بالجمهور**: فالمجتمعات والتجمعات تختلف من الناحية الثقافية والتحصيل العلمي، فالمجتمع الذي لاحظَّ لأفراده من العلم والثقافة لا تنفعه الأدلة العلمية، وعلى الخطيب أن يأتي بأدلة خطابية مقدماتها من المشهورات والقضايا ذات الطابع الإعلامي؛ لأنها أنجح في أقناعهم والتأثير فيهم.

أما المجتمعات التي يكون أغلب أفرادها من المتعلمين، فالواجب أن تكون الأدلة التي يسوقها الخطيب لإقناعهم أدلة علمية مقدماتها يقينية، ولو عكس فسيفشل في كلا المجتمعين، والجمع بين النوعين من الأدلة أكمل؛ لتباين ثقافة الجمهور في كل زمان ومكان، كما تقع على عاتق الخطيب مسؤولية تنمية وعي الجمهور البسيط فلا يتخذنَّ قلة حظِّهم من العلم ذريعة

له على الاستمرار في إقناع الجمهور بالقضايا ذات الطابع الإعلامي.

٢ ـ **بالموضوع**: فبعض الموضوعات لا يمكن استخدام نوع خاص من القضايا فيه، كما لو أراد أن يستدل على مسألة فقهية، فالمشهورات هنا لا تنفعه.

٣ ـ **بتنظيم الموضوع**: فإن للتنظيم في الخطابة أهميته، فتقديم الأدلة بعضها على بعض، وتأخير هذا النوع من القضايا وتقديم تلك، كله يسهم في نجاح الخطيب وتحقيق غرضه من الخطاب.

وعلى الإجمال: معرفة مواد القضايا والتمييز بينها من الأمور التي لا يمكن التساهل فيها، ومما يجدر ذكره: يجب أن تكون المقدمات صادقة في نفسها؛ لأن النتيجة تتبع أخس المقدمات، فإذا كانت المقدمة كاذبة أو مغلوطة، كان الدليل كذلك.

رد على المناطقة

ذكر المناطقة أن مبادئ الأقيسة أو مواد القضايا في الخطابة يجب أن تكون من المشهورات الظاهرية أو المظنونات أو المقبولات، فنقول:

لا إشكال في إمكانية أخذ القضايا المقبولات وصحتها، كآيات الذكر الحكيم وأقوال الأنبياء والمعصومين عليهم السلام والحكماء والمتخصصين كل بحسب مجال تخصصه مبادئا للحجج الخطابية، خصوصا بعد الاطمئنان بصحة صدورها عنهم، بل وجودها في مادة الخطاب ضروري ولا يمكن لخطيب الاستغناء عنها.

نعم هناك من القضايا ما هي ليست من المقبولات في عرف المناطقة، لكنها مقبولة ومؤثرة في عامة الجمهور، وهي نوعان:

الأول: الأحلام والمنامات، فإن أغلب أفراد الجمهور يمكن إقناعهم بسهولة بقضية أو مبدأ والاستشهاد على صحة تلك القضية أو خطلها برؤيا رآها شخص ما في المنام، وبتعبير أوضح: أن يجعل الخطيب دليله على إثبات قضية ما، أو دحضها اعتمادا على رؤيا رآها شخص؛ وسبب ذلك إن أغلب الجمهور يرون العصمة للأحلام وأهلها، وخصوصا إذا كان صاحب الرؤيا من المتدينين، فالأحلام عندهم لا تحتمل الخطأ أو الاشتباه.

والحاصل: بعض الجمهور تحصل لديه قناعة بقضية ما وإن كان الدليل عليها رؤيا في المنام، والملاحظ أن هناك شريحة كبيرة من الخطباء تستخدم مثل هذه القضايا (الأحلام) في إقناع الجمهور.

واستعمال الأحلام والرؤى في الخطابة للإقناع لا بأس به إن لم يكن لإثبات حكم شرعي، أو إثبات قضية عقائدية مهمة، كأن يستدل الخطيب برؤيا على عقوبة ما لذنب معين أو أثر وضعي له، أو إثبات ثواب لعمل صالح استنادا لرؤيا، إلا أن أخذ الأحلام والمنامات مبادئ للحجج الخطابية لا يخلو من خطورة؛ وتكمن هذه الخطورة في أنه إشاعة لروح التجهيل بين أبناء المجتمع وتكريسا للسطحية في التفكير، وإبعادا لهم عن المنطقية فيه، والخطيب ليس بمطالب بتثقيف الجمهور بالثقافة الدينية وحسب، بل هو مطالب بتوعية الجمهور توعية حقيقية بما في ذلك تطوير مستوى تفكيرهم

وكيفيته والوسائل التي يفكرون بها، وبتعبير الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إثارة دفائن عقولهم، وفي استخدام الأحلام أدلة تنويما للعقول لا إثارة لدفائنها، وثانيا: إشاعة أجواء التصديق بالأحلام والاعتماد عليها، يفسح المجال لبعض المستغلين للسذج والبسطاء من الناس لترويج عقائدهم الفاسدة عن هذا الطريق.

الثاني: المعجزات والكرامات، سواء تلك المنسوبة لقادة الدين كالأنبياء والأئمة والعلماء، أو التي يدعيها أُناس عاديون يدّعون أن لهم نحوا من الارتباط بأئمة الدين.

فهناك نسبة كبيرة من الجمهور تؤمن بهذه القضايا، ويحصل لها التصديق بقضية ما، إذا ما استشهد الخطيب بأحد هذه الكرامات المروية حتى للناس العاديين، إذا ما أسندوا ذلك للقرآن أو للأئمة عليهم السلام.

وهذه أيضا كسابقتها تسهم في إشاعة الجهل والتخلف وتفسح مجالا واسعا لبعض المتصيدين في استغلال الجمهور.

والخلاصة: قول المناطقة أن أدلة الخطابة يجب أن تكون من المشهورات ليس على اطلاقه، فبعض المشهورات خصوصا الظاهرية منها تضر بالدين وتسطح فكر المؤمنين.

الدرس الثالث عشر

سادسا: التفنيد

أصله اللغوي: من الفند، وهو ضعف الرأي. وفنَّد رأي فلان أي أضعفه وأبطله، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾[1]. إذن التفنيد إضعاف الرأي وإبطاله.

وهو أمر نحتاجه كثيرا في الخطابة الحسينية في الرد على الشبهات والاعتراضات على عقيدة الشيعة أو على العقيدة الإسلامية كلها، سواء أكانت من الغرب أو من الوهابية أو من بعض ابناء المذهب نفسه حيث يستشكلون على بعض الشعائر، أو قضايا من العقيدة تتعلق بالإمام الحجة عليه السلام أو غير ذلك.

ولتفنيد دليل الخصم أو رد الشبهة وإبطالها عدة أساليب، وهي في الواقع صعبة، فأقول مستعينا بالله.

١ ـ عرض احتمال آخر

قد يبني البعض استنتاجه على احتمال، ويجعل هذا الاحتمال علة وسببا للحكم على شيء، ولكن لو ذكرنا للقضية احتمالا آخر فإن دليله سيبطل، ولا تعد له قيمة.

---

(١) سورة يوسف: ٩٤

فمثلا: يقول شخص أن أبا طالب مات كافرا، لأن التاريخ لم يروِ لنا أن النبي صلى الله عليه وآله أو الإمام علي عليه السلام قد صلّى عليه!

فنعرض احتمال يبطل هذا الرأي فنقول: ربما الصلاة على الميت أو صلاة الجنائز لم تكن مشرّعة بعد!

وهذه الطريقة استعملها الامام الحسن العسكري عليه السلام مع الفيلسوف أبي اسحاق الكندي عندما شرع بتأليف كتاب متناقضات القرآن، فأرسل إليه أحد طلابه يقول له: من المحتمل أن المعنى الذي فهمته من الآيات غير المعنى المقصود لله، فرأى أن ذلك أمر محتمل فقام بتمزيق ما كتب[1]. وهذه الطريقة في التفنيد تستخدم حتى في المحاورات العادية بين الناس.

٢ ـ رد الحجة على الخصم

ومعنى ذلك أن نستثمر دليل الخصم لصالحنا، مثلا يقول شخص: الشيعة قليلون في الاسلام، ولو كان مذهبهم صحيحا لاتبعه الكثير من المسلمين. فنجيب: هذه نقطة من صالح الشيعة، لأن القرآن دائما يذم الأكثرية، ويمدح الأقلية.

ومثلا يقول شخص: انكم تجمعون في الصلاة، ونحن نفرق في أداء الفرائض فنحن أحسن منكم!

فنجيب: بل على العكس أن معايش الناس مطلوبة ولو قمنا في كل ساعتين للصلاة لما قامت للمسلمين سوق.

---

(١) ينظر: مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي بن شهر آشوب: ٣/ ٥٢٥

ومن هذا القسم من التفنيد قول أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية: «وقلت إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع! ولعمر الله لقد أردت أن تذم فمدحت، وأن تفضح فافتضحت. وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوما ما لم يكن شاكا في دينه ولا مرتابا بيقينه...»[1].

٣ ـ النقض

وهو إيراد قضية ملازمة لدليل الخصم، لا يحكم الخصم بنفس الحكم فيها، وهي القضية المشهورة على لسان أهل العلم (إذا كان اللازم باطلا فالملزوم مثله).

مثلا: يدعي شخص أنه يحرم لطم الصدور على الحسين لأنه إيذاء للنفس، فنجيب: أن هناك ناسا يعملون في أعمال شاقة وهي أيضا ايذاء للنفس! فهل العمل في معمل الحديد والصلب تحت درجات الحرارة العالية حرام؟ إذن فليس كل إيذاء للنفس حرام في الشريعة!

مثلها عندما ادعى معاوية بأن الامام عليه السلام هو الذي قتل عمار بن ياسر، قال المؤرخون: «دخل عمرو بن العاص على معاوية فقال: يا أمير المؤمنين قد هاج الناس واضطربوا ـ يعني أهل الشام ـ. قال: لماذا؟ قال: قتل عمار. قال: فماذا؟ قال: أليس قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تقتله الفئة الباغية؟ فقال له معاوية دحضت في قولك! أنحن قتلناه؟ إنما قتله علي بن أبي طالب لما ألقاه بين رماحنا. فاتصل ذلك بعلي بن أبي طالب عليه السلام فقال: فإذن رسول الله صلى الله عليه وآله هو

(١) نهج البلاغة: ٣/ ٣٤

الذي قتل حمزة وألقاه بين رماح المشركين»[١]!!

٤ ـ مناقشة دليل الخصم في مقدماته.

معروف ان كل دليل مبني على مقدمات صغرى وكبرى، وفي بعض الحالات يمكن الرد على دليل الخصم بالمناقشة في مقدماته.

مثلا: يحتج علينا أبناء المذاهب الإسلامية بأن الأمر الفلاني موجود في كتبكم الروائية. فنقول في الجواب: أننا لا ندعي بأن كل ما كتبنا صحيح.

(١) بحار الأنوار: ٣٣/ ٧

الدرس الرابع عشر

سابعا: التخلص (الربط)

التخلص إما مأخوذ من خَلُصَ: أي صفا الشيء وزال عنه ما كان فيه شائبة من غيره، وتميَّز عنه[1]، وعليه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا﴾[2] أي تميّزوا عن غيرهم. وإما بمعنى الخلاص أي الوصول[3]، وعلى كلا المعنيين فالاستعمال صحيح، وهو أفضل من كلمة الربط التي تستعمل على ألسنة الخطباء فهذه أقرب إلى العامية.

وفي الاصطلاح الأدبي: «الانتقال مما شبب (تعلق) الكلام به من تشبيب أو غيره، إلى المقصود مع رعاية الملاءمة بينهما»[4].

والمقصود بالتخلص في الخطابة الحسينية: انتقال الخطيب من الموضوع معرجا على شاهد تاريخي أو أدبي من واقعة يوم عاشوراء وما يرتبط بها، أو تذكير بمصيبة شهادة أحد المعصومين عليهم السلام.

---

(١) المفردات: (مادة خلص)

(٢) سورة يوسف: ٨٠

(٣) تاج العروس: السيد محمد مرتضى الزبيدي: ٩/ ٢٧٢

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (الخطيب القزويني): ١/ ٣٩٣

ولا يراد بالتخلص كل الفقرة التاريخية (المصيبة أو الكوريز) التي يستعرضها الخطيب في آخر المحاضرة وقبل النعي، وإنما المقصود بها كيفية الانتقال من الموضوع إلى فقرة الشاهد التاريخي (المصيبة)، ويكفي أن يكون التخلص بكلمة أو فكرة معينة دالة على الانتقال من الموضوع إلى الشاهد التاريخي.

ولا شك أن كيفية التخلص وصحة إتقانه تعدُّ من أهم سمات الخطيب البارع، ودليل نجاحه في خطبته يكمن في جودة تخلصه من موضوعه معرجا على شاهد له من واقعه الطف. وقد لا أكون مبالغا إن قلت: إن المستمع يبقى طوال المحاضرة يفكر في كيفية تخلص الخطيب من الموضوع، وانتقاله إلى الشاهد التاريخي.

أهميته

للتخلص في الخطابة الحسينية أثر بالغ في نفسية المستمع وتهيئته عاطفيا، لأنه كالجسر الذي يربط بين الموضوع ذي الجانب العلمي أو العقلي، وبين الشاهد التاريخي (المصيبة) ذات الجانب العاطفي الانفعالي، فلابد أن يكون الجسر سليما محكما حتى تتحقق عملية العبور بنجاح، إذ قد يكون الموضوع التي يتناوله الخطيب أثناء المحاضرة علميا أو تاريخيا، أو أخلاقيا، أو اجتماعيا... وبالتالي فإن أذهان السامعين تكون قد تطبَّعت على استقبال نمط معين من الموضوعات، وربما تكون هذه الموضوعات علمية أو فكرية بعيدة كل البعد عن الجانب العاطفي، وعنصر التخلص في الخطابة الحسينية يهتم

بالدرجة الإساس بالإثارة العاطفية، وبتعبير أدق، التخلص هنا: انتقالة من أجواء الفكر والمعرفة، إلى أجواء الإثارة والعاطفة.

فاذا كان التخلص ضعيفا غير منسجم مع الموضوع، احتاج الخطيب إلى وقت طويل لإيصال المستمعين إلى ذروة العاطفة واستدرار الدمعة، وأسوء من ذلك أن ينهي الخطيب موضوعه، ثم يقول إنه سيعرج الآن إلى فاجعة الطف لينقل صورة منها. والعكس بالعكس فكلما كان التخلص منسجما مع الموضوع، متضمنا لعنصر من عناصر الإثارة العاطفية أو المفاجأة، أو لنكتة دقيقة، أو التفاتة لطيفة كان التأثير في السامع بليغا، وسهلت بذلك مهمة الخطيب الحسيني في استدرار الدمعة، وتهييج الجمهور عاطفيا.

أنواع العلاقات في التخلص

لابد أن يكون في التخلص من الموضوع الذي يتناوله الخطيب الحسيني في المحاضرة، إلى الشاهد التاريخي أو الأدبي من مشاهد واقعة كربلاء المؤلمة نوع من العلاقة أو النسبة.

ويجدر بالخطيب عند إعداده للمحاضرة أن يفكر في كيفية التخلص كثيرا، وأن يكتشف العلاقة بين أصل الموضوع، وبين الشاهد التاريخي الذي يصل به إلى فقرة المصيبة؛ لأنها من أدق الفقرات وأهمها وأكثرها تأثيرا في الجمهور كما أشرنا، وعليه أن يتأمل بدقة في العلاقة أو النسبة بين موضوعه، وبين الشاهد التاريخي.

١ ـ فقد يكون بين الموضوع وبين الشاهد التاريخي التضاد أو المباينة، أي

لا علاقة بينهما، وبتعبير آخر: أن لا يجد الخطيب شاهدا أو مصداقا لموضوعه في واقعة عاشوراء، وهو من أعقد أنواع التخلص، فتنتابه الحيرة في كيفية التخلص من موضوعه، ولنفترض أنه كان يتحدث عن الرياء، فإنه حينئذ لا يجد مصداقا أو شاهدا له في واقعة عاشوراء، لا في الحسين عليه السلام وأصحابه، ولا حتى في أصحاب عمر بن سعد، لإنه لم يُنقل أن أحدا من جيش عمر بن سعد قد صلّى في ذلك اليوم، أو قرأ القرآن، أو ابتهل لله، أو كان صائما، لنقول أنه كان مرائيا في فعله. فكيف يخلص من هذا الموضوع إلى شاهد من شواهد واقعة الطف؟

من الواضح أن الحياة قائمة على مبدأين متضادين، مبدأ الخير ومبدأ الشر، الحق والباطل، الحب والبغض، الإيمان والنفاق، العدالة والفسوق وهكذا سائر المتضادات والمتباينات.

وهذه المعاني المتضادة حاضرة في ذهن الإنسان دائما، فما ذكرت الحرارة إلا وانتقل الذهن إلى البرودة، وما ذكر السواد إلا وانتقل الذهن إلى البياض، فإن لم يجد الخطيب ما يُنهي به كلامه، فعليه أن ينتقل إلى الضد أو ما هو مباين لموضوعه، فينتقل إلى الطرف الأخر من المتضادين، وهو هنا الإخلاص في المثال، فيذم الرياء ويحذر منه، ثم ينتقل منه إلى الإخلاص فيمدح الإخلاص لله عز وجل ويحبِّبه إلى الناس، ويذكر شاهدا من وقعة الطف عليه، وما أكثر شواهد الإخلاص وصوره في وقعة الطف في الحسين عليه السلام وأصحابه.

بل يمكن أن يكون للموضوع شاهد تاريخيّ من سنخه، ولكن من باب التفنن والبراعة في التخلص ينتقل الخطيب إلى ما يضاد موضوعه أو يباينه،

فإذا تحدث عن السلام مثلا، وأهميته في التشريع الإسلامي، ثم استرسل في الكلام، فإنه يريد بذلك حثَّ السامع على افشاء السلام اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وآله، ثم يأتي بالشاهد على ذلك من نفس السياق فيقول مثلا: ألا ترى أن أصحاب الحسين عليه السلام كلما خرج واحد منهم إلى القتال، وقف بين يدي المولى عليه السلام مخاطبا إياه: السلام عليك يا أبا عبد الله، وبذلك يتخلص من موضوعه إلى ذكر أنصار الحسين أو أحدهم.

أو يعكس الأمر فيحثَّ السامع على إفشاء السلام أولا، فيقول في خاتمة الموضوع مثلا: إن افشاء السلام مستحب في الشريعة المقدسة، ولكن لا ينبغي السلام على المنحرفين والعتاة، لأنهم لا يستحقون هذا المعنى الشريف، ألا ترى أن مسلم بن عقيل عليه السلام عندما أُدخل على ابن زياد لم يسلم عليه، ويتخلص بذلك من موضوعه معرجا على أحداث قصة مسلم بن عقيل أو بعض تفاصيلها.

٢ ـ وقد تكون العلاقة بين الموضوع والشاهد هي السببية والمسبّبيّة، والأمر هنا سهل للغاية حيث ينتقل من السبب إلى المسبب، فمثلا: إذا كان يتحدث في موضوعه عن حبَّ الدنيا والجاه، وطلب الرئاسة الدنيوية ولو بالطرق المنحرفة، أمكنه التخلص إلى عمر بن سعد وسعيه الحثيث على الظفر بملك الري، وإن كان ثمن ذلك قتل ريحانة رسول الله.

٣ ـ وقد تكون العلاقة بين الموضوع والشاهد هي الكلية والجزئية، ويسهل الخطب هنا أيضا، فما عليه إلا أن يأتي بمصداق للكليات التي يتحدث عنها،

فمثلا: إذا كان موضوعه الولاء لآل البيت فذكر عناصر الولاء: من وجوب معرفتهم، ووجوب طاعتهم، والنصيحة لهم، ووجوب نصرتهم....، وإظهار المحبة لهم، فيسترسل هنا في الحديث عن محبة آل البيت بالمقدار الذي يسمح به وقت المحاضرة، ثم يعرض للسامع صورا من المحبة الولاء لهم، فيذكر نموذجا أو اثنين من صور المحبة والولاء لهم، وليكن آخرها حبُّ عابس بن شبيب الشاكريّ للحسين، وتمثّلات ذلك الحب في أفعال عابس وأقواله.

٤ ـ وقد تكون العلاقة بين الموضوع وبين الشاهد التاريخي الذي ينقله الخطيب هي المشابهة، سواء أكانت المشابهة في المواقف، أو في الأقوال، أو في ذات الأشخاص...، وفي هذه الصورة ما عليه إلا أن ينتقل إلى الشبيه لحضوره في أذهان السامعين تلك اللحظة ـ يعني مقارنة كما سبق وأن ذكرنا ذلك ـ، ومن أمثلة ذلك: انطلق أحد الخطباء في محاضرته من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾[1].

فتحدث عن الدعاء وأهميته كمقدمة بشكل موجز، ثم تعرَّض لمقاطع الآية الشريفة بالشرح والتوضيح، ثم خلُص إلى قصة إسكان إبراهيم الخليل عليه السلام لبعض من ذريته في مكة، وهم زوجته هاجر وولده إسماعيل، ثم تركهم بأمر الله وانصرف عنهما، فنفذ ماء هذه المرأة المؤمنة وغذاؤها، وأشرف إسماعيل وهو طفل رضيع على الهلاك عطشا، حتى ضجت الملائكة

(١) سورة إبراهيم: ٣٧

بالدعاء لهاجر وولدها إسماعيل، ثم نقل صورة الطفل الرضيع العاطش إلى رضيع أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وبذا يكون التخلص مناسبا ومؤثرا.

وعلى مثل ذلك يمكن أن تقاس بقية أنواع العلاقات إن كانت، وهي لا تخفى على اللبيب.

مراعاة أمرين:

ثم يجدر بالخطيب أن يلاحظ في التخلص أمرين بالغي الأهمية:

الأمر الأول: أن يتأمل الخطيب في موضوعه جيداً ليرى أي جانب من جوانبه أكثر إثاره للعاطفة فيؤخره ليختم به؛ لأن التخلص في الخطابة الحسينية يستهدف إثارة العاطفة أكثر من أيّ شيء آخر.

ولتوضيح الفكرة أقدم لك بعض الأمثلة: سمعت أحد الخطباء وقد تكلم في موضوع عرض فيه بالحديث عن أعمام النبي صلى الله عليه وآله فبدأ بأبي طالب، ثم الحمزة، ثم العباس...، ثم أنهى مجلسه بأصحاب الحسين عليه السلام فكان التخلص من الموضوع بلا علاقة واضحة، خاليا من الإثارة العاطفية. ولو أنه كان قد أنهى حديثه عن العباس بن عبد المطلب بذكر قصة أسره في معركة بدر، حيث اضطره المشركون للخروج معهم، فوقع أسيرا بأيدي المسلمين، وكانوا قد ضيَّقوا وثاقه، فكان العباس يئن تلك الليلة من تلك القيود، وكان صوت أنينه يبلغ مسامع النبي فجفا النوم عيني رسول الله، فقال له أصحابه: يا رسول الله ما لك لا تنام؟ فقال: سمعت أنين العباس في وثاقه[1]. فكان

(١) الاستيعاب في معرفة الاستصحاب: يوسف بن عبد الله بن عبد البر: ٢/ ٨١٢

لذلك الخطيب أن يخلص لقيود الإمام زين العابدين عليه السلام وقوله ليزيد بن معاوية: ما ظنك برسول الله لو رآنا على هذه الحال[١]؟

وكان له أيضا أن يختم بذكر الحمزة بن عبد المطلب، وقصة استشهاده في أحد، لكان ذكره أكثر ترقيقاً للقلوب ومهيِّجاً للمشاعر، ثم يخلص لأصحاب الحسين كما يريد.

وقد وقعت شخصياً بهذا المطب ذات مرة، إذ تحدثت عن ثمرات الإيمان بالله، وختمت المجلس بأن من ثمار الإيمان: أن المؤمن يتمنى الموت، ويحب لقاء الله عز وجل، بل قد يسعى للشهادة في سبيل الله، ومصداقه في الطف من أظهر المصاديق.

ولكن كنت قد تحدثت قبل هذه الثمرة عن ثمرة أخرى، وهي أن المؤمن يرجو من الله تعالى ما لا يرجوه الكافر، وذكرت بعض القصص الدالة على الرجاء من الله تعالى، فرقَّ المستمعون، ثم ذكرت رجاء الحسين في يوم الطف ومقطعاً من دعائه.

«اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت لكل أمر نزل بي ثقة وعدة. كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد، وتقلُّ فيه الحيلة، أنزلته بك، وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك، ففرّجْتَهُ، وكشَفْتَهُ، وكفيتَنيه، فأنت ولي كل نعمة ومنتهى كل رغبة»[٢].

فضج الناس بالبكاء أثناء إلقاء هذه الفقرات، ولكن بعد أن انتقلت عنها

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ١٣٢

(٢) المصدر السابق: ٤٥/ ٤

إلى الثمرة الأخرى التي ذكرتها، أي حب لقاء الله جفَّت دموع السامعين، وفتر المجلس بعد أن كان في قمة فورته وعاطفته.

الأمر الثاني: لا بأس باستعمال بعض الألفاظ العامية المؤثرة والمهيِّجة هنا، فأن بعض الألفاظ العامية لا تلعب دورها الألفاظ الفصيحة في التأثير في نفس السامع. فانظر مثلا: قول الشاعر وهو يصف حرمانه وذلّه في غربته وبعده عن أهله:

«متخافق الأطمار أبسط بالسؤال يدًا ندية
صفراء من ذلٍّ وحمَّى: ذلُّ شحَّاذ غريب
بين العيون الأجنبية
بين احتقار، وانتهار، وأزورار.... أو خطية.
والموت أهون من خطية»[1].

فإن كلمة (خطية) في هذا المقطع الشعري لا تلعب دورها أي كلمة فصيحة في قوة التأثير والتهييج العاطفي، ومثلا يقول الخطيب عند قول الشاعر:

لكن الماضي قليل بالذي قد أقبلا فاتخذ درعين من عزم وحزم سابغين

فيعلق الخطيب على هذا البيت الشعري: نعم قتل أبيك أمير المؤمنين، وسمُّ أخيك الحسن، وكسر ضلع أمك الزهراء كله هذا قليل، إزاء ما سيأتي من مصائب، ولا بأس أن يكون ذلك بالعامية.

---

(١) ديوان بدر شاكر السياب:٨٣

الدرس الخامس عشر

إعداد المحاضرة

لا شك أن أهم معضلة يعاني منها من يريدون إعداد محاضرة أو كتابة بحث في أي مجال من المجالات علمية كانت أم ثقافية، وسواء أكانوا خطباء أم مبلغين أم أئمة جمع تكمن في ثلاثة جوانب:

الأول: اختيار الموضوع من بين عشرات الأفكار

وبتعبير آخر: تحديد نوع الخطاب من جهة، وأن يكون للموضوع هدف وغاية يريد إيصالها للناس من خلال موضوعه، وما هي فائدتهم فيه؟

فالمواضيع التي يتناولها الخطباء في شهر رمضان تختلف نسبيا عن المواضيع الخاصة بشهر محرم، وهكذا المواضيع الخاصة بالمناسبات.

حتى المناسبة الخاصة كوفاة أحد الأئمة عليهم السلام، فيجب على الخطيب أن ينوع مجالسه، ولا يكتفي بإعداد محاضرة واحدة عن ذلك الإمام ويبقى يرددها كالببغاء طيلة طياته.

وهكذا الاختلاف يحصل من ناحية الجمهور المتلقي، فالمواضيع التي تلقى للشباب غير المواضيع التي تطرح لكبار السن، والموضوع في المجتمع النسائي يختلف عن الموضوع في المجتمع الرجالي، فلا معنى لأن ألقي محاضرة

للشباب عن الحجاب، ولا معنى لإلقاء محاضرة موضوعها الحب مثلا أو الانتحار لكبار السن، ولا معنى لموضوع حول الحقوق والواجبات لذوي المهن والصناعات في المجتمع النسائي.

وأما الهدف فهو مهم أيضا لأن الكلام بلا هدف هو مجرد ثرثرة. يقول الشيخ محمد تقي فلسفي في كتابة «البيان وفن الخطابة»: «قبل أن يستقر المقام بالخطيب على منبر الخطابة، عليه أن يعلم ماذا يريد أن يقول، وعن ماذا يريد أن يتحدث؟ وما سيورد من آيات وروايات وتواريخ وأحداث وغير ذلك. ـ وسنتكلم عن ذلك في الفقرة التالية ـ

إن معرفة الهدف تحدد للخطيب القناة التي يسير عليها، وتعطيه الثقة بالنفس، والسلطة المعنوية وترفع قدرته الروحية، وتصونه من القلق والتشتت الفكري»[١].

الثاني: الحصول على المعلومات الخاصة بالموضوع، بدءا من الأفكار الفرعية إلى الأدلة عليها إلى الأمثلة والشواهد وغير ذلك.

وهذه المشكلة واضحة فقد تكون لدينا فكرة موضوع، لكن لا تتوفر لدينا مصادر عنها، وبتعبير أوضح: عندما تكتب بحثا أو تعد محاضرة يجب أن تكون لديك مصادر تتحدث عن الموضوع.

وأن يفكر بها بشكل جيد، ولا يرتقي المنبر من دون تهيئة وإعداد، يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «فكر ثم تكلم تسلم من الزلل»[٢].

---

(١) البيان وفن الخطابة: الشيخ محمد تقي فلسفي: ٩٠

(٢) عيون المواعظ والحكم: محمد بن علي الليثي الواسطي: ٣٥٩

وفي حديث مروي في الكافي عن الصادق عليه السلام: «من هجم على أمر بغير علم فقد جدع أنفه»[١].

«بعض الخطباء مع الأسف يصابون بالغرور لقدرتهم على الكلام، أو لشهرتهم، أو لمحبة الناس لهم وثنائهم عليهم، فيرتقي المنبر متصورا استغناءه عن جمع المعلومات أو التحضير والإعداد، فيرتقي المنبر ويلهج بما يجول في خاطره، وبما يمر على لسانه معتقد بأنه فنان ماهر، وخطيب بارع، وقد غاب عن ذهنه أن الخطبة بلا هدف مجرد كلام أجوف ولغو لا أكثر»[٢].

فعلى الخطيب أن يجتهد في جمع المعلومات ما استطاع، وسنذكر طريقة جمع المعلومات فيما بعد.

الثالث: ما هو المنهج الذي يتبعه في كتابة الموضوع، أو إعداد المحاضرة، لأن المناهج تختلف من علم إلى آخر، فالمنهج التاريخي يختلف عن المنهج في السيرة وهكذا يختلف عن المنهج في التفسير، بل الموضوع أو العلم الواحد هناك عدة طرق أو مناهج في إعداد محاضرة منه.

خصائص فكرة الموضوع الجيد

كل إنسان منا يسعى لأن يكون مميزا بين أقرانه، وهذا حق مشروع وغريزة طبيعية طالما سلك الإنسان الطرق المشروعة لإرضائها. هذا **أولا**.

وثانيا: نسعى لإرضاء الجمهور الذي يجلس تحت منبرنا أو يقرأ مقالاتنا

---

(١) أصول الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب الكليني: ١/ ٢٧

(٢) البيان وفن الخطابة: ٩٠

وينتظر منا الكثير لإشباع حاجاته الفكرية والنفسية وحبه للاطلاع، فيجب أن ندقق فيما يهم الناس وما الذي يشغل بالهم وما الذي يريدون أن يُوضَّح لهم، وما الذي يحقق لهم عنصر التشويق على المتابعة.

وثالثا: نريد أن نبرئ ذمتنا أمام الله سبحانه، بحيث نكون قد ساهمنا بشكل أو بآخر في الدفاع عن الدين، وعن مذهبنا الشريف، وسعينا في هداية الناس، ورفع مستوى وعيهم الديني، ومحاربة الفساد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

فما هي مقومات الفكرة الجيدة أو الموضوع الجيد لكي نحقق هذه الأهداف؟

الأولى: جدة الموضوع

أي عدم تناول موضوع طرحه الآخرون، بمعنى أن تكون المحاضرة تحتوي على أفكار ومضامين جديدة لم تطرح من قبل، فالموضوع الجديد له أثر في نفوس السامعين والقراء، وذلك لأنه يشد انتباههم للخطيب اثناء الإلقاء، ويحس السامع أنه استفاد شيئا جديدا فيتمسك بالخطيب وبمؤسسة المنبر الحسيني.

بخلاف ما لو كان الموضوع مكررا ومجترا وجرى على ألسنة الكثيرين، فإنه يبعث الملل ويفقد تأثيره في الآخرين.

فالمهم فيما يطرحه الخطباء والمبلغون للجمهور هو أن تتجسد تلك الأقوال إلى سلوك واقعي في الساحة الاجتماعية، أما في حال عدم قيام

المحاضرة بهذا الدور فتصبح مجرد ضياع وقت، نعم قد يكون فيها ثواب ولكنه ثواب جزئي قطعا.

إن الكلام يصاب بمرض يسمى داء اللفظية، يقول الدكتور نعمان الهيتي في كتابه الاتصال والتغيير الثقافي: «ومن الأخطار التي تواجه الاتصال وهو أن تتحول أجهزته إلى أدوات لتلقين الناس مفاهيم وتعابير وألفاظ، دون أن تثري ثقافتهم ودون أن تتحول مدلولاتها إلى أنماط سلوكية، بل تظل مجرد كلمات جوفاء، ونشير هنا إلى داء يسمونه داء اللفظية يتمثل في الترديد الأجوف للألفاظ والعبارات والمفاهيم دون أن تنعكس في واقع الحياة إلى تفكير وسلوك»[1].

ولا يفوتني أن أذكر أن دعوتنا للتجديد في طرح الأفكار والموضوعات لا تعني أن ننسلخ عن تراثنا وأصالتنا الفكرية الإسلامية. بل نريد أن نضيف شيئا جديدا آخر لإثراء الفكر الإسلامي، وبث الروح في الأفكار المعطلة منه، لتفعيلها من جديد في الحياة الاجتماعية. ففي القرآن وحده أفكار وأفكار لا تنتهي، بل هو بحر زاخر مليء بالدرر الثمينة التي لو وضفت لحولت الخطاب الديني إلى شيء غير هذا المتعارف.

وهذه الأفكار المستخرجة من الكتاب العزيز ليست بعيدة عن الخطباء، بل هي موجودة في كتب التفسير كالأمثل وتفسير النور والميزان ومواهب الرحمان وغيرها، إضافة إلى الكتب المصنفة في شتى مجالات الفكر الإسلامي

(١) الاتصال والتغيير الثقافي: د/ هادي نعمان الهيتي: ٢٨

والتي وضفت الآيات القرآنية وغاصت في أعماقها من قبيل كتاب في رحاب القرآن للشيخ الآصفي، فضلا عن عشرات الكتيبات الصغيرة التي أصدرتها مؤسسة البلاغ وغيرها من المؤسسات العاملة والمكتبات العامة مليئة منها.

لكن المؤسف تقاعس البعض حتى عن قراءة كتيب أو عدة وريقات قبل ارتقاء المنبر، والاعتماد التام على إرضاء الجمهور بالنعي، والاكتفاء في المحاضرة بما جال في خاطرهم، أو دار على لسانه.

الدرس السادس عشر

كان كلامنا في اختيار الموضوع، وقلنا إن هناك خصائص للموضوع الجيد، وذكرنا أولها: وهو أن يكون الموضوع جديدا.

الثانية: الحاجة الاجتماعية

أو مسايرة الواقع ومراعاة ظروف الزمان والمكان، بمعنى أن يكون الموضوع مما يهم المجتمع، كأن تكون ظاهرة موجودة، أو تساؤلا أو يكون الموضوع مفهوما إسلاميا غامضا أو فكرة إصلاحية أو ما شابه ذلك كدفع شبهة عن الإسلام وقادته، وذلك لتقوية العقيدة في نفوس الناس، وبث الوعي واليقظة فيهم، ويجب ألا يقتصر الموضوع على الترف الفكري وما يلهي المستمعين من دون فائدة. وبتعبير آخر أن يكون للموضوع مساس مباشر في حياة الناس اليومية.

كمثال على ذلك ما يمر به مجتمعنا هذه الأيام من فساد إداري والمتمثل بإهدار الموظفين للمال العام، واستلام أجور دون تقديم أي عمل مقابل ذلك الأجر...

والخلاصة: لابد من مراعاة الزمان الاجتماعي وحاجة المجتمع

للموضوع، فالدين لا يمثل مرجعية تشريعية فقط، بل مرجعية اجتماعية وسياسية وأخلاقية، فإذا لم يكن الموضوع داخلا في صميم هموم المجتمع وغير مناسب لأوضاعه، فإن وظيفة الدين المقدسة ستتعطل في حياة الناس.

أذكر في عام ٢٠٠٣ بعد انهيار النظام، هجم الناس على دوائر الدولة لسرقة محتوياتها، وكنت يوميا أتكلم عن هذا الموضوع في المحاضرة الدينية دون جدوى. وفي أحد الليالي قال لي مؤذن المسجد أن هاهنا خطيبا يرغب بارتقاء المنبر، فسررت بذلك وقلت في نفسي: عسى أن يتطرق لهذا الموضوع، فإن الصوت الواحد لا تسمعه الناس! لكنه ارتقى المنبر وراح يتحدث عن عدالة الصحابة.

وأذكر أننا حضرنا مجلسا لأحد العلماء في النجف يوم السابع من صفر، وهو ذكرى استشهاد الإمام الحسن عليه السلام، فارتقى الخطيب المنبر وشرع يشرح أبيات دعبل الخزاعي: مدارس آيات خلت...

وذكر دخول دعبل على الإمام الرضا عليه السلام واحتفاء الإمام به وغير ذلك مما هو بعيد جدا عن المناسبة التي أقيم من أجلها المجلس.

الثالثة: العمق الطبيعي

أي: ألا يكون البحث أو المحاضرة سطحيا يخلو من أي فكرة جيدة أو برهان علمي، وذلك بأن يعتمد الخطيب فقط على المشهورات الظاهرية والمظنونات كما مر في الدروس السابقة، لأن مثل هذه القضايا تؤدي إلى تسطيح فكر السامع وتزييف وعيه، وبذلك يكون ضررها أكثر من نفعها.

فالمطلوب من المبلغين إثارة دفائن عقول الناس، يقول الشيخ محمد تقي فلسفي: «ينبغي للخطيب الذي يتوفر على عنصر الوعي والعلم أن يخصص جزءا من خطبته الحكمية، ويبحث في المواضيع التي يمكن برهنتها بالأدلة العلمية والعقلية، لأن مناقشة مثل هذه المواضيع في الاجتماعات العامة تؤدي إلى نمو الفكر، وتقوية قابلية الاستدلال لدى المستمعين وترفع من مستوياتهم الفكرية والثقافية»[1].

ومن جانب آخر يجب ألا يكون الموضوع من العمق والدقة واستخدام المصطلحات العلمية بحيث يعسر على السامع فهمها واستيعابها، لأننا أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم.

ثانيا: جمع المعلومات

وهي الخطوة الثانية في إعداد المحاضرة، فبعد اختيار الموضوع والتأكد من وجود مصادر فيه، تتم عملية جمع المعلومات.

وفي الواقع اختيار الموضوع تارة يجري قبل القراءة وجمع المعلومات، كما لو كانت هناك ظاهرة في المجتمع لاحظها الخطيب ورغب في إعداد محاضرة عنها، كمشكلة الطلاق، ومشكلة العنف الأسري، ومشكلة الرشوة وغير ذلك.

وتارة يقترح على الخطيب بعض الأصدقاء أو الحضور الكلام عن موضوع معين مثلا: يطلب منه الحضور الكلام عن السيدة زينب... وعن

(١)(» البيان وفن الخطابة: ١٩٥

أطفال مسلم...، وهنا يسهم الحضور برفع عبء عن الخطيب أو المبلغ.

وثالثة: تأتي فكرة اختيار موضوع المحاضرة أثناء قراءة كتاب، فعندما تقرأ كتاب أخلاقي فبكل تأكيد يتناول الكاتب عدة موضوعات أخلاقية، فهنا يمكن أن نختار من ذلك الكتاب عدة مواضيع لها مساس بحياة الناس، مثلا: تقرأ كتاب منازل الآخرة، فتجد فيه أفكار منوعة مثلا: ما ينفع الإنسان في عالم البرزخ.

أو تقرأ مثلا: كتاباً عن الشفاعة فتختار منه مواضيع من قبيل: من هم الشفعاء يوم القيامة، وموضوع آخر: من هم المحرومون من الشفاعة يوم القيامة.

أو تقرأ كتاباً عن الإمام المهدي عليه السلام فتستطيع استخراج عدة مواضيع منه من قبيل: ما هي مسؤولياتنا في عصر الغيبة، أو ما هو الدليل على طول عمر الإمام عجل الله فرجه الشريف، أو ما هي الفائدة من وجوده المبارك وهو غائب وهكذا.

وعلى أي حال: فبعد اختيار الموضوع تأتي عملية جمع المعلومات الخاصة بالموضوع، من الشواهد والأدلة والأمثلة وتقسيمات للموضوع إن وجدت...

وجمع المعلومات إما يكون من خلال قراءة الكتب والمصادر المتوفرة لديك، وإما بالاستعانة بالخزين المعلوماتي، يعني التجارب والخبرات السابقة التي تحتفظ بها في الذاكرة.

وهنا تكمن فائدة سعة الاطلاع، وأكثر ما ينفع الخطيب أو المحاضر هنا

هي الشواهد على كلامه من آيات وروايات وقصص وأخبار.

فمثلا: إذا أراد إعداد محاضرة من آية قرآنية فلابد أولا أن يراجع كتاب تفسير أو أكثر حتى يستوعب معنى الآية بشكل جيد، وكلما زاد العدد زادت الفائدة.

وإذا كانت المحاضرة ترتبط بحادث تاريخي يذهب لقراءة كتب التاريخ عن تلك الواقعة، وكلما زاد عددها كان ذلك أفضل لأن زيادة المعلومات عن موضوع واحد تعطي الخطيب فرصة اختيار أفضلها، وتمنحه السيطرة على الموضوع بشكل أكبر، فلو نسى أحد الفقرات يمكنه أن يستعين بفقرة أخرى غيرها، وثالثا: تمنحه القدرة على غربلة المعلومات ومقارنة بعضها بالبعض الآخر أولا، للربط بين المعلومات وثانيا: لاختيار المعلومة المقبولة أكثر، أو الأقرب منها إلى التصديق.

والمهم: أن يلتقط أثناء القراءة كل ما له مساس بموضوعه، من قصة أو شعر أو شاهد تاريخي أو أدبي أو غير ذلك.

الدرس السابع عشر

قبل أن ننتقل إلى الخطوة الثالثة من خطوات إعداد المحاضرة، وهي وضع خطة للبحث أذكر بعض الوصايا التي تهم الخطيب في جمع المعلومات:

١. كتابة فهرس تفصيلي

أجعل لنفسك فهرس تفصيلي للكتاب الذي تقرؤه غير فهرس الكتاب، لأن فهرس الكتاب قد يكون إجمالياً، أو عنوان الموضوع مجمل غير مفصل، بينما أنت تحتاج إلى فهرس تفصيلي لترجع لكل عنوان بسهولة.

ولأجل المحافظة على الكتاب من التشويه يجب أن نستخدم قلم الرصاص، ويجب أن تكون معك ورقة عند قراءة كل كتاب، تكتب عليها عنوان الكتاب لكي تعرف لمن يعود هذا الفهرس.

فإذا قرأت معلومة مفيدة تظن أنها تنفعك ضع عليها إشارة، ثم اكتب في الورقة رقم الصفحة، ورقم الإشارة أو عنوانا للمعلومة. لكي تسهل عملية مراجعة واستخراج المعلومة في أي وقت شئت، وثانيا تسهم هذه الفهرسة الخاصة بك في وضع خطة البحث.

مثلا: كنت اليوم أقرأ في كتاب تاريخ العرب القديم لكتابة موضوع حول

الأعراف والتقاليد القبلية والعشائرية في المجتمع الجاهلي في القضايا الجنائية وموقف الإسلام منها. والكاتب أعطى عنوانا واحدا فقط وهو (المفاهيم القانونية عند البدو).

لكن تحت هذا العنوان ناقش مواضيع كثيرة، أعطى في البداية فكرة عامة عن القانون الجنائي عند العرب الجاهليين (مقدمة)، ثم انتقل فتحدث عن كيفية الاقتصاص من الجاني في القتل، ثم تناول الرجوع إلى العارف الذي نسميه الآن في عرف العشائر (الفريضة) في بعض الحالات. ثم تحدث أخيرا عن موضوع السرقة وكيفية استرجاع المسروقات في المجتمع الجاهلي. فلاحظتم العنوان الواحد جعلنا منه أربعة عناوين.

فالكتاب يتناولون عدة مواضيع تحت عنوان واحد، فإذا أردت أن تستفيد من هذه المعلومات يجب أن تضع فهرسا خاصا لكل معلومة على حدة.

٢ ـ أنواع الكتب التي يمكن أن نستفيد منها

أولا: الكتب الأدبية بالمعنى الأخص

سابقا ـ أعني قبل عصر الانترنت والهواتف الذكية ـ كانت القراءة مصدر تسلية واستمتاع، وغالبا ما تكون التسلية في قراءة الكتب الأدبية والروايات والشعر، وهذا النوع من الكتب لها فوائد كثيرة منها:

١ ـ أنها تعودنا على القراءة والاستئناس بالكتاب.

٢ ـ تنمي الذوق الأدبي للقارئ، وبالتالي تنمية قدرته على التعبير في

الكتابة، والإلقاء الخطابي وانتقاء التعابير والألفاظ المناسبة.

٣ ـ هـذه الكتب لا تخلو من معلومات ظريفة وطريفة، بل ربما تجد حكما في بعض الأشعار، وهذه لو استخدمت في المحاضرة تضفي جوًا من الحيوية وتعطي رونقا للكلام، وتجعل الحديث شيقا.

وعندنـا استحباب شرعي في قراءة بعض النصوص الشـعرية كأشـعار أبي طالـب عليه السلام، وشـعر سـفيان بـن عـوف العبـدي الذي يقـول فيـه الإمام الصادق عليه السلام: «علموا أولادكم شـعر العبدي فإنه على دين الله»[1]، وقال عليه السلام: «كان أمـير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروى شـعر أبي طالـب وأن يدون»، وقال: «تعلموه وعلموه أولادكم فإنه كان على دين الله، وفيه علم كثير»[2].

ثانيا: الكتب الأدبية بالمعنى الأعم

وقراءتهـا مهمة جدا لأن فيها ثروة هائلة من المعلومات للخطيب والمبلغ ككتـب التاريـخ مثـل: تاريـخ الطبري وابـن الأثـير والمسـعودي واليعقوبي وغيرهم. وكتب التراجم والسـير مثل: الاسـتيعاب وأسـد الغابة، وإذا كان ممكنا الأعلام للزركلي.

ثالثـا: الكتـب الدينيـة بصفـة عامـة ككتب التفسـير والفقـه والأخلاق والعقائـد، بالإضافـة إلى علـوم العربيـة والمنطـق وهـذه تتكفلهـا الدراسـة الحوزوية.

---

(١) بحار الأنوار: ٧٦/ ٢٩٣

(٢) المصدر السابق: ٣٥/ ١١٥

رابعا: كتب الثقافة الإسلامية وهي كثيرة جدا ومواضيعها متنوعة، ككتب الشيخ المطهري، والشيخ الآصفي، والشيخ محمد مهدي شمس الدين، وكتاب كثيرين معاصرين، بالإضافة إلى بعض الكتيبات.

٣ ـ الطرق الفعالة في القراءة

إذا أردنا أن نقرأ كتابا فعلينا أولا أن نحصل على انطباع أولي عن الكتاب. والانطباع الأولي يأتي من خلال ملاحظة العناوين وتقليب الكتاب من الجلاد إلى الجلاد للتعرف على طبيعة المعلومات والأفكار التي تناولها الكاتب.

٤ ـ هناك نوعان من القراءة

أولا: القراءة السريعة

أ) يجب أن نعود أنفسنا على القراءة السريعة من خلال قراءة الكتب الأدبية والسير والتاريخ لأنها لا تحتاج إلى تركيز ويمكن فهمها بسرعة، فبالتالي نتعود من خلالها على القراءة السريعة.

ب) أقرأ الجمل ولا تقرأ الكلمات وأترك قراءة بعض الكلمات التي تقوم بدور الربط في الجمل والتي غالبا ما تكون من أدبيات العمل الكتابي، وكذلك تجاوز الجمل التي تعرف المقصود منها.

ت) عندما يقرأ الإنسان فمرة يقرأ بصوت مسموع وأخرى قراءة داخلية. والكثير من الناس يتلفظون الكلمات لأنفسهم عند القراءة، وفي القراءة بصوت مسموع أو مهموس لا يستطيع الإنسان أن يقرأ أكثر من

(١٥٠) كلمة في الدقيقة. وهذه العادة يجب أن نتخلص منها، لأنها تعيق سرعة القراءة. أما إذا قرأنا من دون تلفظ للكلمات فيمكن أن نقرأ (٨٥٠) كلمة في الدقيقة.

ث) ينبغي أن نتعلم كيفية القفز على الجمل، فمثلا إذا قرأنا بداية المقطع وفهمنا مقصود الكتاب فلا حاجة لقراءة الأمثلة، وإذا فهمنا المقطع وصاغه الكاتب بشكل آخر لا حاجة لقراءة الصياغة الثانية للجملة.

وإذا تمكنت من قراءة أول المقطع وآخره مع فهم المقصود فهذا شيء جيد جدا، لأننا سنفهم هل انتقل إلى موضوع آخر أم أنه لا زال يتحدث في نفس الموضوع.

أما إذا لم نستطع القفز على الجمل أو لم نفهم القطعة، فعلينا قراءتها ثانية وثالثة ورابعة حتى نفهمها.

ثانيا: القراءة المتأنية.

بعد القراءة السريعة للفصل أو المطلب يجب أن نتبع الخطوات التالية:

١ ـ التفكير في الموضوع الذي أريد الكتابة عنه.

٢ ـ تكوين أسئلة عن الموضوع.

٣ ـ جعل الموضوع حاضر في الذهن عن القراءة[1].

(١) ينظر: كيف تكتب بحثا أو رسالة: د/ أحمد شلبي:٦٥ وما بعدها، وينظر: علم النفس في حياتنا اليومية: سمير عبده:١٩

الدرس الثامن عشر

ثالثا: وضع خطة البحث

خطة البحث، هي: الخطوط العريضة التي يسترشد بها الباحث ـ سواء كان كاتبا أم خطيبا ـ عند تنفيذ دراسته أو إعداد محاضرته[1].

وهي مهمة لأنها توفر للباحث مرجعا أثناء اجراء البحث فيسهل عليه الرجوع إليها عند نسيان بعض العناصر، وتسهل عليه عملية جمع المعلومات، ووضعها في مكانها الصحيح، وغير ذلك من الفوائد.

فخطة البحث عبارة عن صناعة قالب البحث، ولكن هذا القالب مقسم على أجزاء، وعند التدوين أو الكتابة تضع المعلومات في قالبها الخاص بها.

تتكون خطة البحث من: عنوان الموضوع أو الفكرة الرئيسية للموضوع، ثم المقدمة (مقدمة الموضوع)، محاور البحث أو ما سميناه الأفكار الفرعية، وهي تتبع من حيث قلتها وكثرتها سعة الموضوع وضيقه.

ويجب أن نفهم أن تنظيرنا لخطة البحث ليس المقصود منه العمق بمستوى كتابة رسائل الدكتوراه والماجستير، وإنما لإعداد محاضرة أو خطبة جمعة، فهذا المقدار الذي ذكرنا يفي بهذا الغرض.

---

(١) أصول البحث: د/ عبد الهادي الفضلي: ٢٨٠

أمثلة:

١ ـ إذا أردنا أن نعد محاضرة حول أدعية الإمام الحسين عليه السلام المستجابة يوم عاشوراء. فهنا أعطينا عنوان البحث، أو الفكرة الرئيسة للموضوع. ثم نأتي إلى الأفكار الفرعية، أو تقسيمات للفكرة الرئيسة، فنقسم الموضوع إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ مقدمة حول أهمية الدعاء، وخصوصا استجابة الدعاء من الله تعالى للإمام العادل والمظلوم.

٢ ـ أدعيته المستجابة في أصحابه وآل بيته.

٣ ـ أدعيته المستجابة على أعدائه.

نكون بهذه الطريقة قد وضعنا خطة البحث، ولا يبقى لدينا سوى وضع المعلومات، كل معلومة في مكانها، فنقوم بجمع أدعيته في أصحابه كدعائه لأبي الشعثاء الكندي: اللهم سدد رميته، وأجعل ثوابه الجنة. فرمى بمائة سهم يقول المؤرخون ما أخطأ منها بخمسة أسهم.

ومنها: دعاؤه لجون مولى أبي ذر الغفاري: اللهم بيض وجهه، وطيب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرف بينه وبين محمد وآل محمد.

وروي عن الباقر عليه السلام، عن علي بن الحسين عليهما السلام: «أن الناس كانوا يحضرون المعركة ويدفنون القتلى، فوجدوا جونا بعد عشرة أيام يفوح منه رائحة المسك»[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ٢٣

وأما أدعيته المستجابة في أعدائه فمثل: دعاؤه على مالك بن النسر حيث جاء هذا اللعين والحسين عليه السلام صريع على الأرض، فشتم الحسين، وضربه على رأسه بالسيف وكان على رأسه برنس (رداء ذو كمين يغطي الرأس، مثل ثوب الاستحمام) فقطعها حتى وصل إلى رأسه فأدماه فامتلأ البرنس دما فألقاه عليه السلام واعتم على القلنسوة (وهي غطاء للرأس يكون فيه ارتفاع عند قمة الرأس)، فقال له الحسين عليه السلام: لا أكلت بيمينك ولا شربت بها، وحشرك الله مع الظالمين[1].

مثال آخر: ما هي الضوابط الشرعية لمعاملة الأسرى في الإسلام؟

نضع خطة وذلك بتقسيم الموضوع إلى عدة نقاط، ثم نجمع المعلومات الخاصة بكل فقرة.

١ ـ المقدمة، نتحدث بها عن المعاملة الإنسانية للأسير في الإسلام.

٢ ـ ما هي حقوق الأسير في الإسلام؟

وهذه النقطة نفرعها إلى عدة فروع:

أ) حق تناول الطعام.

ب) حق مداواة الجريح منهم.

ت) مراعاة جانب الرحمة، وعدم إيذاء الأسير نفسيا، مثل الشماتة به أو سبه وإهانته.

ث) حق البقاء إلى جانب أقربائه، فلا يفرق بين الأم وولدها إن كانوا

(١) مثير الأحزان: ابن نما الحلي: ٥٥

أسرى.

ثم تجمع المعلومات عن كل فقرة من هذه الفقرات، كأن تشرح المقصود منها، ثم تذكر الآيات والأحاديث الدالة على صحة كلامك.

والخلاصة: إذا كان معد المحاضرة قد قرأ عن الموضوع وأشر المعلومات، فلا يبقى لديه بعد وضع الخطة أو عملية التبويب إلا وضع المعلومات في محلها، ثم يبدأ الخطوة الرابعة ألا وهي:

رابعا: كتابة البحث أو المحاضرة

هناك طريقتان للاحتفاظ بالموضوع، الأولى: الاكتفاء بخطة البحث، والتي يعبر عنها برؤوس أقلام للموضوع.

وهذه الطريقة غير صحيحة دائما، لأنه بعد فترة من الزمن قد ننسى المعلومات، فيحتاج ذلك إلى مراجعة وجمع معلومات من جديد.

ويمكن تجاوز هذه المشكلة بكتابة عنوان المصدر ورقم الصفحة مقابل كل باب، أو كل فقرة. فمثلا: موضوع الأدعية المستجابة. الفقرة الخاصة بجون الكتاب الفلاني الصفحة كذا، أبو الشعثاء الكتاب الفلاني كذا، ولا مشكلة أن يكون نفس الكتاب إذا كان الموضوع كله موجودا فيه.

الطريقة الثانية: الكتابة التفصيلية، يعني كتابة الموضوع كله مع ذكر المصادر.

والأفضل عدم الكتابة على أورق متفرقة، بل كتابتها في سجل أو دفتر، لأن الأوراق يمكن أن تضيع بسهولة.

والأفضل من كل ذلك كتابتها بملف الكتروني (وورد) لمن لديهم جهاز حاسوب، والاحتفاظ بأكثر من نسخة بأيقونات حفظ أو ما يعرف بالفلاش أو الهارد الخارجي أو على قرص مدمج.

هذا تمام الكلام في خطوات إعداد المحاضرة، الآن ندخل في مناهج البحث.

فكما ذكرنا قد نصدر البحث بآية أو حديث أو نريد التكلم عن موضوع تاريخي أو سيرة أو تناول قضية اجتماعية، ومن الواضح أن لكل علم من هذه العلوم منهجه الخاص في الإعداد.

منهج البحث القرآني

نبدأ أولا: بمفاتيح فهم القرآن الكريم.

هناك نقطة جوهرية أريد توضيحها قبل كل شيء، وهي أن هناك مفاتيح لفهم القرآن، وهذه المفاتيح يجب أن يعرفها الخطيب أولا وقبل كل شيء، ليتمكن بذلك من فهم الآية ثم يقوم بإيصال معانيها إلى الناس.

١ ـ معرفة معاني مفردات الآية، وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في بحث التعريف، فمن غير المعقول أن يخوض الخطيب في تفسير آية من دون أن يعرف معاني مفرداتها وبدقَّة.

فمثلا تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾[1]، فيجب أن يعرف معنى كلمة صياصي مثلا ليقوم بتفسير الآية الشريفة.

---

(١) سورة الأحزاب:٢٦

٢ ـ معرفة سبب نزول الآية إن وجد لها سبباً، لأن معرفة سبب نزول الآية مهم جدا في فهمها، بل قد يتوقف فهمها على ذلك أحيانا، وقد تكون فائدة ذكر سبب النزول توسعة للموضوع.

وهناك كتب كثيرة في أسباب النزول، بل في كتب التفسير غالبا ما يشير المفسرون إلى سبب نزول الآية عند تفسيرهم لها. فالآية المذكورة أعلاه سبب نزولها هو غزو النبي ﷺ لبني قريظة.

ويندرج في هذا السياق التاريخ الذي يحفُّ بالوقائع التي ذكرها القرآن في بعض الأحايين، وعادة ما يذكر المفسرون بحثا روائيا عند تفسيرهم لبعض الآيات، فعلى الخطيب أن يراجع تلك الروايات ليتعمق فهمه للآية.

فلو عدنا إلى الآية السابقة: ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ظاهروا من؟ فهنا نحن نحتاج التاريخ حتى نفهم معنى الآية. والمقصود هنا اليهود الذين ساعدوا المشركين في غزوة الأحزاب.

وقد يحتاج إلى الجغرافيا، فلو تحدث عن بلقيس ملكة سبأ فمن غير المعقول ألا يعرف أين كانت تقوم مملكة سبأ.

٣ ـ سياق الآيات، فإن الآية قد تدل على معنىً ما إذا ما أخذت منفردة عن جاراتها من الآيات الأخر، لكن قد تعطي الآية دلالة أخرى إذا انضمت إلى أخواتها من الآيات المجاورة.

٤ ـ القرآن نفسه يفسر بعضه بعضا، فهناك آيات مجملة قد تجد لها تفصيلا في آيات أخرى أو في سورة أخرى.

الدرس التاسع عشر

منهج إعداد المحاضرة من آية قرآنية

هـذا المنهـج يشـمل كيفيـة اعـداد محـاضرة انطلاقا مـن آيـة قرآنية ومن الأحاديث الشريفة أيضا، فطريقة التعامل مع الآيات والروايات واحدة.

المنهج الأول: منهج التفسير التجزيئي

هنـاك بعض المناهج التفسـيرية، تصلح أن يختـار الخطيب منها منهجا في شرح الآية، وأول هذه المناهج وأيسرها، هو المنهج التجزيئي للآية، وسـمي بذلـك لأن المفـسر يجزئ الآية ويـشرح كل فقرة منها على حـدة. وهو المنهج الذي سار عليه الشيخ الوائلي﵀ في إعداد محاضراته.

والمقصود بمنهج تجزئة الآية أن يعمد الخطيب للآية فيجزِّئها إلى مقطعين أو ثلاث مقاطع أو أربع... بحسـب طول الآية أو بحسـب مدلولها، ثم يبدأ بـشرح المقطـع الأول، فـإن كانـت ثمـة آراء في تفسـير المقطع ذكرهـا، وبيَّن مقصود المفسر، ثم يأتي إلى المقطع الثاني فيصنع ما صنع بالأول... وهكذا.

مثلا قال تعـالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ

وَرُسُلِهِۦ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

فالآية يمكن أن تقسَّم إلى عدَّة مقاطع:

الأول: ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ ﴾، فيقوم بتفسير هذا المقطع اعتمادا على المصادر المعتبرة في التفسير كالميزان والأمثل والكاشف وغيرها.

الثاني: ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾، فيبين معنى الخبيث ومعنى الطيب لغة، وعرض رأي المفسرين في هذا المقطع القرآني، وإن كانت هناك حاجة إلى ذكر شواهد أو قصص أتى بها، وإن كانت هناك إشارة معينة ذكرها، وليس في هذا المقطع فحسب بل في كل المقاطع.

الثالث: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ ﴾، فيشرح معنى الغيب، وإن كان هناك استثناء ذكره، لإمكان اطلاعه (تعالى) لبعض الأنبياء على الغيب كما نص على ذلك القرآن الكريم، وإن رأى مناسبة للاستطراد إلى قضية ما ترتبط بالغيب ذكرها، كأقوال العرافين مثلا أو الأبراج... وبين موقف الشرع منها.

الرابع: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ فيعرِّف معنى الاجتباء، وإن كانت هناك حاجة بين بعض خصائص منْ يجتبيهم الله سبحانه...

الخامس: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾، فيقف عند هذه الفقرة قليلا ليبين أهمية الإيمان بالله وبرسله، وعدم التفريق بينهم بالإيمان ببعض والكفر ببعض.

السادس: ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾، يشدد على قضية

---

(١) سورة آل عمران:١٧٩

الإيمان، وعظيم الأجر على التقوى بعد أن يعرفها، ثم يربط المقطع بواقعة الطَّف ليخلص إلى المصيبة.

ومثال الحديث الشريف، قوله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»[1].

تلاحظون أن الحديث الشريف مقسم إلى جمل، فتبدأ بمقدمة تدور حول مضمون الحديث، ثم تشرح كل مقطع منه على حدة، وتعزز ذلك بالأمثلة والقصص والشواهد إن وجدت.

اشكال على المنهج

رغم أن هذا المنهج يرضي أذواق الجمهور، لأن الانتقالات من مقطع إلى آخر غالبا ما تكون سريعة، والمستمع يسره الوصول إلى النهايات. كما وأن المواضيع تكون عادة متنوعة كما لاحظتم، وهذا يعطي المستمع نوعا من التشويق والمتعة في الاستماع، إلا أنه هناك مؤاخذة على هذا المنهج، وهي: أنه يفتقد إلى وحدة الموضوع ففي الحديث الشريف تناول خمس مواضيع، هي: البخل، والجبن، وأرذل العمر، وفتنة الدنيا، وعذاب القبر، وفي الواقع لا يستطيع الخطيب أو المبلغ أن يعطي كل موضوع منها حقه من الشرح والتبسيط وتناول كل أطراف الموضوع، بل يضطر إلى تناول الموضوع بشكل إجمالي.

---

(١) ميزان الحكمة: ٣/ ٢٢٠٠

كذلك الآية الشريفة تناولت خمسة مواضيع أيضا: تمييز الخبيث من الطيب، والاطلاع على الغيب، واجتباء الرسل، والإيمان بالله ورسوله، وثواب التقوى وهو الأجر العظيم.

وإذا أراد الخطيب أن يذكر رأيين مثلا للمفسرين في تفسير المقطع فإن المحاضرة ستكون قد تكونت من عشرة مواضيع. ولكم أن تتخيلوا أي فائدة علمية أو ثقافية يجنيها المستمع من كل هذا التغاير في الموضوعات.

المنهج الثاني: منهج التفسير الموضوعي

يمكن أن يستخدم الخطيب هذه الطريقة في التعامل مع النص القرآني والنص الروائي أيضا كما مرَّ، ولكن مع التبسيط في العرض لتلائم المستوى المعرفي والثقافي للجمهور، مضفيا على شرحه الاسلوب الخطابي، فيعد محاضرته وفق هذا المنهج في التفسير.

وملخص فكرة هذه الطريقة من التفسير:

أن يلاحظ الباحث ـ أيا كان، خطيبا، كاتبا ـ قضية في الواقع ثم يرجع إلى القرآن في محاولة لاستكشاف وجهة نظره في تلك القضية، ليخرج بعد ذلك بنظرية علمية تبرز وجهة نظر الإسلام في تلك القضية.

بل يمكن اختيار الموضوع، ثم يجمع الآيات القرآنية الدائرة حوله، وبعد فحص مداليل الآيات وفهم مقاصدها، والجمع بين عامها وخاصها، ومطلقها ومقيدها، يحاول كشف أوجه الارتباط بينها، والتدبر فيها ممن له القدرة على ذلك طبعا، ثم يخرج بنتيجة، وتلك النتيجة هي نظرية القرآن أو

الإسلام في تلك القضية، أيُّ قضية كانت فكرية، عقائدية، اجتماعية....

وهي قضية صعبة وليست ميسورة لكل أحد، والأفضل مراجعة كتاب نفحات القرآن للشيخ جعفر سبحاني، وغيره من التفاسير.

ولابد أن يختار الخطيب أو المبلغ في هذا المنهج من اعداد المحاضرات نصا قرآنيا أو روائيا قصيرا يفتتح به محاضرته، لأن النصوص الطويلة مواضيعها متعددة فلا ينفع هذا المنهج في إعداد المحاضرة منها، بل له أن يختار مجبرا المنهج الأول.

كما لا يمكنه أن يختار نصا طويلا ويتحدث في كل يوم عن موضوع منه، لأن طبيعة الجمهور العراقي لا يتحمل الكلام في نص واحد عدة أيام، فتغيير النصوص أمر أسهل وأنفع.

أمثلة:

قوله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[1]، فيتحدث الخطيب عن دواعي جعل الرسالة، ومن الذي يستحق تحمل مسؤولية الرسالة السماوية، وما هي قيمة وأهمية تحمل أبناء الرسالة وهكذا.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[2]، فيكون حديثه كله حول موت جميع البشر، بما فيهم النبي صلى الله عليه وآله، وأن هذا قضاء محتوم على البشرية، ويعزز كلامه بالآيات والشواهد والقصص والروايات وغير ذلك.

---

(١) سورة الأنعام: ١٢٤

(٢) سورة الزمر: ٣٠

ومثل ذلك من الأحاديث، قول أمير المؤمنين عليه السلام: «زكاة الجمال، العفاف»[١].

فتبدأ بمقدمة تتحدث فيها عن الجو العام للحديث أو المقصود الإجمالي منه، ثم معنى الزكاة في اللغة، وتتناول بعد ذلك أن لكل شيء زكاة، مثل: زكاة العلم نشره، وزكاة العقل الحلم على الجاهل، ثم تتحدث عن الجمال وأهميته، وأن زكاة الجمال العفة لا الابتذال. ومن شواهد اجتماع الجمال والعفة، يقول عدي بن زيد الرقاع:

قضاعية العينين، كندية الحشا خزاعية الأطراف، طائية الفم.

لها حكم لقمان، وصورة يوسف ومنطق داود، وعفة مريم[٢].

ومثل ذلك الحديث المشهور: «جهاد المرأة حسن التبعل»[٣]، فتبدأ بمقدمة عن الإطار العام للحديث الشريف، ثم تتكلم عن الجهاد عموما، وعن جهاد المرأة خصوصا وهو حسن التبعل وتشرح هذا المعنى للجمهور معززا بالشواهد والقصص والأخبار عن دور النساء في اضفاء جو السعادة في بيوتهن.

---

(١) عيون المواعظ والحكم: ٢٧٥

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف: ٢/ ٧٨٥

(٣) نهج البلاغة: ٤/ ٣٤

الدرس العشرون

منهج إعداد المحاضرة في السيرة

للسيرة مساحة واسعة في الخطابة الحسينية، خصوصا في العشرة الأولى من شهر محرم، حيث يستعرض الخطباء سيرة الحسين عليه السلام، وكذلك في مناسبات ولادات الأئمَّة عليهم السلام ووفياتهم فيكون موضوع الخطيب حول سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله أو أحد المعصومين أو غيرهم من قادة الإسلام ورجالاته، فهل هناك مناهج أو طرق عند الحديث عن سيرة الشخص؟

سيرة الشخص سواء أكان معصوما أم لم يكن، يمكن أن يتناولها الخطيب بأحد طرق ثلاثة:

الأولى: وهي أبسط الطرق، وتتلخَّص: بذكر الخطيب أو المحاضر، اسم الشخص الذي يريد أن يتحدث عنه، واسم أبيه وأمه، ومكان ولادته وزمانها، وعدد سنيِّ عمره عند وفاته، وكناه، وألقابه، ويذكر زوجاته وأولاده، ووفاته وكيفية وفاته وزمانها، وبعض الأحداث التي مرَّت عليه في عمره، والحكام الذين عاصرهم، وعلاقته بهم، والحروب أو المشاكل الاجتماعية أو السياسية التي عاصرها، وموقفه منها إن أمكن...

وهـذا النـوع من السـيرة ينبغـي أن يترك للمبتدئـين من الخطبـاء، أو في المجتمعات التي لا تعرف شيئا عن هذه الشخصية.

الثانية: أن يذكر صفات صاحب السـيرة، وخصاله النفسية والأخلاقية، مثل: كرمه، وشـجاعته، عبادته، وزهده، تقواه، وسـماحة خلقه، وعلمه.... وهكذا

فيسـلط الأضواء عـلى مثل هذه الأمور، ويدعِّم كلامه بالشـواهد الدالَّة على ذلك من حياة الشخص المترجم له.

فـإذا أراد أن يتحدث عن صفة الشـجاعة فيه مثـلا، ابتدأ بمقدمةٍ قصيرة عن الشـجاعة ومعناهـا، وأهمية الاتصاف بهـذه الصفة، ثم يذكـر نماذج من شجاعة المترجم له.

وهكذا إذا أراد الحديث عن عبادته، ذكر شيئا قليلا عن أهمية العبادة في حياة المسـلم، وفضل العبادة، ولا يطيل إن كان يريد أن يذكر صفات كثيرة، بـل مختصر مفيد لكـي تعظم هذه الصِّفة في نفس السـامع، ثم يذكر مصاديق لتلك الصفة في حياة المترجم له.

ولإعـداد المحـاضرة بهذين المنهجين عـلى الخطيب أو المبلـغ أو الكاتب مراجعـة كتـب السـيرة كحيـاة الأئمـة الاثنـي عشر للسـيد هاشـم معروف الحسني، أو الكتب المفردة في سيرة كل إمام منهم عليهم السلام، كمؤلفات الشيخ باقر شريف القرشي، ومؤلفات السيد محمد كاظم القزويني وغيرها من المؤلفات وهي كثيرة جدا.

وإن لم يعثر على كتاب خاص في المترجم له كأن يكون من الشخصيات الثانوية كالحر الرياحي أو زهير بن القين أو القاسم بن موسى بن جعفر، أو النساء كرقية بنت الإمام أمير المؤمنين عليها السلام زوجة مسلم بن عقيل، أو أم كلثوم بنت السيدة زينب، أو سكينة بنت الحسين عليها السلام أو الرباب زوجة الإمام الحسين عليه السلام، فعليه أن يرجع إلى كتب السير والأخبار ليستخرج ما يمكنه من معلومات حول هذه الشخصيات.

الثالثة: وهي المنهج الحديث في تناول سيرة الأشخاص، وتتلخص: بأن يترك المتحدِّث التفاصيل التي ذكرت في الطريقتين السابقتين إلى المبتدئين من الخطباء، ويعمد إلى دور الشخص المترجم له الاجتماعي أو السياسي، أو الثقافي، أو دوره العلمي في المحافل العلمية، أو دوره في ترسيخ قيمة أخلاقية معينة، أو دوره في محاربة ظاهرة معينة وهكذا.

ويمكن أن يستخلص مواقفه العملية من الأحداث التي عاصرها، والدروس المستفادة من سجل حياته.

وهذه الطريقة هي أصعب الطرق لأنك قد لا تجدها في الكتب مفردة بعناوين، إلا إذا كان الكتاب هو في الأصل كتاب سيرة تحليلية ـ وهذا النوع من الكتب موجود الآن ـ.

فإذا أردنا أن نتحدَّث عن دور الإمام زين العابدين عليه السلام في إحياء القيم الروحية، فعلينا أن ندرس تاريخ حياته أولا، ثم ندرس ظروف عصره، وما كانت تسوده من ظواهر البعد عن الله سبحانه، والانشغال باللهو والمجون

والغناء، انتشار ظاهرة شرب الخمر.

فإذا عرفنا الوضع الاجتماعي والاخلاقي في عصره اكتشفنا سرَّ تركيز الإمام عليه السلام على الدعاء، والارتباط بالله سبحانه، وظاهرة البكاء التي تعدَّ من أبرز سماته الشخصية، ثم ننظر في أقواله، وأدعيته الشريفة، وبذلك نعرف ما كان يؤدي الإمام من دور، وعلى أيِّ شيء انصبَّ جهده الإصلاحي والتربوي في الأمة.

فإذا أستوفى الخطيب هذه الجوانب الثلاثة، أعدَّ موضوعه الذي يرغب في تناوله، فيعرض الظاهرة، أو القضية التي يروم تناولها ويؤيد رصده لها بالأدلة والشواهد أولا، ثم يبين موقف أو مواقف الإمام إزاءها ثانيا، ثم يستخلص الدروس والعبر من موقف الإمام ثالثا.

والخطيب يعتمد في هذا الحقل على كتب السيرة التحليلية مثل كتاب دور أئمة أهل البيت في الحياة السياسية لعادل الأديب، أو جهاد الإمام زين العابدين للسيد محمد رضا الجلالي، أو سيرة الأئمة للشيخ مرتضى المطهري...

الدرس الحادي والعشرون

منهج إعداد المحاضرة التاريخية

يعتبر التاريخ عمودا من الأعمدة التي يتكئ عليها الخطباء الحسينيون في محاضراتهم، فكثيرا ما يجعل الخطباء من المادة التاريخية محورا لمحاضراتهم، فنريد في البدء أن نعطي فكرة عن فائدة الموضوع التاريخي بالنسبة للجمهور.

التاريخ مصدر مهم من مصادر المعرفة، بل يقول أحد المفكرين الإسلاميين: لا يوجد إلاَّ مصدران للمعرفة، هما القرآن والتاريخ، وعلى هذا فالذي يجهل التاريخ، لا تكون معرفته سليمة.

ومن هذا المنطلق يحثنا القرآن الكريم على التحاكم إلى التاريخ، وأخذ الدروس والعبر منه، يقول تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[1].

وهناك ثلاثة طرق في إيصال المادة التاريخية للجمهور، يمكن أن يستثمر الخطيب أحدها في إعداد المحاضرة من هذه المادة.

الطريقة الأولى: اعتماد السرد التاريخي

بمعنى أن يروي الخطيب أحداث واقعة معينة للجمهور، من دون أن

---

(١) سورة آل عمران:١٣٧

يعلق على تلك الأحداث، فهو شبيه هنا بمن يحكي القصص للناس، كأن يتحدث عن سفارة مسلم بن عقيل عليه السلام، من أول ما عهد له الإمام عليه السلام بالسفارة إلى يوم استشهاده، مرورا بدخوله إلى الكوفة وتاريخ ذلك وما جرى عليه فيها....

أو يسرد لجمهوره قصة ثورة التوابين، أو ثورة المختار، أو حتى التحرك الحسيني، وهذا يعبر عنه على الألسن بالسيرة. وهذه الطريقة أو المنهج هو أسهل وأيسر المناهج في إعداد المحاضرة حول الحوادث التاريخية.

الطريقة الثانية: التحليل التاريخي

وذلك أن تقوم محاضرة على أساس تعليل أو تفسير أو تحليل بعض الأحداث أو الظواهر التاريخية، فإذا كان الحدث التاريخي من الحوادث التي سمعها الناس سابقا مثل ثورة الحسين عليه السلام، أو قصة سفارة مسلم بن عقيل عليه السلام، فيمكن أن يدخل في تحليل جزء من الموضوع أو الحادث، فهنا يأخذ جانب من القضية أو الحادث ثم يقوم بتحليليه أو تفسير لتلك المشكلة.

مثلا الجمهور الشيعي يعرف أنه عرضت على الحسين عليه السلام بعض المقترحات بعدم المجيء إلى الكوفة، فاقترح ابن عباس عليه الذهاب إلى اليمن، واقترح عليه الطرماح بن عدي الذهاب إلى جبلي أجا وسلمى، وآخر اقترح عليه الذهاب إلى مصر، لكنه أصر على المجيء إلى الكوفة، فما هي أسباب إصرار الحسين عليه السلام على المجيء إلى الكوفة؟ يحاول الخطيب أو المحاضر اكتشاف تلك الأسباب إما بالبحث بين السطور في كتب التاريخ

أو يكتشف ذلك من خلال الملازمات العقلية. أو يفسر ويعلل سبب حمل النساء معه عليه السلام إلى الكوفة، وهكذا.

ومَهمَّة الخطيب هنا أكبر وأخطر، وبالتأكيد يحتاج إلى إحاطة أوسع لظروف وملابسات الحدث، فلا يكفي أن يذكر إن أهل الكوفة انقلبوا على مسلم عليه السلام، بل يحاول ويبذل جهده في إيجاد تفسير لهذه الظاهرة، أي يكشف للجمهور سرَّ هذا التغيير في الموقف، أو يتحدث عن أسباب فشل ثورة المختار، فيقوم بتحليل الظواهر التاريخية وتفسيرها ولا يكتفي بمجرد السرد التاريخي.

فيجب **أولا**: أن يرصد الخطيب مشكلة أو ظاهرة تاريخية جديرة بالبحث والمعالجة. **ثانيا**: أن يخرج بنتائج جديدة ومفيدة في تلك القضية، فمثلا: حادثة اغتيال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، من الذي خطط لهذه الجريمة؟

فمن الواضح إن قتل إمام المسلمين ليس أمرا سهلا، إذ تحتاج مثل هذه العملية إلى تخطيط، والى أموال، والى أيدي تقوم بالتنفيذ، ويجب أن تكون محاطة بسرية تامة، فمن غير المعقول أن يأتي ثلاثة من سوقة الناس ـ عبد الرحمن بن ملجم ورفيقاه ـ فيخططوا ويمولوا وينفذوا بهذه السهولة.

وإعداد المحاضرة على هذا المنهج يحتاج إلى قراءة كثيرة وتفتيش في بطون الكتب ليخرج بنتيجة سليمة.

والحاصل يقوم الخطيب بترتيب المحاضرة على الشكل التالي:

١ ـ يبين أصل المشكلة، كما فعلنا قبل قليل في قضية اغتيال الإمام عليه السلام، أو

أين دفن رأس الحسين عليه السلام فهناك أكثر من عشرين قولا في هذه المسألة، أو من الذي تولى قتل الحسين عليه السلام، فهناك ثلاثة أقوال في المسألة.

٢ ـ يذكر الأقوال أو الحلول أو الفروض ـ ما شئت فعبر ـ لمن سبقه إن وجدت، كما مثلنا لكم سابقا في قضية مكان دفن السيدة زينب عليها السلام.

٣ ـ يختار أحد الأقوال إن تبينت له صحته، ويدعمه بالأدلة والشواهد، أو القرائن الدالة على صحته، وربما لا يرتضي كل الحلول أو الفروض، ويأتي هو برأيه الخاص مدعما بالشواهد والأدلة.

٤ ـ يقوم بتفنيد ورد الأقوال التي تخالف رأيه، أو القول المختار عنده، ويأتي أيضا بالأدلة والشواهد على بطلانها.

٥ ـ يقرر النتيجة النهائية للجمهور بشكل مختصر، ثم يعرج إلى واقعة الطف إن كان مجلسا حسينيا.

الطريقة الثالثة: فلسفة التاريخ

وخلاصتها: أن يلاحظ الباحث ظاهرة تاريخية معينة، ثم يتابع هذه الظاهرة في مواضع ومواقف أخرى، ثم يبحث عن الجامع المشترك لحصول تلك الظاهرة.

مثلا: ابن خلدون في مقدمته ذكر تفسيرا لقوة الدول في بدايتها، وضعفها وتدهورها بعد فترة من الزمن، فقال: إن القاسم المشترك في كل الدول التي تبدأ قوية هو العصبية والحماسة للقضية، فإذا سيطر أصحاب الدولة وتخلصوا من أعدائهم وخصومهم اطمئنوا وخلدوا إلى الدعة، وانشغلوا بالملذات،

فتضعف قبضتهم عن إدارة الدولة ويتركونها للصبيان والأجناد، فيستغل أعداؤهم تلك الفرصة فينقضون عليهم[١].

فتلاحظون أنه أعطى تفسيرا لظاهرة عامة في حياة كل الدول عند قيامها وسقوطها، نعم هذه الطريقة تحتاج إلى تتبع جزئيات كثيرة، والقيام بعملية استقراء حتى وإن كانت ناقصة لكن الاستقراء الناقص كاف في مثل هذه الأمور.

ولو رجعنا إلى القرآن الكريم لرأينا الكثير من الآيات التي تشير إلى وصول الأمم إلى مصير واحد بسبب اتباعها نفس النهج أو نفس الطريقة في البعد عنه سبحانه أو الكفر به وبأنبيائه. كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾[٢]، فسبب ذهاب البركة والضيق الاقتصادي الذي تعانيه الأمم هو تكذيبهم لرسالات السماء، وإن كان تكذيبا عمليا وليس لفظيا.

منهج إعداد المحاضرة الاجتماعية

ونعني تلك المحاضرات التي يعالج فيها الخطيب قضايا المجتمع ومشاكله والظواهر المنتشرة فيه، مثل الظاهرة الجديدة التي يمارسها بعض العشائر أعني دعوى التسبيب.

فبعض من لا حريجة لهم في الدين، يحاولون إلقاء المسؤولية فيما يجري لهم

(١) تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمان بن خلدون: ١/ ٣١ وما بعدها.

(٢) سورة الأعراف: ٩٦

عـلى عاتق الآخرين بهدف ابتزازهم ماليا، وسرعان ما انتشرت هذه الظاهرة بين أغلب العشـائر حتـى أضحت حوادث التسـبيب عرفا لـدى الكثير من العشائر.

وفي الواقـع أن مؤاخـذة المتسـبب في مـوت شـخص أو دابة أو خسـارة مالية أو إصابة جسـدية لـه وجه موضوعي، فإن من يعـرض حياة الناس أو ممتلكاتهـم للخطر يتحمـل ضمان ما يتلف إن كان ما قام بـه يعد عند العقلاء إهمـالا منـه، فمن يحفر حفرة في الطريق ويتركها بدون غطاء أو إشـارة للمارة تدل على وجودها، فإن سقطت فيها سيارة وتعرضت للتلف فهو ضامن.

وهكـذا من يترك جـدار بيته مائـلا إلى جانب الطريـق ولا يبالي باحتمال سقوطه على أحد، فبكل تأكيد يعتبر متسببا في نظر الشريعة الإسلامية لذلك الضرر على الآخرين.

لكن هذا الحق يسـتخدم بوجه غير شرعي ولا قانوني ولا حتى أخلاقي لـدى البعـض، ويتضمـن تحميل مسـؤولية الـضرر على بعض الأشـخاص محض افتراء، فمثلا: كان هناك سـائق ينقل بعض الموظفات إلى محل عملهن، وصادف في يوم أن تعرضت أحد عجلات سـيارته إلى عطب، فقام السـائق بإصلاح العطب وتبديل عجلة بأخرى، وكانت العجلة ثقيلة لم يقو على حملها فخرجـت منه ريح ذات صوت، فلما سـمعت الموظفـات الصوت ضحكن، وضحكت إحداهن كثيرا فماتت! فقامت عشـيرتها بإلزام السائق بدفع ديتها

بتهمة تسببه بموت تلك الموظفة[١]! فلا أدري بأي شريعة وأي قانون يدفع مثل هذا السائق دية المرأة الميتة.

فيأتي الخطيب أولا يشخص المشكلة، بعدما يقارن بين عدد منها، ثم في المرحلة الثانية يبحث عن اسبابها إما من خلال الملاحظة العلمية، أو من خلال البحث الميداني وإجراء المقابلات الشخصية، وفي المرحلة الثالثة يضع العلاجات والحلول لهذه الظاهرة.

(١) أنظر: السنن العشائرية في المجتمع العراقي: كريم برهان الجنابي: ٧٤

الدرس الثاني والعشرون

خصائص الاسلوب الخطابي

الأسلوب في اللغة: الطريقة[1]، وبالتالي فالمراد من الأسلوب الخطابي، يعني طريقة الإلقاء في الخطابة.

فهناك اختلاف بين طريقة إيصال المعاني للسامعين في الكتابة وفي المحاضرة العلمية، وفي طريقة ايصال هذه المعاني في الخطابة.

فبإمكان الكاتب مثلا: أن يصوغ العبارة بشكل صعب ومعقد لأن القارئ يمكنه إعادة القراءة مرتين أو أكثر حتى يفهم، بينما لا يتاح ذلك للمستمع للخطيب فإذا فاته شيء لم يفهم معناه لا يتسنى له معرفة المقصود بعد ذلك.

وفي المحاضرة العلمية مثلا: يمكن للمحاضر استخدام المصطلحات والألفاظ العلمية لأن الحضور غالبا هم من أهل الاختصاص، بينما لا يمكن ذلك للخطيب لتباين المستوى المعرفي لجمهور الخطابة.

وأيضا يمكن أن يكون الالقاء في المحاضرة العلمية هادئا ليعطي فرصة للسامع بالتفكير، بينما يجب أن يكون الالقاء في الخطابة بصورة أسرع وأن

---

(١) المعجم الوسيط: (مادة سلب)

يكون الصوت جهوريا، ويكثر من الإشارات باليد والعين، ويكثر الالتفات ويقسم اللحظ بين الحاضرين وهكذا.

والخلاصة: الخطابة تختلف عن الحديث العادي الذي يتردد في المجالس، كما تختلف عن المحاضرة العلمية والدرس، فالخطابة لها طريقة خاصة في الإلقاء، وهذا الاسلوب فن وليس أمرا سهلا وميسورا لكل أحد.

ومن أهم خصائص الأسلوب الخطابي:

١ ـ **التكرار المعنوي**: وهو إما باستعمال الألفاظ المترادفة لتهويل أثرها، وتعميق دلالتها في نفس السامع، كقول الإمام زين العابدين عليه السلام في خطبته في المدينة وهو يتحدث عن وقعة كربلاء: «مصيبةً ما أعظمها، وأوجعها، وأفجعها، وأكظها، وأفظعها، وأمرَّها»[١].

وكقوله عليه السلام: «أيها الناس: أصبحنا مطرودين، مشرَّدين، مذمومين، شاسعين عن الأمصار، كأننا أولاد ترك أو كابل، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه»[٢].

أو بالتفصيل بعد الإجمال: لتكرر المعنى في ذهن السامع مرتين مرة بشكل إجمالي، ومرة أخرى بالتفصيل، مثل قول النبي صلى الله عليه وآله في خطبة الوداع: «أيُّها الناس: إن أموالكم ودماءَكم حرامٌ عليكم، إلى أن تلقوا ربَّكم... ثم يفصل صلى الله عليه وآله فمن كان عنده أمانة فليؤدّها إلى الذي أتمنه عليها. وإنَّ ربا الجاهلية

(١) بحار الأنوار: ٤٥/ ١٤٩

(٢) المصدر السابق.

موضوع، وأول رباً أبدأ به، هو ربا عمّي العباس بن عبد المطلب، وإنَّ دماء الجاهلية موضوعة، وإنَّ أوَّل دمٍ نبدأ به، دمُ عامر بن ربيعه بن الحارث بن عبد المطلب»[١].

ومثل ذلك قوله ﷺ: «أيُّها الناس: إنَّ لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهنَّ حق، لكم عليهنَّ ألا يوطئنَ فرشكم غيركم، ولا يدخِلنَ أحداً تكرهونهُ بيوتكم إلا بأذنكم ﴿إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ فإن فعلن، فإن الله قد أذن أن تعظوهُنَّ، وتهجروهُنَّ في المضاجع، وتضربوهُنَّ ضرباً غير مبرح، فإن انتهينَ فعليكم رزقهنَّ، وكسوتهنَّ بالمعروف، إنما النساءُ عندكم عِوان (أسيرة)، لا يملكن لأنفسهنَّ شيئاً، أخذتموهنَّ بأمانة الله، واستحللتم فروجهنَّ بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهنَّ خيراً»[٢].

٢ ـ الوضوح: وضوح لغة أيّ نصّ يؤمن وصول الفكرة إلى المتلقي بسهولة، بالإضافة إلى ضمان أمانة نقل تلك الأفكار من دون زيادة او نقصان يسببها التأويل الناتج عن عدم فهم النص.

لكن المقصود بالوضوح ليس الاسفاف باللغة، بل هو الأسلوب الذي يضمن سهولة وصول الفكرة إلى المتلقي، من دون ان يؤثر ذلك على النص الأدبي كنص أدبي، ويخرج به من لغة الأدب إلى لغة الكلام اليومي المتداول.

فيجب على الخطيب أن يستعمل مفردات مألوفة، ومعاني واضحة عند الجمهور، ويتجنب المصطلحات العلمية كالمصطلحات المنطقية والفلسفية،

---

(١) جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت: ١/ ١٥٦

(٢) المصدر السابق

مثلا يقول: (هذه القضية سالبة بانتفاء الموضوع) أو (الضدين لا يجتمعان) فهذه المصطلحات لا يعرف الجمهور معناها.

٣ ـ **إثارة الشعور**: وهو من أهم خصائص الأسلوب الخطابي، وأكثرها تأثيرا في تحريك الجمهور، وتحقيق عنصر الاستمالة الذي تحدثنا عنه سابقا، فالخطيب الناجح هو الذي يسيطر على مشاعر الجمهور ويحركها كيف يشاء مضحكا لهم تارة، ومبكيا لهم أخرى، ومدخلا روح الحماس فيهم مرة والغيرة مرة أخرى.

وكلما كان الخطيب قوي العاطفة ومتدفق المشاعر، كلما اثار عواطف الجمهور ومشاعرهم أكثر فأكثر، ولا ينبغي أن يكون الخطيب باردا في إلقاء محاضرة عن الجهاد مثلا أو الدفاع عن الوطن، وبالعكس إذا كان موضوعه أخلاقيا، فيجب أن يكون إلقاؤه هادئا، ويقلل من الحركة حتى يظهر أثر الاتزان على شخصيته.

وكيفية إلقاء خطبة في مناسبة مولد الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف يختلف عن إلقاء المحاضرة ليلة العاشر من المحرم، فهناك يجب أن يظهر سعيدا تعلو الابتسامة وجهه، وهنا حزينا مكسورا.

٤ ـ قصر الجمل: فلا يطيل الفصل بين المبتدأ والخبر، أو بين الفعل والفاعل، أو غيرهما من المتقارنات؛ لأن الجمهور ليس له القدرة الكافية ولا الصبر على التأمل في الجمل لاكتشاف الترابط والصلة فيما بينها، فهو يلاحق المفردات والتراكيب من فم الخطيب، ولا وقت له للربط بين الجمل،

أو الصبر وانتظار نهاياتها إذا طالت.

فانظر إلى قصر الجمل في خطبة مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام: «... بلغ النذارة صادِعًا بالرسالة، ناكبا عن سنن المشركين، ضاربا لاثباجهم، آخذا بأكظامهم، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، يجذ الاصنام، وينكت الهام، حتى انهزم الجمع، وولوا الدبر، وحتى تفرى الليل عن صبحه، وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وهدأت فورة الكفر، وخرست شقاشق الشيطان، وفهتم بكلمة الاخلاص. وكنتم على شفا حفرة من النار، فأنقذكم منها نبيه، تعبدون الاصنام، وتستقسمون بالأزلام، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطئ الاقدام، تشربون الرنق، وتقتاتون القد، أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطّفكم الناس من حولكم»[1]. فتلاحظ أن الجمل قصيرة، ولا توجد فواصل بين المتلازمات.

وهناك خصائص أخرى أعرضنا عن ذكرها، لأنها بحاجة إلى دراسة فن البلاغة قبل عرضها.

الارتجال

الارتجال أصله: من الانفراد بالرأي دون مشاورة أحد[2]، وفي الاصطلاح: التدفق في الكلام من الذاكرة من دون تحضير[3].

---

(١) بحار الأنوار:٢٩/ ٢٢٤

(٢) المعجم الوسيط: (مادة رجل)

(٣) فن الخطابة: الحوفي:١٩٧

لابدّ للخطيب أن يعوّد نفسه على الارتجال فيشارك في إلقاء الخطب في المناسبات البسيطة وبين أصدقائه، ثمّ يحاول أن يرتجل في مناسبات أكبر وأهمّ، وهكذا إلى أن يصل إلى المرتبة المطلوبة.

ومن أهمّ الأمور التي تساعد على الارتجال كثرة محفوظاته وسعة اطلاعه، بل يمكن القول أنّه من الصعب جدّاً أن يصبح المرء خطيباً مرتجلاً بدون محفوظات كثيرة يعتمد عليها.

وهناك أشياء معيّنة إذا حفظها الخطيب ساعدته على الارتجال:

أوّلاً: أكبر قدر ممكن من القرآن الكريم حفظاً محكماً مع مراعاة كلّ ما في الآية من حركات وسكنات والاطلاع على معاني الآيات إجمالاً.

ثانياً: أكبر قدر ممكن من الأحاديث النبويّة وروايات الأئمّة عليهم السلام، وخصوصاً الأحاديث القصيرة أو ما يسمّى بالكلمات القصار.

ثالثاً: حفظ أكبر قدر ممكن من خطب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام، فإنها خير معين للخطيب في حال الارتجال.

رابعاً: أكبر قدر ممكن من الأقوال المأثورة والحكم والأشعار والأمثال.

خامساً: جمع ما تيسّر من القصص الهادفة والقصيرة التي كان لها أساس في الكتب دون ما كان على سبيل الخرافة والأسطورة والأحلام، اللهم إلّا بعض القصص العظيمة الفائدة.

سادساً: الاعتياد على استعمال الكلمات الجزلة مكان الكلمات المبتذلة.

مثل أن يقال: ديمة مكان غيمة، وعبرة مكان دمعة، وليث مكان أسد،

وصارم مكان السيف وأديم مكان التراب، وقرطاس مكان الورق وما إلى ما هنالك من ألفاظ، فمن الواضح إنّها أجمل من غيرها ممّا سار على ألسن الناس وتؤدّي نفس المعنى تقريباً.

والشّيء الأساسي الذي يحتاجه الارتجال هو الإلقاء وممارسته بين الناس والتعوّد على مواجهتهم والإقبال عليهم. فإنّ ذلك يعلّم الخطيب أشياء كثيرة لا يمكنه أن يتعلّمها من الخطابة التي تعتمد على الورقة. فقد يحتاج الخطيب في بعض الأحيان أن يغيّر بعض الأفكار التي وردت في ضمن خطابه نتيجة عروض طارئ يستلزم ذلك كما لو كان في ضمن الخطاب فقرة ترحيب بقدوم شخص يتوقّع حضوره الحفل ولم يحصل ذلك أو بالعكس، فقد يلزم الترحيب به لمجيئه فجأة. فإن كان الخطيب مرتجلاً أمكنه فعل ما يريد من الإطالة أو التقصير أو الحذف أو الزيادة أو التبديل لبعض الأمور أو غير ذلك ممّا لا يتيسّر فعله لمن لا يمكنه الاستغناء عن الورقة.

وللخطابة تلاوة مميّزة عن الارتجال يجب ألا نبخسها حقّها وهي: أنّ الخطيب المرتجل قد يلتبس عليه ما كان يريد أن يقوله ثمّ يأتي إلى ذهنه أيّ شيء ممّا يصلح للمقال بخلاف من يستفيد ممّا كتبه، فإنّ ورقته في جيبه يتفقّدها قبل الصعود إلى المنبر فإذا استوى عليه أخرجها وتلا ما فيها.

ولا يمكن للمرتجل التخلّص من هذه الحالة إلّا إذا كان متمرّساً حادّ الذهن متوقّد البصيرة فإنّه يأتي بدل الكلام الذي كان يريد أن يقوله ونسيه بكلام آخر ربما كان أحسن من الأوّل وأجمل.

ومن الجدير بالذكر هنا أنّ العرب لم يكونوا ليستعملوا الإلقاء الإملائيّ أو ما شابه ذلك في خطبهم مطلقاً، بل كان عالمهم وجاهلهم سيّدهم ومسودهم أميرهم ومأمورهم يلقون خطبهم ارتجالاً، ولذلك اشتهروا بأنّهم أقوى الشعوب طرّاً على الارتجال.

الدرس الثالث والعشرون

الخطيب وصفاته

للخطيب الناجح صفات ومؤهلات تميزه عن غيره، بعضها ذاتية، وبعضها مكتسبة، وهناك عوامل خارجية تعينه على النجاح، ولنبدأ بالصفات الذاتية:

١ـ الاستعداد الفطري (الموهبة)

الهبة في اللغة: المنحة بغير عوض[1]، وهي: القدرة الكامنة في الفرد على أن يتعلم شيئا ما بسرعة أو سهولة، أو يصل إلى مستوى من المهارة في عمل معين.

والموهبة منحة من الله سبحانه لعباده لتيسير أمور العباد، وتقتضيه طبيعة الاختلاف فيما بينهم في المواهب والقدرات، فهذا له موهبة في الكتابة وآخر في الشعر وثالث في الرسم ورابع في صناعة معينة كالحدادة والنجارة وغير ذلك. والموهبة يمكن أن تصقل بالتجارب وتراكم الخبرات والاطلاع على تجارب السابقين.

---

(١) المفردات: (مادة وهب)

٢ـ حسن الصوت وتميُّزه عن غيره من الأصوات

للصوت تأثير على المستمعين فقد يَقرأ القرآن حافظ متقن مجود؛ لكنه لا يحسن الأداء في القراءة، فلا يؤثر في مستمعيه. وقد يقرأ القرآن من ليس بمجود ولا متقن؛ فيبكي سامعيه بجودة أدائه، وحسن صوته.

والحكم على جمال الصوت ورداءته أمر نسبي، فقد يكون صوت شخص حسنا عند شخص وقبيحا عند آخر، والكثير من الخطباء قد يحكم على صوته بأنه سيء، مع أن السوء في أدائه لا في صوته، فيقعد عن تحسين أدائه بحجة أن هذا هو ما أعطاه الله تعالى.

وعلى الخطيب أن يكتشف طريقة الإلقاء المناسبة لصوته ونَفَسه؛ وذلك يكون بتجرِبة طرق عدة، والنظر في مدى أثرها على السامعين، مع سؤال أهل الخبرة في ذلك، وسيكتشف بعد عدة محاولات طريقة الأداء التي تناسب صوته.

والمشكلة الأساسية في الصوت لدى الخطيب تكمن في طول النفس وقصره، وطول النفس أيضا منحة من الله سبحانه، فهناك من يستطيع أن يستنشق الهواء ويحتفظ به في صدره لمدة دقيقة كاملة كالشيخ عبد الباسط والشيخ الطبلاوي، ومن الناس من لا يستطيع الاحتفاظ بالهواء أكثر من عشر ثوانٍ.

وإذا كان الخطيب يتمكن من الاحتفاظ بالهواء في صدره مدة عشرين ثانية فهذا كاف، أما إذا كان أقل فعليه أن يتدرب على الاحتفاظ بالهواء،

فيسحب شهيقا ويغلق فمه ويعد الثواني ويكرر هذا العمل مرة بعد أخرى حتى تتسع الرئتان بشكل أفضل.

وإذا كان على منبر الخطابة فليسحب الهواء ليس في صدره فقط بل من منطقة البطن، وأن يجلس على المنبر بشكل مستوٍ، ولا يتخم نفسه في الطعام، وأن يرفع رأسه قليلا خصوصا عند فقرة النعي.

٣ ـ الشجاعة الأدبية

ممارسة الخطابة أمام الجمهور خصوصا في بداية ممارسة الخطابة تكون صعبة على الكثير من الناس، وقد يستولي عليه الخوف من مواجهة الجمهور، والخجل، وخوف النسيان مما يؤثر كل ذلك على نفسيته فتضعف ثقته بنفسه وبقدرته على عبور هذا الامتحان الصعب، فيصاب بالنسيان والارتجاج وانقطاع النفس والتعرق الشديد.

قال الكميت بن زيد الأسدي وكان خطيبا وشاعرا: «للخطبة صعداء، وهي على ذي اللب أرمى»[1]، يعني شديدة.

وعلى الخطيب أن يتدرب على كسر حاجز الخوف، بممارسة الخطابة بين الأقربين من أهله وأصدقائه أولا، وعليه أن يحفظ موضوعه بشكل جيد ليمتلئ ثقة بنفسه.

٤ ـ حرارة العاطفة

المراد بحرارة العاطفة أو صدق العاطفة أن يقول الخطيب ما يعتقد

---

(١) البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ: ١/ ٨٥

ومـا يمليه عليه ضمـيره، لأن الخطيب المعتقد بصحة مـا يقول تلتهب كلماته وتستقر في القلوب عباراته، لذلك قيل: ما يخرج من القلب يدخل في القلب.

والجمهور سـيصاب بعـدوى الانفعال العاطفي الـذي يمر به الخطيب، فسرعان ما تتصل أرواح السامعين بروحه، وتستمد منه عواطفه وتتحد معه.

أما إن كان الخطيب غير معتقد بما يقول فسـيكون إلقاؤه باردا، خاليا من حرارة العاطفة، لأن كلامه غير نابع من قلبه، وبالتالي سيتأثر الجمهور بذلك البرود أيضا.

٥ـ السلامة من عيوب النطق

لابد للخطيب أن يكون لسـنا فصيحا ذرب اللسان، وقادرا على التعبير، ومنطقـه هو ثروته وعدته في توصيل أفـكاره إلى الناس، ومن نقص الخطيب أن يكـون في نطقـه عيوب من جهة سـلامة مخارج الحـروف كالفأفأة واللثغة والتمتمة.

٦ـ سرعة البديهة

وهـي القـدرة على تـلافي نتائج وآثـار المواقـف المحرجة، فقـد يتعرض الخطيـب أثناء إلقاء خطبته إلى موقف أو يعترض عليه أحد، فيرتبك وتنقطع سلسـلة أفكاره، فيؤثر ذلك على مكانته ويتشـت انتباه الحاضرين. والخطيب الفطن يستطيع أن يتخلص من هذه المواقف بلباقة وحسن أدب، وقوة منطق.

فبعـض الخطباء يزعجـه التفات النـاس بالنظـر إلى الداخلـين، أو عندما يـرى أحد الحضور يخرج من المجلس يرتبـك ويتلعثم، ويظن أن خروجه نوع

من الاعتراض عليه، فتتزعزع ثقته بنفسه، وتهبط روحه المعنوية، وربما يفقد أعصابه فينتقد الجمهور بشدة مما يؤثر ذلك على الخطاب وعلى سمعته مستقبلا.

أما الصفات المكتسبة فهي كثيرة وسنعرض لأهمها:

١ ـ سعة الثقافة

يقول أحد المختصين في أدب الخطابة: إذا أراد الخطيب أن يخطب لمدة نصف ساعة، فعليه أن يقرأ مدة عشر ساعات.

كثرة المعلومات وسعة الاطلاع والثقافة الواسعة هي رأس مال الخطيب وعدته على المنبر.

إن ساحة الخطابة مفتوحة ومواضيعها مشتتة تشمل كل جوانب الحياة الإنسانية. كما وأن أذواق الناس مختلفة فبعض الناس يرغب بالاستزادة من موضوع العقائد وثاني من التاريخ وثالث من السيرة وهكذا.

وعلى الخطيب أن يرضي أذواق الجمهور جميعا ليزدادوا شغفا به وتمسكا، وإلا فإن الجمهور سيصاب بالملل منه.

فهما كان صوته جميلا ويعني بنغمة شجية وصوت عذب إلا أن الجمهور سيمله عاجلا أم آجلا.

وباعتقادي أن الخطيب الناجح هو الخطيب الذي يرضى به المجتمع أن يمارس الخطابة لديه أكثر من مرة، فمن يقرأ مرة واحدة ويترك حتى لو نجح في ذلك الموسم، إلا أن تركهم له يدل على أن تأثيره فيهم كان محدودا. فسعة الثقافة هي رأس المال الحقيقي الذي يجعل الخطيب مقبولا في كل المجتمعات.

الدرس الرابع والعشرون

٢ ـ الموضوعية في إلقاء الخطبة

ونعني بها أمرين: قدرة الخطيب على إصدار أحكام غير متحيزة لعنصر أو رأي أو سياسة أو قضية معينة، وبتعبير آخر: العدالة في إطلاق الأحكام على الأشياء.

لكن المؤسف أن الخطيب قد يجبر أن يكون متحيزا في الحكم على شيء أو على شخص إرضاء لرغبة الجمهور، أو لأن عدم تحيزه يدفع الجمهور إلى الشك به، وهذه المشكلة سببها الرئيس فقدان حرية الرأي في مجتمعنا.

كما تعني أيضا التحدث بلسان مصالح المستمعين لا بلسان مصالحه الخاصة. بتعبير آخر: تقمص مشاعر الجمهور، بأن يضع نفسه في مكانهم، ويفكر بوجهة نظرهم، وما الذي ينفعهم وما لا ينفعهم. ولا يكون أنانيا لا يفكر إلا بمصالحه الشخصية، فيرضي ذوق الطبقة الجاهلة منهم على حساب الدين وعلى حساب الحقيقة.

٣ ـ مراعاة أحوال المستمعين

يقول الدكتور الحوفي: «هدف الخطيب هو أن يتغلغل إلى نفوس

السامعين، معتمدا على إثارة عواطفهم.

وطريقه إلى ذلك أن يلمّ بعلم النفس الاجتماعي، ليتعرف على طبائع النفوس، ويعلم ما يثير الجمهور وما يهدئه، وما يرضيه وما يغضبه، وأي الأساليب أكثر ملائمة له الإطناب والتطويل، أم الايجاز والاختصار»[1].

فيجب أن يجمع معلومات عن طبيعة جمهوره هل هم من المتعلمين أم من أنصاف المتعلمين، أم ممن لا يجيدون القراءة والكتابة، أم هم خليط من كل الأصناف، ليعرف كيف يخاطبهم جميعا

٤ ـ حسن المظهر

لابد أن يكون الخطيب حسن المظهر، لأن قوة شخصيته وكيفية جلوسه على المنبر وحسن هندامه، وجمال صوته، كل ذلك يعينه على التأثير في الجمهور واستمالته.

فلا يجلس على المنبر متكأ ظهره إلى الخلف وبطنه بين يديه، بل يجلس بشكل مستوى، رافعا رأسه، ينظر إلى وجوه الناس فإن لنظرة العين سحرا وتأثيرا كبيرا، فخفض البصر إلى الأرض علامة الخوف والخجل، وعدم النظر إلى الجمهور علامة على ضعف الثقة بالنفس.

وعليه ألا يتحرك بكثرة بحيث يقلق السامع بكثرة حركته، وألا ينسى لغة الإشارة بالعين واليد فإن صوت الخطيب مهما تغيرت نبراته ونغماته لا يكفي في التعبير، فلابد أن تساعده حركات اليد والرأس والمنكبين، والحركات

(١) فن الخطابة: ٢٠

عموما لها تأثير كبير في شد انتباه السامعين، وإيصال الفكرة للسامع.

كما وأن تناسق الهندام ونظافتها وجمالها يكسب الخطيب ثقة بنفسه، ويكسبه مهابة في أعين الناس، وقد كان العرب الأوائل يلبسون العمائم إذا خطبوا ليفخم منظرهم[1].

٥ ـ تعلم فنون الاقناع

الاقناع هو: كسب تأييد الأفراد لرأي أو موضوع أو وجهة نظر معينة، وذلك عن طريق تقديم الأدلة والبراهين المؤيدة لوجهة النظر، بما يحقق الاستجابة لدى الأفراد.

والمقدرة الاقناعية من الخصائص المهمة للخطيب المؤثر، وتتضمن مجموعة من المهارات:

أ) **القدرة على التحليل والابتكار**: وذلك بأن يكون الخطيب أو المبلغ قادرا على إدراك العلاقات المكونة بين عناصر فكرته، وأن يكون قادرا على تحليل هذه العلاقات، وابتكار معلومات وعلاقات جديدة بين معلومة وأخرى، مثلا أغلب المؤرخين يقولون: أن أمير المؤمنين عليه السلام قتل عند باب السدة، أي ليس في المحراب، ولو أردنا تفنيد هذا القول علينا الربط بين هذه المعلومة ومعلومات أخرى ثم نخرج منها بمعلومة جديدة، فنقول مثلا: إن هذه المعلومة لمشهور المؤرخين تناقض معلومة أخرى وردت عنهم، وهي أنه عليه السلام ضرب على قرنه، وهو أعلى قمة الرأس، وأن دماءه سالت على لحيته الشريفة.

---

(١) المصدر السابق:٢٦

فنحلل هذه المعلومات ثم نربط بينها، فنقول: بديهي إن وجود الإمام عليه السلام عند الباب كان أثناء حركة دخوله إلى المسجد، وهذا يعني أنه كان قائما، فإذا جاءت الضربة على قرنه، فذلك يعني أن تسيل الدماء على رقبته وظهره لا على لحيته.

ب) **القدرة على العرض والتعبير**: فأسلوب العرض يلعب دورا كبيرا في اقناع السامع بمضمون الفكرة، كطرح الموضوع مثلا على شكل سؤال وجواب، أو تخليص كل فقرة ينتهي منها، أو اشراك الجمهور في الخطاب بتوجيه السؤال للجمهور وهكذا!

ت) **القدرة على ضبط الانفعال**: لأن انفعال الخطيب أو المبلغ لتعبير معين، أو بسبب نقد وجه إليه، قد يفقده التركيز، وبالتالي التصريح بأمور لا ينبغي ذكرها، مما يضعف ثقة الجمهور به، وبالتالي عدم اقتناعهم بما يقول.

ث) **القدرة على تقبل النقد**: النقد أحد الظواهر التي تبرز أثناء النقاش، أو في حالات عدم الاقتناع برأي أو فعل معين، ومحاولة تفنيد هذا الرأي واثبات عدم صحته، بل هناك من الناس من لا يستمع لك إلا من أجل أن يرد عليك.

ويرجع سبب النقد للخطاب والمبلغين من قبل بعض الجمهور إلى الأسباب التالية:

أ) عدم قدرة الخطيب على عرض الموضوع بطريقة جيدة ومقنعة للآخرين.

ب) اعتماده على حقائق ومعلومات مستقاة من مصادر غير معتمدة، أو غير موجودة أصلا، فقد يكون أخذها من أفواه غيره من الخطباء، وهذا يحصل كثيرا فعندما تسأل بعضهم أين وجدت هذه المعلومة، يجيب: سمعتها من الخطباء.

ت) إخفاء الأدلة لأسباب تخصه أو تخص الجمهور، فربما يخشى البعض بالتصريح بالمصدر إذا كان المصدر غير مرضي للجمهور، كأن يكون مصدر المعلومة من الشخصيات المثيرة للجدل.

ث) أسباب شخصية تتعلق بالمنتقد ضد الخطيب أو المبلغ، فمهما كنت على خلق عالٍ، وعلم جم، فلن تعدم وجود حاسدين وحاقدين ومبغضين لك يبغضونك تقربا إلى الشيطان.

ج) ميل بعض المستمعين إلى النقد لذاته بصورة تشغلهم عن الموضوع الأصلي، كما ذكرت قبل قليل.

وعلى كل حال لابد للخطيب والمبلغ أن تكون لديه القدرة على فهم دوافع وأسباب النقد، وكذلك أن تكون لديه قدرة على تقبل نقد الآخرين له، والاستفادة منها في تطوير ذاته وقدراته، فليس كل نقد باطل وغير صحيح، بل يتكامل الإنسان بالاستئناس بآراء الآخرين[1].

٦ ـ الثقة بالنفس

لابد أن يسعى الخطيب والمبلغ إلى بناء ثقته بنفسه وبقدرته على النجاح،

(١) فن الإلقاء والتحرير الكتابي: د/ خالد توكال: ٣٤-٣٥

وذلك من خلال التحضير الجيد لموضوعه، فإذا كان واثقا من صحة معلوماته، فلا يهمه عدد الحضور ولا نوعهم.

كذلك التدرب على الإلقاء بين أهله وأقرانه، فإذا خرج للجمهور كانت لديه بعض الخبرة والتجربة السابقة.

وألا يحاول تقليد مشاهير الخطباء، لأن التصرف بطريقة طبيعية يشعر الجمهور بإخلاصه وقربه إلى الحقيقة، فالتقليد في نظر الجمهور ما هو إلا تمثيل لا واقع وراءه[1].

عوامل خارجية مساعدة

هناك عوامل خارجية تساعد الخطيب على النجاح، وغالبا ما يلعب فيها الحظ دورا بارزا، منها:

١ ـ مكبرات الصوت

لمكبرات الصوت دور كبير في نجاح الخطيب خصوصا إذا كان المكان واسعا وعدد الجمهور كبيرا، لأن المكبرات السليمة من الأعطال تساعده كثيرا على الاحتفاظ بطاقته، وعدم الضغط على الحنجرة أكثر من اللازم، وبالتالي يضعف صوته، والابتلاء بكثرة السعال. فعلى الخطيب أن يتأكد من سلامة أجهزة الصوت وجودتها قبل إلقاء محاضرته.

٢ ـ خلفية المنبر

لخلفية المنبر دور في لفت نظر إلى الجمهور إلى الخطيب والتركيز عليه،

(١) المصدر السابق:٣٦

وعدم تشتت أذهانهم، لذا ينصح المختصون أن توضع خلف الخطيب ستارة زرقاء غامقة.

ومن المؤسف أن بعض الحسينيات تبدو وكأنها ألبوم صور، فضلا عن الآيات والكتابات الأخرى وكل ذلك يشغل بال الجمهور ويشتت انتباههم عن الخطيب.

٣ ـ فخامة المكان

وهي ترفع الحالة المعنوية للخطيب، كفخامة المنبر مثلا، والبناء، وجودة الإنارة فإن لها دورا مهما في تركيز الجمهور على الخطيب ومتابعة اشاراته اثناء الكلام، فلجمال المكان وفخامته دور في جلب الحضور من جهة، وتشجيع الخطيب من جهة أخرى.

٤ ـ أجهزة دعاية تعمل للخطيب

إذا كان الخطيب غير معروف لدى الجمهور، فيجب أن يتصدى شخص للتعريف به للجمهور، وبيان مستواه الدراسي في الحوزة أو كفاءته في الخطابة أو التدريس، حتى تتعزز ثقة الناس به، فالناس غالبا تسمع لمن قال لا لما قيل.

واليوم وسائل الدعاية متوفرة وميسورة فيمكن الإعلان عن المحاضرة وشخصية الخطيب بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي، فهي سهلة ورخيصة أيضا.

الدرس الخامس والعشرون

سيكولوجية الجمهور

سنبحث الموضوع ضمن نقاط:

الأولى: الفرق بين الجماعة والتجمع

تعريف الجماعة

هي وحدة اجتماعية تتكون من مجموعة من الأفراد بينهم تفاعل اجتماعي، وعلاقة صريحة كوحدة اللغة أو وحدة الجغرافية أو وحدة العمل، ولكل منهم دور فيها ومكانة، ولها مجموعة من القيم تحدد سلوكهم[1].

تعريف التجمع:

وتطلق عليه عدة مسميات مثل: الجمع والحشد والتجمهر..

الجمع في اللغة: ضم الشيء بتقريب بعضه إلى بعض[2].

وهو: اجتماع عدد من الأفراد بشكل تلقائي ومؤقت بمدة زمنية معينة. مثل التجمع في التظاهرات، وفي المجالس، وكتجمع الناس في السوق....

---

(١) علم النفس الاجتماعي: د.حامد زهران: ٥٧، علم النفس الاجتماعي: د.مصطفى فهمي، ود.حامد القطان: ٤٦.

(٢) المفردات: (مادة جمع)

الفرق بين التجمع والجماعة

١ ـ التجمع يحصل تلقائياً، وبدون سابق تخطيط له أو قد يكون بدعوة كما هو الحال في التظاهرات والمجالس الدينية والمناسبات الاجتماعية، أو التفرج على حادث مثلا.

نعم يمكن أن يكون التجمع، مقدمة لنشوء جماعة، كما إذا استغل فرد بعض التجمع، فأخرج مجموعة منهم لأجل تشكيلهم، لمتابعة هدف خاص، قصير الأمد أو طويله، كما إذا حدث زلزال، فاجتمع الناس، ثم استغل بعضهم ذلك فجمع جمعاً منهم، فكوَّن جماعة لأجل تعمير مكان الزلزال.

٢ ـ التجمع سريع الزوال غالبا، فكما يجتمع فجأة ينفض فجأة، أو بعد انتهاء الأمر الذي اجتمعوا من أجله.

٣ ـ التجمع ليس بين أعضائه تجانس، بخلاف الجماعة، فالجمع يجتمع تلقائياً، بينما الجماعة إنما تكون بين أصحابه أهداف مشتركة، فالجماعة السياسية أو التربوية، إنما تجتمع لأجل تسيير دفة السياسة، أو لأجل تربية المجتمع، بينما الذين يجتمعون لأجل منظر أو مأساة يدخل فيهم العالم والجاهل والعامل والبطال، وإلى آخره.

وعليه: فالحاضرون في المجلس، جماعة من جهة، وتجمع من جهة أخرى، فهم جماعة بالنسبة للقائمين على المجلس والذين يقومون بالخدمة ويؤدون أدوارا مختلفة لنجاح العمل، وتجمع عند حضور الناس لاستماع المحاضرة.

٤ ـ التجمع غالباً تحدوه العاطفة الشديدة والعمل بدون تفكر في العواقب، ولذا يذوب الفرد في الجمع، حيث لا يرى إلا الجهة التي ينساق

إليها، بسبب تلك العاطفة، والغالب أن الديكتاتوريين يستفيدون من هذه العاطفة في سوق الناس إلى أهدافهم.

الثانية: سلوك الفرد في التجمع

يختلف سلوك الفرد في التجمع عن سلوكه الفردي، فربما يتصرف أو يسلك سلوكا أثناء التجمع لا يمارسه لو كان بمفرده خارج التجمع.

فالمعروف أن الفرد ما أن ينخرط في جمهور محدد حتى يتخذ سمات خاصة ما كانت موجودة به سابقا، أو موجودة ولكن لم يكن يجرؤ على ممارستها.

فقد يكون الشخص غير عدواني إذا كان بمفرده، لكنه يتحول إلى شخص عدواني إذا كان ضمن مجموعة يضمن من خلالها الحماية لنفسه.

وقد لا يكون الشخص لصا، ولكن لو دخل ضمن مجموعة يمارسون السرقة قد يصبح مثلهم.

فلأجل هذا التناقض بين تصرفات وسلوك الفرد الشخصية وسلوكه اثناء التجمع انفصل علم النفس الاجتماعي عن علم النفس، فعلم النفس يدرس دوافع وسلوك الفرد بمعزل عن الجماعة، وأما علم النفس الاجتماعي فيدرس سلوك الفرد عندما يكون ضمن جماعة[1].

الثالثة: على الخطيب أو المبلغ أن يحدد الفئة التي يوجه لها موضوعه، فهل هو للتجمع الحاضر في المجلس، أم للجماعة أعني للمجتمع حتى غير الحاضرين، فمثلا: إذا كان يمارس الخطابة في قرية فليس كل أهل القرية

(١) سيكولوجية الجماهير: جوستاف لو بون: ٥-٦

يحضرون، فهل محاضرته تخص الحاضرين فقط، أم أن الحضور أو التجمع هم وسيلة ليوصل صوته وأفكاره إلى الآخرين عن طريقهم؟

فقد تكون المحاضرة موجهة للشباب أو النساء، لكن الحاضرين هم من فئة الرجال وكبار السن، فعليه أن يعلم الحضور أن وظيفتهم هي أيصال تلك الأفكار والمعلومات إلى تلك الفئات الغائبة عن الحضور.

الرابعة: خصائص الجمهور

يتميز الجمهور ـ أي جمهور كان ـ بسرعة الانفعال العاطفي، واتحاد عقليته في اتجاه عمل معين، ولا يضبط سلوكه خلاف تحرك الجمهور إلا عدد قليل من الناس، حيث تتحكم فيهم العاطفة أكثر من العقل، فمثلا: يلعب فريقان كرة قدم، ويعطي الحكم ضربة جزاء لأحد الفريقين، فيرى جمهور الفريق الآخر أن الحكم متحيز، فيثورون ويهجمون على الحكم والفريق الثاني ضربا، ويكسرون وسائل الملعب من كراسي وغير ذلك.

والباحثون في مجالي الاجتماع والنفس غالبا يركزون على جانب العنف هذا في التجمعات، ولذلك اعتبروها مجنونة ومجرمة[1]. ولكن ذلك لا يعني إمكانية توظيف روح التجمع أو العقل الجمعي في أعمال الخير.

فإذا قام شخص بدعوة تجمع معين كالمصلين في المسجد إلى عمل خير، كالتبرع ببناء مدرسة أو مساعدة أسرة فقيرة، فيهب البعض بمد يده في جيبه، فتنتقل عدوى السلوك الجمعي إلى الآخرين، فحتى البخيل الذي لا ينفق لو

(١) المصدر السابق:٢٨-٢٩

كان لوحده يمد يده هو الآخر ويقوم بتقديم المساعدة.

ولو انقلبت سيارة مثلا أو احترقت دار وتجمع عدد من الناس للمشاهدة، ثم دعاهم شخص لإنقاذ الموجودين في الدار أو في السيارة، فستجد الكثير منهم سيهبون للقيام بذلك العمل.

والمطلوب من الخطيب والمبلغ معرفة هذه الظاهرة النفسية التي يتسم بها الجمهور، فيستثمر ذلك في دعوتهم لأعمال الخير.

والروايات الإسلامية تركز على التجمع عند تناول قضية الحسين عليه السلام، أو عند ممارسة الشعائر الحسينية، ففي الحديث: «... ومن بكى وأبكى واحدا فله الجنة، ومن تباكى فله الجنة»[1].

فالثواب ترتب على التباكي، لأن عملية التباكي تنقل عدوى الهياج العاطفي، وتقوم بتشكيل عقل جمعي مؤيد للقضية الحسينية -إن صح التعبير-.

ومن السمات الأخرى للجماهير أيا كانت ثقافتها أو عقيدتها أو مكانتها الاجتماعية هو: حاجتها لأن تخضع لقيادة محرك هو الذي يحفزها لعمل معين، إما بواسطة الكاريزما الشخصية، أو بتحريك العاطفة لديها.

فعلى الخطيب ورجل الدين عموما أن يتقن فن قيادة الجماهير، ويتعرف على طرق اقناعها والتأثير فيها، لتنقاد إليه مسرعة، وأن يتقن عملية التحريض على الفضائل وأعمال الخير ويستغل أفضل الفرص لذلك وهي الذروة العاطفية التي يصل إليها الجمهور.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٤/ ٢٨٨

الدرس السادس والعشرون
فن التبليغ الإسلامي

١ـ التبليغ لغة واصطلاحا

التبليغ في اللغة من البلوغ، بلغ المكان: أي وصل إليه، أو شارف بالوصول إليه[١]. والإبلاغ هو الإيصال، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[٢].

وقال تعالى عن لسان نوح عليه السلام: ﴿أَبَلَّغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾[٣]. وجاء ذلك عن لسان صالح عليه السلام، وعن لسان شعيب عليه السلام.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٤]، وفي هذه الآية مدح لمن يقوم بتبليغ أحكام الله وتعليم الناس حلاله وحرامه.

أما في الاصطلاح فلا يختلف كثيرا عن معناه اللغوي، فهو: هو عرض

---

(١) المفردات: (مادة بلغ)

(٢) سورة المائدة:٦٧

(٣) سورة الأعراف:٦٢

(٤) سورة الأحزاب:٣٩

وإيصال التعاليم والإرشادات السماويّة الإسلاميّة إلى الناس، واطلاعهم على الأحكام الإسلاميّة والمعارف الإلهية وتبشير المؤمنين بالجنّة والنعيم الإلهيّ، وإنذار المخالفين بالعذاب وتحذيرهم من مغبّة الانحراف وراء الشهوات وملذّات الدنيا ونسيان الآخرة هو المقصود من التبليغ الإسلامي[1].

وقد وردت مصطلحات كثيرة في القرآن الكريم: كالدعوة والإرشاد والإنذار والتبشير والتذكير، إلا أن المعنى واحد وهو إيصال أوامر السماء إلى الناس.

٢ـ أهمية التبليغ

التبليغ مهمة الأنبياء، فمن وضع قدمه في هذا الطريق فقد سلك طريق الأنبياء وتتبع خطاهم هذا من جهة.

من جهة أخرى المبلغ يوصل إلى الناس أحكام الله ويبين لهم حلاله من حرامه، ويرشدهم إلى ما فيه مرضاة الله سبحانه، ويحذرهم من اتباع الشياطين وإغوائهم وإضلالهم، ويدعو الناس إلى الإصلاح في الأرض، وينهاهم عن الفساد فيها.

وكل هذه المعاني التي ذكرت معان سامية، وإيصالها إلى الناس وظيفة إنسانية كبيرة، فمن الواضح أن من يدعو الناس إلى الجنة نابع ذلك من حبه للناس، وبالتالي: التبليغ وظيفة من وسعت قلوبهم البشرية حبا، وملئت ضمائرهم الغيرة على مقدسات الله وعمارة الأرض بطاعة الله، لذا كانت

(١) ينظر: التبليغ مناهجه وأساليبه: جعفر البجاري:١٣

مكانة المبلغ والعالم مكانة رفيعة، فالعلماء ورثة الأنبياء[١]، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «رحم الله خلفائي! فقيل يا رسول الله، من خلفاؤك؟ قال ص: الذين يُحيونَ سنّتي ويُعلّمونها عباد الله».[٢]

وقال صلى الله عليه وآله: «ألا أحدّثكم عن أقوام ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم يوم القيامة الأنبياء والشهداء بمنازلهم من الله على منابر من نور! فقيل: من هم يا رسول الله؟ قال: هم الذين يُحبّبون عباد الله إلى الله، ويُحبّبون عباد الله إليَّ، فإذا أطاعوهم أحبّهم الله»[٣].

٣ ـ حاجة المجتمع إلى التبليغ

الشياطين وأولياؤهم لا يتركون الناس على فطرتهم التي فطرهم الله عليها، ولا يدعونهم يتصرفون وفق عقولهم التي ترشدهم إلى طاعة الله، بل يجلسون لهم في كل مرصد، ويقفون لهم في كل طريق، ليحرفوهم عن عبادة الله عز وجل، قال تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾[٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[٥]، وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾[٦].

---

(١) أصول الكافي: ١/ ٣٢

(٢) بحار الأنوار: ٢/ ٢٥

(٣) المصدر السابق: ٢٤

(٤) سورة البقرة: ٣٦

(٥) سورة المائدة: ١٠٦

(٦) سورة النمل: ٢٤

والخلاصة: الشيطان يريد تخريب العلاقة بين العبد وربه، وتخريب علاقته بالمجتمع، وتخريب علاقته حتى بنفسه، فالشيطان عدو الإنسان المبين.

كما وأن هناك أولياءه الذين يسعون إلى إبعاد الناس عن ربهم، وإلهائهم عن دينهم وعن عباداتهم ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾[1]. وقد أصبح زماننا من أشد الأزمنة فتنة وبلاء، وهذا البلاء على نحوين:

النحو الأول: التبذل الأخلاقي، فوسائل الاتصال كما تلاحظون لا همَّ لها إلا نشر الرذائل الأخلاقية والفساد والتفسخ، وكل وسائل الابتعاد عن طاعة الله، والانغماس في الشهوات، وضرب قيم الدين عرض الجدار.

أما النحو الثاني: فنشر التشدد في الدين والتزمت، ورفض الآخر، وتكفيره، واستحلال عرضه ودمه، فأصبح المسلمون بين نارين: نار الفساد والتفسخ، ونار التعصب والتطرف والإرهاب.

وهذه المشكلات التي يواجهها الشباب المسلم تحمل المبلغين مسؤولية كبيرة، وتجعلهم أمام مهمة معقدة، كيف يقربون الناس من الدين، ويحذرونهم من الشيطان وأحابيله وإغواءات أوليائه، ولا يقع الشباب المسلم في نفس الوقت في شراك التطرف والإرهاب. فالحاجة إلى تبليغ الدين وتعاليم الإسلام السمحاء حاجة ماسة.

٤ـ أدوات المبلغ

على المبلغ أن يتسلح بمجموعة من الأدوات حتى يكون ناجحا في عمله

---

(١) سورة الأنعام: ١٢١

التبليغي، ويؤدي رسالته بإتقان، ومن هذه الأدوات:

أ) التعلم بشكل الجيد

فعلى المبلغ أن يتسلح بسلاح العلم، لا علوم الشريعة من الفقه والتفسير والكلام (العقائد) والحديث فحسب، بل تعلم العلوم الإنسانية التي تسهم في رفع مستواه الثقافي، وفي إتقانه لأداء رسالته، كعلم النفس والاجتماع وعلم النفس الاجتماعي.

كما عليه أن يتعلم طرق ووسائل التأثير في الناس، فيدرس فن الخطابة، وفن الإلقاء وفن الإقناع وغير ذلك من الفنون التي تزيد في مستوى تأثيره بالآخرين.

ب) الالتزام بأوامر الشريعة

والعمل على تطبيقها في الواقع وبين الناس، قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

ابدأ بِنَفسِكَ وَانهَا عَن غِيِّها ... فَإِذا انتَهَت عَنهُ فَأَنتَ حَكيمُ

فَهُناكَ يُقبَل ما وَعَظتَ وَيُقتَدى ... بِالعِلمِ مِنكَ وَيَنفَعُ التَعليمُ[1].

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «عليك بتقوى الله، والورع والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الخلق، وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم. وكونوا زينا ولا تكونوا شينا، وعليكم بطول

(١) ديوان أبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو: ٤٠٤

الركوع والسجود....»[١]، وبتعبير جامع: أن يكون للمبلغ سيرة حسنة بين الناس، حتى إذا تكلم تسمع الناس لقوله.

ت) التعامل مع الناس بالخلق الحسن

وسعة الصدر معهم، فزكاة العقل تحمل الجاهل، فقد يتعرض المبلغ إلى الأذى من البعض، بالسخرية منه مثلا، أو محاولة عرقلة عمله التبليغي أو ما شاكل ذلك، فلا يرد السيئة بمثلها، بل يصبر على الأذى حتى يفتح الله عليه.

كما ينبغي أن يراعي الناس ويعرف منازلهم، فيعامل كلا على قدر منزلته، فيعامل العالم بما يتناسب ومنزلته، والشيخ الكبير السن باحترام، والشاب بروح المرح والابتسامة، والصغير بالعطف والحنو عليه، وكذلك النساء يعزز في نفوسهن الشعور بالفخر في الانتماء للإسلام.

ث) إذا أراد أن ينتقد ظاهرة معينة فلا يجابه الناس بالقول الخشن والتهجم عليهم، بل بلين من القول، ويغلف كلامه بعبارات رقيقة، لا تجرح مشاعر الناس، قال تعالى: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[٢]، ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَىٰ صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾[٣].

٥ـ وسائل التبليغ

التبليغ يكون بالقول وبالعمل وبسيرة الداعي التي تجعله قدوة حسنة

---

(١) أصول الكافي: ٢/ ٧٧

(٢) سورة طه: ٤٣-٤٤

(٣) سورة الحج: ٢٤

لغيره فتجذبهم إلى الاسلام، ونتكلم عن هذه الوسائل في ثلاثة فروع متتالية:

الأول: التبليغ بالقول

القـول هو الأصل في تبليغ الدعوة إلى الله، فالقرآن هو قول رب العالمين نزل به الروح الامين على محمد ﷺ ليكون به التبليغ، قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾(١).

وكان تبليغ رسول الله لرسالة ربه للناس بالقول، قال تعالى مخاطباً رسوله وآمراً له أن يقول للناس: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾(٢).

والقـول في مجـال التبليغ أنواع، منهـا: الخطبة، والـدرس، والمحاضرة، والمناقشة، والتحدث مع الناس، والكتابة فإنها أيضاً من القول باعتبارها أداة من أدوات التبليغ وتؤدي ما يؤديه القول.

الخطبة

وهي وسـيلة جيـدة للتبليغ وتكون عادة لجمع مـن الناس قد لا يعرفهم الداعـي أو يعـرف بعضهم فقط. ويشـترط للخطبة الناجحـة أن يكون لدى الداعـي معنى أو معان معينة يريد بيانها ولفـت الانظار إليها، يعني له هدف من الكلام وإلا فإن الكلام بلا هدف هذر لا معنى له.

ومن المستحسن أن يكون موضوع الخطبة مما له علاقة بأحوال الناس مع ربط ذلك بمعاني العقيدة الإسلامية، كأن يكون الذين يخطب فيهم ممن تكثر

---

(١) سورة التوبة:٦

(٢) سورة يونس:١٠٨

فيهم العصبية القبلية، فيحدثهم عن أضرارها وحكم الإسلام فيها، وان المؤمن لا ينصر قريبه إلا بالحق، وان على المسلم أن يرضى بما قضى به الإسلام من التآخي ونبذ العصبية الجاهلية. وعلى الداعي الخطيب ان يلاحظ في خطبته الأمور التالية:

١ ـ الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والتطبيقات العملية لها من قبل الرسول الكريم والرسل الكرام عليهم السلام. وآل البيت عليهم السلام والأبرار من الصحابة الكرام، فان ذكر التطبيق يجعل معنى الآية والحديث مشهوداً محسوساً.

٢ ـ يستعين بالقصص الواردة في الكتاب والسنة ولا بأس من تصوير المعاني بشكل قصص وضرب الأمثال كما في الحديث الشريف: «أرأيتم لو أن في باب أحدكم نهراً يغتسل فيه في اليوم خمس مرات أيبقى من درنه شيء؟ قالوا لا يا رسول الله، قال كذلك الصلاة»[1]، حيث شبه صلى الله عليه وآله الصلاة بالنهر الجاري ويغتسل فيه المرء خمس مرات في اليوم.

٣ ـ ألا يطيل الخطبة، جاء في الحديث الشريف ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة[2]، وهذا الحديث ورد في خطبة الجمعة فيقاس عليها سائر الخطب إلا إذا اقتضت الضرورة اطالتها.

---

(١) الدر المنثور: جلال الدين السيوطي:٣/ ٣٥٣

(٢) صحيح مسلم: مسلم النيسابوري:٣/ ١٢

٤ ـ ألا يكثر الخطب مخافة السآمة، فلا يرتقي المنبر يوميا، بل في الاسبوع مرتين مثلا.

٥ ـ يجب أن يتأنى الداعي في الكلام فلا يسرع بل يتمهل حتى يستوعب السامع كلامه ويفهمه.

٦ ـ وعلى الداعي أن يبتعد عن التفاصح والتعاظم والتكلف في نطقه، وقد مرَّ عليك ـ عزيزي القارئ ـ الكثير عن فن الخطابة فيما سبق.

الدرس

وهو وسيلة قولية ناجحة في إيصال تعاليم الإسلام للناس، والدرس يعقد إما للتفسير أو شرح حديث شريف، أو مسألة من مسائل الفقه وغير ذلك.

المحاضرة

والغالب في المحاضرة أنها تعالج موضوعاً معيناً باستقصاء وإحاطة وذكر الأدلة والبراهين، وذكر ما قيل حول الموضوع، والصواب من هذه الأقوال.

والمحاضرة الناجحة ما كانت تهدف إلى هدف معين ومحدد وتجلي هذا الهدف وتبينه البيان الشافي المقنع. ويجب على المحاضر أن يكون دقيقاً في كلامه لا يلقي القول جزافاً ولا يكثر من العبارات العاطفية، لأن مجالها الأصلي الخطبة وليس المحاضرة، وأن يشرك السامعين معه في الوصول إلى

ما يريده بأن يبين مقدمات النتيجة التي وصل إليها في بحثه فإذا ما استطاع اقناعهم بها كان وصولهم إلى النتيجة ميسوراً.

وعلى المحاضر أن يقيم المقدمات لما يريد الوصول إليه على مسائل واضحة جلية مشهورة، وأن يتجنب المسائل الدقيقة والمشتبهة والتي تقبل الأخذ والرد، أو التي هي في نفسها تحتاج إلى إثبات، ومن هذه المسائل ما تعورف على تسميته بالمعاني الفلسفية، فإذا أراد المحاضر أن يعرض بعض الحقائق الدينية وأصول العقيدة الاسلامية مثل: البعث بعد الموت فيكفيه أن يلفت الأنظار إلى ما نشاهده من موت وبعث في عالم الحيوان والنبات، وأن يضرب الأمثلة على ذلك لتقريب هذه الحقيقة إلى الأذهان.

الحديث

ومعناه واسع ومجالاته كبيرة، فقد يكون في الشارع حيث تتحدث لشخص، وقد يكون في مجلس يضم بعض الناس، وقد يكون في البيت، أو في المدرسة.

المناقشة والجدل

ويكون بين شخصين أو أكثر حيث يعرض كل جانب وجهة نظره فيما يراه ويعتقده من أمور. والداعي عندما يدعو غيره إلى الله قد لا يقبل المدعو دعوته فيقبل على جدال الداعي ومناقشته.

وقد ذكر القرآن الكريم بعض صور المناقشات التي جرت بين الرسل

الكرام وبين أقوامهم، من ذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[1]. فالمدعو في مناقشته وجداله مع الداعي قد يصل إلى حد اتهام الداعي بالضلال المبين، فلا يعجب الداعي من ضلال المدعو ولا يخرجه عن هدوئه واتزانه وشفقته عليه، كما هو واضح من جواب نوح عليه السلام. فعلى الداعي أن يلاحظ ذلك دائماً، وان يكون كلامه في الجدال والمناقشة بالحسنى وبالكلام الطيب والأدب الجم والتواضع والهدوء وعدم رفع الصوت. وعدم اغاظة المقابل والاستهزاء به، وليبق كلامه معه على مستواه العالي الرفيع الرقيق اللين المحبوب الخالي من الفظاظة والخشونة، لكن فيه قوة الاقناع ووضوح الحق، ومثل هذا يستفاد من قوله تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2].

فإذا أصر المدعو على باطله ولج في عناده وأصبح الكلام معه عبثاً فليقطع الداعي الجدل معه ويذكر قول الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم

(١) سورة الأعراف: ٥٩-٦٣

(٢) سورة النحل: ١٢٥

بِوَكِيلٍ ﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾[٢]، وهذا المسلك هو قطع الجدل مسلك سديد، لأن بعض الناس لا ينفع معهم الجدل لانهم لا يريدون من جدلهم الوصول إلى الحق وإنما يريدون المكابرة والعناد والجحود قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[٣].

الكتابة

وهي من أنواع القول في الدعوة إلى الله

والكتابة إما أن تكون كتابة رسائل إلى من يريد الداعي دعوتهم إلى الاسلام ونبذ ما يخالفه، وإما أن تكون بتأليف الكتب والأبحاث والمقالات في المجلات وغيرها.

وكلها وسيلة جيدة للدعوة إلى الله، فقد كان رسول الله ﷺ يأمر بكتابة الرسائل إلى حكام البلاد المجاورة للجزيرة العربية، يدعوهم فيها إلى الله واعتناق دين الاسلام كرسائله ﷺ إلى كسرى في العراق، وهرقل في الشام، والمقوقس في مصر.

وكذلك علماء الاسلام كانوا يرسلون الرسائل إلى علماء المسلمين يدعونهم فيها إلى ما أمرهم الله به، مثل الرسائل التي تبادلها السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ سليم البشري شيخ الأزهر يوم ذاك.

---

(١) سورة يونس:١٠٨

(٢) سورة الكهف:٢٩

(٣) سورة الأنعام:٧

وتأليف الكتب وكتابة الأبحاث والمقالات والرسائل، من الوسائل المفيدة جداً في الدعوة إلى الله، لا سيما إذا ترجمت إلى لغات من يراد تعريفهم بالإسلام ودعوتهم إليه فيمكن بهذه الوسيلة تبليغ الاسلام إلى ملايين الناس الذين لا يعرفون اللغة العربية ولم تصلهم معاني الاسلام.

ويلاحظ في كتابة الرسائل والمقالات والكتب أنها توجه إلى العموم، يقرؤها كثير من الناس على اختلاف مستوياتهم في العلم والفهم فيجب على الداعي أن يكتبها بأسلوب بسيط مفهوم واضح يدركه أقل الناس قدرة على فهم الخطاب. وان تكون المعاني التي يبينها مما لا يسع أي إنسان يريد الاسلام أن يجهلها. وأن تكون خالية من ذكر المسائل الدقيقة والخلافية وان تكون مختصرة دون اخلال بالمعنى ومقتضيات التفهيم.

وألا تكون طويلة بالنسبة للمقالات خصوصا إذا أراد نشرها على وسائل التواصل الاجتماعي.

وتتميما للفائدة ونظرا لأهمية المقالة سأتحدث في هذا الدرس عن فن كتابة المقالة بشكل مختصر.

تعتبر المقالة من أهم الفنون الأدبية الحديثة، خصوصا في عصرنا الذي أتيح النشر فيه للجميع في وسائل التواصل الاجتماعي وعلى مواقع الشبكة المعلوماتية (الأنترنت)، فمن الضروري جدا لطلبة العلوم الدينية والخطباء والمبلغين تعلم هذا الفن وإتقانه.

والمقالة: هي قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية

خالية من التكلف، ويشترط فيها أن تعبر عن الرأي الشخصي للكاتب[1].

وفي كتابة المقال أيضا يجب اختيار الموضوع أولا، ثم توسيعه بالقراءة عنه في الكتب والمجلات وصفحات الانترنت، ويكتب كلما يخطر بباله في ورقة (مسودة)، حتى لو كانت الجمل غير مترابطة، أو ليست على قواعد النحو، فالهدف من التدوين هو ألا ينسى الأفكار.

هيكل المقالة أيضا لا يختلف عن هيكل الخطبة حيث يتكون من مقدمة وعرض وخاتمة.

ولكتابة المقالات أساليب كثيرة:

١ ـ **الأسلوب الوصفي**: وهي المقالة التي يستخدم فيها الكاتب أسلوبا أدبيا يصف الموضوع فيها للقارئ، وينقل له ما رآه أو سمعه حول الموضوع.

مثلا: تكتب مقالا عن مرقد من المراقد لترغيب الناس بزيارته، فتصف المكان وأجواء الطبيعة وعمارة المرقد وغير ذلك.

٢ ـ **الأسلوب القصصي**: وذلك أن يعتمد الكاتب أسلوب القصة في كتابة المقال، فيصوغ المعاني والأفكار والقيم التي يريد أن يوصلها إلى الناس على شكل قصة. وهذا الأسلوب من أحسن الأساليب في جلب القراء.

والكاتب إما يصوغ مقاله على شكل حوار بين شخصين أو أكثر، وإما أن يجعل الكاتب نفسه أحد شخصيات القصة ويسرد الحوادث بضمير المتكلم. كأن تكتب عن قصة حضورك الدرس الحوزوي لأول مرة، وتصف

---

(١) المنهج القويم في كتابة المقالة: عباس عباسي: ١١

انطباعاتك التي خرجت بها وهكذا.

٣ ـ **الأسلوب التعليلي**: ويستخدم فيها الكاتب أسلوب التعليل للموضوع الذي يكتب عنه، مثل أسباب هجر القرآن، واسباب تفشي الرشوة في الدوائر الرسمية وهكذا.

٤ ـ **الأسلوب التعليمي**: وذلك بأن يكون الهدف من المقال تعليم القارئ على مهارة أو عمل معين، مثلا: عن كيفية القراءة النافعة، وكيف يكتب مقالة، كيف يواجه الخطيب الخجل، أو كيف تصنعين الحلوى الفلانية، أو طرق تعلم الحياكة مثلا..

٥ ـ **أسلوب المقارنة**: وقد تحدثنا عن فائدة المقارنة في دروس فن الخطابة، وفي كتابة المقال بهذا الأسلوب يعمد الكاتب إلى المقارنة بين موضوعين. مثلا: الحرية في الغرب والحرية في الإسلام، والفرق بين المتعلم وغيره.

٦ ـ **الأسلوب التعريفي**: وذلك بأن يستخدم أسلوب التعريف عن الموضوع للقارئ في اللغة والاصطلاح، ويبين مثلا: أقسام الموضوع، ويذكر أمثله توضيحية عليه.

وهذا الأسلوب يعمد إليه الكاتب إذا كان الموضوع مجهولا، مثل كثير من الأحكام أو الأبواب الفقهية كالدية، والقصاص، والرق، والواجب العيني والواجب الكفائي، فيعرف هذه الأمور، ويضرب عليها الأمثلة كما مر.

التبليغ بالممارسة العملية

أكد القرآن الكريم على أن تكون الدعوة بالحكمة، والحكمة ليست في

هـدوء القول، والحجة البالغـة فقط، بل تكون في السـلوك العملي للمبلغ أو الداعية الإسلامي، وهذه السلوكيات الحكيمة كثيرة نعرض نماذج منها:

١ ـ **بعد النظر في عواقب الأمور**

بمعنـى ألا يخطو المبلغ خطوة قبل أن يحسـب حسـابها وينظـر في الفوائد والمساوئ المترتبة عليها. منها مثلا: ألا يكون استفزازيا مع الآخرين خصومه في الدعوة، فنلاحظ أن النبي ﷺ كان يعبد الله في مكة ثلاث سنوات في الكعبة علنـا دون أن يتعـرض له أحد من المشركين والسـبب في ذلـك أنه ﷺ لم يقم باسـتفزازهم بسـب آلهتهم مثلا، أو احتقار معتقداتهـم فإن مثل هذه الاعمال تؤلب الناس عليه.

٢ ـ مراعاة الجوانب الشخصية للناس، كاحترام أهل العلم وكبار السن، والترحيـب بهم، والعطـف على صغيرهم وغـير ذلك من السـلوكيات التي تحببـه إلى الناس، وتزيد من تأثيره فيهم، فالحاجـة إلى الاحترام من الحاجات الثانوية للإنسـان بشـكل عام، فعليه أن يرضي هذه الحاجات كي يحبه الناس ويلتفوا حوله.

٣ ـ إذا تصـدى لإدارة كإدارة مسـجد أو مدرسـة فعليـه أن يقوم بتوزيع الادوار بـين من يتابعونـه، لأن الدور الاجتماعي حاجـة ثانوية للأفراد، ولا يعطي كل الادوار لشخص واحد.

٤ ـ التواضـع في السـلوك مع الآخرين، فإنه من أهـم الطرق التي تجلب محبة الناس، وانسهم بالمبلغ.

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم

٢-الاتصال والتغيير الثقافي: د/ هادي نعمان الهيتي. سلسلة الموسوعة الصغيرة، العدد:٢٣، بغداد ١٩٧٨م.

٣-الأدب وفنونه: د/ محمد مندور. نشر: الإدارة العامة للنشر، القاهرة. الطبعة الخامسة/ ٢٠٠٦م.

٤-الآراء والمعتقدات: جوستاف لو بون. ترجمة: عادل زعيتر، نشر: كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة. بلا تسلسل الطبعة، ولا سنة الطبع.

٥-الإسلام والفن: الدكتور محمود البستاني، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ١٩٩٢م.

٦-الاستهلال فن البدايات في النص الأدبي: د/ ياسين النصير. دار الشؤون الثقافية العامة: بغداد، ١٩٩٣م.

٧-الاستيعاب في معرفة الاصحاب: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. تصحيح وتعليق: عادل مرشد، دار الأعلام، الطبعة الأولى. ٢٠٠٢م.
٨-اسلوب الدعوة القرآنية: عبد الغني محمد سعيد بركة. مكتبة وهبة للنشر والتوزيع، ١٩٨٣م.
٩-الإصابة في تمييز الصحابة: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت/ ١٩٩٥م.
١٠-أصول البحث: د/ الشيخ عبد الهادي الفضلي. مطبعة شريعت. قم، الطبعة الأولى/ ١٤٢٦ هـ.
١١-أصول علم النفس: د/ أحمد عزت راجح، نشر: المكتب المصري الحديث، بدون سنة الطبع.
١٢-أصول الكافي: الشيخ محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي. الناشر: دار الكتب الاسلامية. طهران. الطبعة الثالثة. ١٣٨٨هـ.ش
١٣-الاقناع والتأثير: إبراهيم صالح الحميدان. (مقال منشور في مجلة جامعة محمد بن سعود. العدد/ ٤٩ ، لسنة ١٤٢٦هـ).
١٤-الايضاح في علوم البلاغة: محمد بن عبد الرحمان بن جلال الدين (الخطيب القزويني). نشر: دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة الأولى/ ٢٠٠٣م.
١٥-بحار الأنوار: العلامة محمد تقي المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت/ ١٩٨٣

١٦-البديع في ضوء أساليب القرآن: د/ عبد الفتاح لاشين. دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى/ ١٩٩٩م.

١٧-البلاغة الواضحة: علي الجارم، ومصطفى أمين، نشر: مؤسسة الإمام الصادق للطباعة والنشر، طهران، ط٣: ١٤٢١هـ.

١٨-البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، دار الفكر للجميع، بيروت، ١٩٦٨م.

١٩-البيان وفن الخطابة: الشيخ محمد تقي فلسفي، ترجمة: عباس حسين الأسدي، مؤسسة البعثة، بيروت، ط٢: ٢٠٠٦م.

٢٠-التبليغ مناهجه وأساليبه: الشيخ جعفر البجاري. نشر: المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم. الطبعة الأولى/ ١٤٢٤هـ.

٢١-تجاربي مع المنبر: د/ الشيخ أحمد الوائلي. دار الزهراء. بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩٨م.

٢٢-تجريد المنطق: الشيخ نصير الدين محمد بن الحسن الخواجة الطوسي. نشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٨٨م.

٢٣-تاج العروس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت: ١٩٩٤

٢٤-تاريخ ابن خلدون: عبد الرحمان بن محمد بن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات: بيروت: ١٩٧١

٢٥-تاريخ الملوك والأمم (الطبري): محمد بن جرير الطبري، مؤسسة

الأعلمي للمطبوعات: بيروت: بلا سنة طبع

٢٦-تكوين البلاغة: الشيخ علي الفرج، نشر: دار المصطفى لإحياء التراث، الطبعة الأولى/ قم، ١٣٧٩ ش.

٢٧-ثورة الحسين في الوجدان الشعبي: الشيخ محمد مهدي شمس الدين. المؤسسة الدولية للنشر. بيروت، الطبعة الثانية/ ١٩٩٦م.

٢٨-جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: د/ ماهر مهدي هلال. دار الرشيد للنشر، بغداد. ١٩٨٠م.

٢٩-جمهرة خطب العرب: أحمد زكي صفوت. مطبعة مصطفى الحلبي. القاهرة، الطبعة الثانية/ ١٩٦٢م.

٣٠-جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي، نشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١: ١٩٩٨م.

٣١-حول الخطابة والبيان: محمد باقر شريعتي (فارسي).

٣٢-خصائص التشبيه: د/ محمد حسين الصغير. مقال منشور على موقع «بلاغ» في الأنترنت.

٣٣-الخصال: الشيخ محمد بن علي بن بابويه (الصدوق): تصحيح وتعليق: علي أكبر غفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم. ١٤٠٣هـ بلا تسلسل.

٣٤-الخطابة: أرسطو طاليس. ترجمة: عبد الرحمان بدوي. نشر: دار المطبوعات، الكويت. ١٩٧٦م.

٣٥-الخطابة: د/ نقولا فياض، ط دار الهلال، مصر. ١٩٣٠م.
٣٦-الخطابة وإعداد الخطيب: د/ عبد الجليل عبدة شلبي. دار الشروق، القاهرة. الطبعة الثالثة/ ١٩٨٧م.
٣٧-الخطابة بين النظرية والتطبيق. د/ محمد عمارة. مكتبة الإيمان. القاهرة، الطبعة الأولى/ ١٩٩٧م.
٣٨-الخطابة العربية في عصرها الذهبي: د/ احسان النص. نشر: دار المعارف. القاهرة، ١٩٦٣م.
٣٩-الدر المنثور في التفسير بالمأثور: جلال الدين بن عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي. نشر: دار الفكر. بيروت. بلا سنة طبع.
٤٠-دور المنبر في التوعية: الشيخ محمد باقر المقدسي. نشر: دار الفقه، قم. الطبعة الأولى/ ٢٠٠٣م.
٤١-ديوان أبي الأسود الدؤلي، ظالم بن عمرو. تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين. نشر: دار الهلال، بيروت. الطبعة الثانية/ ١٩٩٨م.
٤٢-ديوان بدر شاكر السياب. تقديم: ناجي علوش. بلا سنة طبع ولا مكانه.
٤٣-الروافد المنبرية: للمؤلف. مطبعة: عترت. قم/ ٢٠٢٠م.
٤٤-سايكولوجية الجماهير: جوستاف لو بون. ترجمة: هاشم صالح. نشر: دار الساقي. بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩١م.
٤٥-السنن العشائرية في المجتمع العراقي: كريم برهان الجنابي. نشر: دار

الرافدين، بيروت. الطبعة الأولى/ ٢٠١٣م.

٤٦-الشائعات وآثارها الاجتماعية: للمؤلف (مخطوط)

٤٧-شرح نهج البلاغة: كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني، المطبعة الحيدرية، طهران: ١٣٩٨.

٤٨-شرح نهج البلاغة: هبة الله عبد الحميد بن أبي الحديد المعتزلي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية: ١٩٥٩م.

٤٩-الصحاح (تاج اللغة، وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، نشر: دار العلم للملايين، بيروت، ط٤: ١٩٨٧م.

٥٠-الجامع الصحيح (صحيح مسلم): مسلم بن الحجاج القشيري النيشابوري. دار الفكر. بيروت. بلا سنة طبع.

٥١-صفات الخطيب الناجح: د/ حسن سهيل الجميلي. (مقال منشور على الانترنت)

٥٢-علم الخطابة: الأب لويس شيخو. مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، الطبعة الثالثة/ ١٩٢٦م.

٥٣-علم النفس في حياتنا اليومية: سمير عبدة. دار الهيثم للنشر. بيروت، الطبعة الأولى/ ٢٠٠٤م.

٥٤-علم النفس الاجتماعي: د/ حامد عبد السلام زهران. نشر: عالم الكتب. القاهرة. الطبعة الثانية/ ١٩٧٣م.

٥٥-علم النفس الاجتماعي: : د/ مصطفى فهمي، ود/ حامد القطان. نشر: مكتبة الخانجي. القاهرة، الطبعة الثانية/ ١٩٧٧م.

٥٦-عيون المواعظ والحكم: محمد بن علي الليثي الواسطي. تحقيق: حسين البيرجندي. نشر: دار الحديث، قم. الطبعة الأولى، بلا تاريخ.

٥٧-فن الإلقاء: د/ طه عبد الفتاح مقلد. نشر: المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة. بلا تاريخ ولا تسلسل الطبعة.

٥٨-فن الإلقاء والتحرير الكتابي: د/ خالد توكال مرسي. نشر: مكتبة الآداب، القاهرة. الطبعة الأولى. ٢٠٠٨م.

٥٩-فن الخطابة والتبليغ الإسلامي: الدكتور: شمران العجلي، نشر: مؤسسة البلاغ، الطبعة الأولى/ ٢٠٠٤م.

٦٠-فن الخطابة وتطوره عند العرب: إيليا الحاوي، نشر: دار الثقافة بيروت، بدون سنة الطبع.

٦١-فن الخطابة وإعداد الخطيب: الشيخ علي محفوظ. دار الاعتصام، القاهرة. بلا.

٦٢-فن الخطابة: الشيخ إبراهيم بدوي. نشر: دار الأمير، بيروت. الطبعة الأولى/ ١٩٩٤م.

٦٣-فن الخطابة: د/ أحمد محمد الحوفي، نشر: نهضة مصر للطباعة، بدون سنة الطبع.

٦٤-فن الخطابة: دايل كارنيجي. نشر: دار الهلال. بيروت. الطبعة

الأولى/ ١٩٨٥م.

٦٥-في بلاغة الخطاب الإقناعي: الدكتور: محمد العمري، نشر: دار الثقافة، الدار البيضاء ـ المغرب، الطبعة الأولى/ ١٩٨٥م.

٦٦-في ضلال نهج البلاغة: الشيخ محمد جواد مغنية. مطبعة ستارة. قم، الطبعة الأولى/ ١٤٢٧هـ.

٦٧-فهرست مصنفي الشيعة (رجال النجاشي): أحمد بن علي بن العباس النجاشي. تحقيق: السيد موسى الشبيري الزنجاني. نشر: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة. ١٤١٦ هـ. الطبعة الخامسة.

٦٨-قاموس الرجال: الشيخ محمد تقي التستري. مؤسسة النشر الإسلامي لجماعة المدرسين. قم، الطبعة الأولى/ ١٤١٩هـ

٦٩-القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي: الدكتور: محمود البستاني، نشر: مجمع البحوث الإسلامية، مشهد: ١٤١٤هـ.

٧٠-كامل الزيارات: جعفر بن محمد بن قولويه القمي. تحقيق: جواد القيومي. مطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، قم. الطبعة الأولى/ ١٤١٧هـ.

٧١-كيف تكتب بحثا أو رسالة: د/ أحمد شلبي. نشر: مكتبة النهضة. القاهرة، الطبعة السادسة/ ١٩٦٨م.

٧٢-مثير الأحزان: نجم الدين محمد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي. منشورات المطبعة الحيدرية في النجف. ١٩٥٠م

٧٣-محاضرات في النثر العربي: د/ حاتم الساعدي. نشر: مؤسسة العارف للمطبوعات. بيروت، الطبعة الأولى/ ١٩٩٩م.

٧٤-مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر. نشر: دار الفكر. بيروت، ٢٠٠٩م.

٧٥-مستدركات علم رجال الحديث: الشيخ علي النمازي. مطبعة شفق، طهران. الطبعة الأولى/ ١٤١٢هـ.

٧٦-المستطرف في كل فن مستظرف: شهاب الدين محمد بن أحمد الأبهيشي. تحقيق: د/ صلاح الهواري. نشر: دار الهلال. بيروت، الطبعة الآولى/ ٢٠٠م.

٧٧-المشاكل الاجتماعية، والسلوك الانحرافي: د/ محمد عاطف غيث. نشر: دار المعارف، مصر. ١٩٦٥م.

٧٨-معجم رجال الحديث: السيد أبو القاسم الخوئي. الطبعة الخامسة. ١٩٩٢ م، بلا مكان طبع.

٧٩-المعجم الفلسفي: د/ غسان صليبا. نشر: الشكرة العالمية للكتاب، بيروت. ١٩٩٤م.

٨٠-المعجم الفلسفي: مجمع اللغة العربية في القاهرة. نشر: الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية. القاهرة، ١٩٨٣م.

٨١-المعجم الوسيط: اعداد مجمع اللغة العربية، القاهرة. مطبعة الشروق. الطبعة الرابعة/ ٢٠٠٤م.

٨٢-المغازي: محمد بن عمر الواقدي. تحقيق: د/ مادرسن جونس. نشر: دانش إسلامي، طهران. ١٤٠٥هـ.

٨٣-مغني اللبيب: محمد بن يوسف بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات مكتبة آية الله المرعشي، قم: ١٤١٠هـ.

٨٤-المفردات في غريب القرآن: الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، نشر: دار المعرفة، بيروت، ط٣: ٢٠٠١م.

٨٥-مقتل الحسين: السيد عبد الرزاق المقرم. دار الكتاب الإسلامي، بيروت. الطبعة الخامسة. ١٩٧٩م.

٨٦-مناقب آل أبي طالب: محمد بن علي، ابن شهر آشوب المازندراني، طبع المطبعة الحيدرية، النجف. ١٩٥٦م.

٨٧-المنبر الحسيني دوره ومستقبله: (مجموعة مقالات). نشر: مؤسسة الإمام الخوئي الخيرية. بلا تاريخ ولا تسلسل الطبعة.

٨٨-المنبر الحسيني نشوؤه وحاضره، وآفاق المستقبل: الشيخ فيصل الكاظمي. نشر: دار الهلال. بيروت، الطبعة الأولى/ ٢٠٠٤م.

٨٩-المنطق: الشيخ محمد رضا المظفر، نشر: مؤسسة إسماعيليان، قم، ط١٨: ١٤٢٩هـ.

٩٠-المنهج القويم في كتابة المقالة: عباس عباسي ومحمود حصاري. نشر: موعود الإسلام، مطبعة شريعت. قم. الطبعة الأولى/ ١٤٢٣هـ.

٩١-ميزان الحكمة: الشيخ محمد الريشهري. نشر: دار الحديث. قم، ١٤٢٢هـ.

٩٢-نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر: قم، ط٥، ٢٠٠٧م.

٩٣-نهج الخطابة: محمد علي فروغي. ترجمة: د/ صادق إسماعيل. مكتبة الفلاح للنشر، الكويت، الطبعة الأولى/ ٢٠٠٥م.

المحتويات

المقدمة ٧

الدرس الأول: تعريف الخطابة، وأسسها ٩

الحاجة إلى الخطابة ودورها في حياة المجتمع ١٥

الحاجة إلى دراسة فن الخطابة ١٧

الدرس الثاني: نموذج من عملية استنباط قواعد الخطابة ١٩

الخطبة ١٩

أهم عناصرها الفنية ٢٠

١ـ قصر الجمل ٢١

٢ ـ الإثارة ٢٢

أ) التقابل ٢٢

ب) السجع ٢٣

ت) التعبير الصوري ٢٤

ث) الإيقاع في صيغ العبارة ٢٥

٣ ـ الاقتباس ٢٩

٤ ـ الإكثار من أحرف الاستفتاح والتأكيد ٣٠
الوظيفة الأولى: إثارة انتباه المخاطب. ٣٠
الوظيفة الثانية: التحقيق والتأكيد. ٣٢
لمحة موجزة في تاريخ الخطابة ٣٢
الدرس الثالث: الإسلام والخطابة ٣٥
الخطابة الحسينية، تطور الممارسة والمضمون ٣٦
الناحية الأولى ٣٧
الناحية الثانية ٤٢
الدرس الرابع: أنواع الخطب ٥١
التقسيم الحديث للخطب ٥٢
١ ـ الخطب السياسية ٥٣
مجالات الخطابة السياسة ٥٤
الخطابة السياسية في مدرسة آل البيت وأتباعهم ٥٥
خصائص الخطبة السياسية ٥٨
١ ـ الإيجاز ٥٨
٢ ـ اللباقة في التعبير ٥٩
٣ ـ الاقتباس ٦٠
٤ ـ تنويع الأساليب الإقناعية والتأثيرية ٦٠
٥ ـ إثارة الخيال ٦١
٦ ـ التغاير في الأسلوب ٦٣

عدة الخطيب السياسي ٦٣

الدرس الخامس ٦٥

٢ـ الخطب الحفليّة أو خطب المناسبات ٦٥

٣ـ الخطب الاجتماعية ٦٧

بعض الأمثلة: ٧١

١ ـ مشكلة عدم الاستئذان عند دخول البيوت. ٧١

٢ ـ مشكلة أخذ بعض الآباء جزء من مهر بنته ٧١

٣ ـ ظاهرة اعتقاد البعض أن النساء ناقصات الإيمان ناقصات العقول. ٧٢

خصائص الخطب الاجتماعية ٧٤

عدة الخطيب في الخطب الاجتماعية ٧٤

الدرس السادس ٧٥

٤ـ الخطب الدينية ٧٥

أسباب ضعف الخطابة الدينية ٧٦

سبل النهوض بالخطابة الدينية ٨٠

الدرس السابع: أجزاء الخطبة ٨١

أولا: المقدمة ٨١

١ ـ أهمية المقدمة ٨٥

٢ ـ سمات المقدمة الجيدة ٨٦

٣ ـ ضرورة المقدمة وعدم ضرورتها ٨٧

٤ ـ مادة المقدمة ٨٨

٥ ـ حجم المقدمة ٩٠
الدرس الثامن ٩١
ثانياً: نص افتتاح المحاضرة ٩١
ثالثاً: العرض (صلب الموضوع) ٩٢
الدرس التاسع: مادة العرض ٩٩
أولا: التعريف ٩٩
ثانيا: التقسيم ١٠٣
فائدة التقسيم ١٠٥
الدرس العاشر ١٠٧
ثالثا: التمثيل ١٠٧
المعنى الأول: التمثيل بمعنى التشبيه ١٠٧
رابعا: المقارنة ١١٢
الدرس الحادي عشر ١١٣
خامسا: الاستدلال أو الاستشهاد ١١٣
الأدلة العلمية والأدلة الخطابية ١١٦
الدرس الثاني عشر ١١٩
هل من الضروري أن يعرف الخطيب مواد القضايا وأنواعها؟ ١٢١
رد على المناطقة ١٢٢
الدرس الثالث عشر ١٢٥
سادسا: التفنيد ١٢٥

١ ـ عرض احتمال آخر ١٢٥
٢ ـ رد الحجة على الخصم ١٢٦
٣ ـ النقض ١٢٧
٤ ـ مناقشة دليل الخصم في مقدماته. ١٢٨
الدرس الرابع عشر **١٢٩**
سابعا: التخلص (الربط) ١٢٩
أهميته ١٣٠
أنواع العلاقات في التخلص ١٣١
الدرس الخامس عشر: إعداد المحاضرة **١٣٩**
خصائص فكرة الموضوع الجيد ١٤١
الأولى: جدة الموضوع ١٤٢
الدرس السادس عشر **١٤٥**
الثانية: الحاجة الاجتماعية ١٤٥
الثالثة: العمق الطبيعي ١٤٦
ثانيا: جمع المعلومات ١٤٧
الدرس السابع عشر **١٥١**
١ ـ كتابة فهرس تفصيلي ١٥١
٢ ـ أنواع الكتب التي يمكن أن نستفيد منها ١٥٢
أولا: الكتب الأدبية بالمعنى الأخص ١٥٢
ثانيا: الكتب الأدبية بالمعنى الأعم ١٥٣

٣ ـ الطرق الفعالة في القراءة ١٥٤
٤ ـ هناك نوعان من القراءة ١٥٤
أولا: القراءة السريعة ١٥٤
ثانيا: القراءة المتأنية. ١٥٥
الدرس الثامن عشر ١٥٧
ثالثا: وضع خطة البحث..... ١٥٧
أمثلة: ١٥٨
رابعا: كتابة البحث أو المحاضرة ١٦٠
منهج البحث القرآني..... ١٦١
نبدأ أولا: بمفاتيح فهم القرآن الكريم..... ١٦١
الدرس التاسع عشر: منهج إعداد المحاضرة من آية قرآنية ١٦٣
المنهج الأول: منهج التفسير التجزيئي ١٦٣
اشكال على المنهج ١٦٥
المنهج الثاني: منهج التفسير الموضوعي ١٦٦
الدرس العشرون: منهج إعداد المحاضرة في السيرة ١٦٩
الدرس الحادي والعشرون: منهج إعداد المحاضرة التاريخية ١٧٣
الطريقة الأولى: اعتماد السرد التاريخي ١٧٣
الطريقة الثانية: التحليل التاريخي..... ١٧٤
الطريقة الثالثة: فلسفة التاريخ..... ١٧٦
منهج إعداد المحاضرة الاجتماعية: الدرس الثاني والعشرون ١٨١

خصائص الاسلوب الخطابي ١٨١

ومن أهم خصائص الأسلوب الخطابي: ١٨٢

الارتجال ١٨٥

الدرس الثالث والعشرون: الخطيب وصفاته ١٨٩

١ ـ الاستعداد الفطري (الموهبة) ١٨٩

٢ ـ حسن الصوت وتميُّزه عن غيره من الأصوات ١٩٠

٣ ـ الشجاعة الأدبية ١٩١

٤ ـ حرارة العاطفة ١٩١

٥ ـ السلامة من عيوب النطق ١٩٢

٦ ـ سرعة البديهة ١٩٢

أما الصفات المكتسبة فهي كثيرة وسنعرض لأهمها: ١٩٣

١ ـ سعة الثقافة ١٩٣

الدرس الرابع والعشرون ١٩٥

٢ ـ الموضوعية في إلقاء الخطبة ١٩٥

٣ ـ مراعاة أحوال المستمعين ١٩٥

٤ ـ حسن المظهر ١٩٦

٥ ـ تعلم فنون الاقناع ١٩٧

٦ ـ الثقة بالنفس ١٩٩

عوامل خارجية مساعدة ٢٠٠

١ ـ مكبرات الصوت ٢٠٠

٢ ـ خلفية المنبر ٢٠٠
٣ ـ فخامة المكان ٢٠١
٤ ـ أجهزة دعاية تعمل للخطيب ٢٠١
الدرس الخامس والعشرون: سيكولوجية الجمهور ٢٠٣
الأولى: الفرق بين الجماعة والتجمع ٢٠٣
تعريف الجماعة ٢٠٣
تعريف التجمع: ٢٠٣
الفرق بين التجمع والجماعة ٢٠٤
الثانية: سلوك الفرد في التجمع ٢٠٥
الرابعة: خصائص الجمهور ٢٠٦
الدرس السادس والعشرون: فن التبليغ الإسلامي ٢٠٩
١ ـ التبليغ لغة واصطلاحا ٢٠٩
٢ ـ أهمية التبليغ ٢١٠
٣ ـ حاجة المجتمع إلى التبليغ ٢١١
٤ ـ أدوات المبلغ ٢١٢
أ) التعلم بشكل الجيد ٢١٣
ب) الالتزام بأوامر الشريعة ٢١٣
ت) التعامل مع الناس بالخلق الحسن ٢١٤
٥ ـ وسائل التبليغ ٢١٤
الأول: التبليغ بالقول ٢١٥

الخطبة..... ٢١٥
الدرس..... ٢١٧
المحاضرة..... ٢١٧
الحديث ٢١٨
المناقشة والجدل..... ٢١٨
الكتابة ٢٢٠
التبليغ بالممارسة العملية..... ٢٢٣
المصادر والمراجع ٢٢٥
المحتويات ٢٣٧